دليل الأباء فى تربية الأبناء

دكتور
محمد بن محمود آل عبدالله

الطبعة الاولى

٢٠١٥

الناشر

دار الوفاء لدنيا الطباعة

تليفون ٠٠٢٠٣٥٤٠٤٤٨٠ الإسكندرية

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمدلله الكريم الجواد، خلق الخلق وأحصى العباد، وألزم التقوى قلوب العباد، ووعد الأبرار بالنجاة من النار يوم الميعاد، وأمر أحبابه بالتزود بخير الزاد فقال جل شأنه: ﴿ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ والتقوى بها المؤمن أقوى، وصلاة وسلاماً على المبعوث بالرحمة القائل: "اتقوا الله وأعدلوا في أولادكم"

ومن جميل العدل، العدل في تربية الأبناء والعناية بهم ورعايتهم وسد حاجاتهم والتلطف معهم في معاملاتهم في كل مرحلة من مراحل نموهم؛ فإن التربية هي أهم مايحتاج إليه كل كائن حي ويتوقف عليه نموه من إنسان ونبات وحيوان وكل ذي روح، والأمة الإسلامية في حاجة ماسة للموضوعات التربوية لتعود إلى سابق مجدها، ومن أهم هذه الموضوعات تربية الولد وتنشئته الاجتماعية، وقد دلت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية على حسن تربية الأبناء؛ منها قول الحق عز شأنه قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ٦﴾

﴿وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ﴾، قال قتادة ـرحمه اللهـ تأمرهم بطاعة الله عز وجل وتنهاهم عن معصيته، وأن تقوم عليهم بأمر الله؛ تأمرهم بأمره، وتنهاهم بنهيه عز شأنه.

وعن ابن عمر – رضي الله عنهما– قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها"، وقال صلى الله عليه وسلم: "ما من عبد يسترعيه الله عز وجل رعية ولم يحطها بنصحه إلا لم يريح الجنة"، وقال ابن عمر– رضي الله عنهما–: "أدب ابنك

فإنك مسئول عنه ماذا أدبته وهو مسئول عن برك وطاعته لك" وقد أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم أن التربية خير من الصداقة فقال: "لأن يؤدب الرجل ولده خيراً من أن يتصدق بصاع" وأما تربية البنات فهي رحمات وهي حجاب للوالد من النار، قال صلى الله عليه وسلم: "من كان له ثلاث بنات يؤدبهن ويكفيهن ويرحمهن إلا وجبت له الجنة"، والولد من كسب أبيه وهو ثمرة يمن الله تبارك وتعالى بها على الآباء هبة من الله جل وعلا، وهو النسمة التي قال عنها الفاروق عمر بن الخطاب إمام العادلين – رحمة الله– حين قال: "والذي نفسي بيده إني لأكره نفسي على الجماع بغية أن يخرج الحق جل وعلا نسمة من ظهري تسبح بحمده وتذكره"، وفيه بيان الغاية الأسمى من الجماع أن يرزق الأب ولداً هو النسمة التي تسبح بحمده الله وتذكره والولد هو أحد الثلاثة التي لا تنقطع بعد موت الأب في قول النبي صلى الله عليه وسلم: "إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له".

وهذا الكتاب مفاهيم ومعارف تربوية في تربية الأبناء والتنشئة الاجتماعية ضمنته إرشادات تربوية ومعارف جلية والله تعالى أسأل أن ينفع به إنه قريب مجيب.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

خادم العلم والقرآن

محمد بن محمود آل عبدالله

مدرس علوم القرآن بالأزهر

تمهيد للبحث

معنى التربية لغة هي من: ربَّي – يُرَبِّي – تربية أي تتبع الصغير وأطوار نموه بالعناية والرعاية وإمداده بمقومات الحياة حتى ينمو ويكمل، ومن معناها قول الحق جل شأنه: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ أي الذي يربيهم ويمدهم بمكونات أجسادهم واستمرار حياتهم طوراً بعد طور حتى إذا كملوا أقروا له سبحانه بالربوبية.

وفي الاصطلاح: هي العناية بالصغير ورعايته وتنشئته تنشأة سليمة في الجسم والفكر؛ بتقديم مايلزمه لذلك، وسد حاجاته النفسية والروحية والجسدية وخاصة في مرحلة نموه وإدراكه وكذا أهمية العناية بتربية المراهق إذ تعتبر مرحلة المراهقة هي المرحلة الحرجة في حياة الأبناء ذكوراً وإناثاً؛ لذا فإنها تحتاج إلى جهد خاص من القائمين على التربية وخاصة الأب والأم في البيت ويليهم المعلمون في المرحلة الإعدادية خاصة الصف الثالث الإعدادي وحتى الصف الثالث الثانوي فهذه هي أصعب المراحل الحرجة في حياة الأبناء وقد تمتد هذه الفترة إلى المرحلة الجامعية؛ لذا فإن العناية بالمراهق مهمة للغاية وهي مسئولية كبري يسأل عنها أولياء الأمور أمام الله – جل وعلا – يوم القيامة وقد نادى الله سبحانه المؤمنين أن يدعوا أبناءهم ويؤدبوهم أحسن تربية فيكون لهم ولأبنائهم الوقاية من عذاب الله – جل شأنه – فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ﴾ أي لاتهملوهم فتضيعوهم وهم أمانة في أعناقكم فتستوجبون العذاب

على عدم رعايتهم، وسد حاجاتهم، وإرشادهم، ونصحهم، والأخـــذ بأيـــديهم إلى الطريق المستقيم، بما يحقق لهم النجاح والفلاح دنيا ودين والفوز برضوان الله سبحانه أحكم الحاكمين

كيف يربى الطفل في الإسلام؟

ويجب أن نذكر هنا أن أكرم المخلوقات وأشرف الموجودات على ظهـــر هـــذا الكوكب الأرضي هو الإنسان، لكن الإنسان إذا فقد مابه الإنسان إنســـاناً لم يعـــد كريماً ولا شريفاًبل مجرد دابة ناطقة، تلك الأخلاق التي أكرم الله بها الإنسان هي رأس ماله ومن مقومات وجوده، من هنا كان تركيز الإسلام على بناء وحيـــاة الإنســـان والاهتمام به في شتى مراحل تطوره مراعياً صحته النفسية جنباً إلى جنب مع صـــحته البدنية، ومزكياً له بالقيم السلوكية ومكارم الأخلاق. ولما كانت البذرة الطيبة عليها المعول الأول في صلابة العود وقوته، وصلاحيته المثمرة ونضجها؛ فإن الإســـلام قـــد ركز اهتمامه على الإنسان من البداية، ليس من مرحلة الطفولة وإنما من مرحلة ماقبل الطفولة، والتي يمكن أن نسميها بمرحلة الإعداد لتلك الطفولة، والتي تبدأ منذ التفكير في بناء الأسرة، والإقدام على الزواج.

فنرى الإسلام مثلاً يهتم بحسن اختيار الزوج لزوجته، والزوجة لزوجها، جاعلاً الأساس الأهم، وركيزة الصلاح في هذا الاختيار.. صدق الإيمان، وحسن إلىقـــين، وسلامة التدين.. لأن الإيمان والتدين بمثابة الظلال الوارفة التي يجد في ظلها الشركاء برد الراحة، وأمان القلب، وسعادة النفس.. وبذلك يتوافر الجو النفســـي الســـليم، والتربة الصالحة الخصبة، والعقيدة السليمة للطفل ساعة ولادته، ليتربى في مناخ صالح، وبيئة سوية فينشأ مستقيماً على الدرب القويم، وينهل من المنابع الصافية النقية، وينمو ويترعرع على أساس قوي ومتين.

فبمجرد ولادة الطفل واستقبال الدنيا له.. نرى الإسلام بتعإليمه السامية يحـــث على أن يؤذن للوليد في أذنه إليمنى، ويقام للصلاة في أذنه إليســـري.. فيكـــون أول صوت وصل إلى سمعه ناطقاً بعظمة الله وقدرته: الله أكبر.. شـــاهداً بوحدانيـــة الله

ومصدقاً لرسوله: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله.. داعياً إلى وصل العبد بالمعبود أو المخلوق بالخالق، لأن هذا سبيل الفلاح: حي على الصلاة.. حي على الفلاح.. ثم يؤكد مرة أخرى أهم قضية إيمانية وهي الإقرار بقدرة الله، والاعتراف بعظمته، والتصديق بوحدانيته: الله أكبر.. الله أكبر.. لا إله إلا الله.

ثم يحث الإسلام الحنيف على أن يحسن الأبوان اختيار اسم وليدهما، لما للأسماء من آثار تنعكس على النفس، وقد أثبت العلم الحديث ذلك وتوصل إليه.. فالأسماء القبيحة التي تمجها الأذواق، وتشمئز من وقعها النفوس، ويظهر أثرها على الوجوه.. فتجرح إحساس صاحب الاسم، وتصيبه بألم النفس، فينزوي عن المجتمع أو يحاول أن يرد اعتباره بأساليب إجرامية، كما أن الأسماء التي تحمل معاني البطش أو الشدة تؤثر في أصحابها، كما يسمي أحدهم ابنه بصخر، أو حرب أو صعب.. ولقد ثبت أن النبي – صلوات ربي وسلامه عليه – قد غير أسماء بعض من آمن به، فغير اسم حرب إلى سلم، وصعب إلى سهل، وزاد الخيل إلى زاد الخير.. وهكذا.

ثم يجب على الأبوين في ظل الإسلام بعد ذلك أن يتعهدا وليدهما بحسن الرعاية والتربية وتعويده على الآداب في السلوك، فإذا ما بلغ مرحلة الاستعداد للتعلم، علماه شيئاً من القرآن الكريم، ومبادئ العبادة، واصطحبه أبوه معه إلى المسجد، أو جعله في البيت يصلى من خلفه بدءاً بالتقليد، وانتهاء بالتعليم.

كما يجب على الأبوين في ظلال الإسلام أن يحيطا وليهما بالعطف والمودة والرحمة، وإدخال السرور على قلبه برقة المداعبة، وقد وجهنا إلى ذلك خير خلق الله، وأحب عباد الله إلى الله، سيدنا محمد بن عبدالله وذلك حين قبل الحسن بن علي – رضوان الله عليهما – في وجود الأقرع بن حابس التميمي.. فذكر الأقرع لرسول الله أن له عشرة من الولد ما قبل منهم أحداً.. فنظر إليه في دهشة ثم قال: "من لايرحم لايرحم".. ومعلوم أن الحسن والحسين – رضي الله عنهما– كانا يمتطيان رسول الله ويعلوان ظهره وهو ساجد، فلا يقوم من سجوده حتى لا ينزلا..

وربما يجمع ما يجب على الأبوين لوليدهما مارواه أبو الليث السمرقندي من أن رجلا جاء بابنه إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – فقال: يا أمير المؤمنين، إن ابني هذا يعقني.. فقال عمر للابن: أما تخاف من عقوق والدك.. فإن من حق الوالد كذا وكذا.. فقال الابن: يا أمير المؤمنين، أما للابن على أبويه حق؟ قال: نعم، عليه أن ينتخب أمه – أي يحسن اختيارها – وعليه أن يحسن اسمه، ويعلمه الكتاب – أي القرآن – فرد الابن قائلاً: فوالله يا أمير المؤمنين ما انتخب أمي، وماهي إلا سندية اشتراها بأربعمائة درهم، ولا أحسن اسمي، فقد سماني جعلا – والجعل: حيوان كالخنفساء، ومن الناس: الأسود الدميم – ولا علمني من كتاب الله آية واحدة.. فالتفت عمر إلى الأب وقال: تقول: ابني يعقني وقد عققته قبل أن يعقك.. قم عني..

فالإسلام يحث على حسن اختيار الزوج لزوجته، والزوجة لزوجها.. وليتحقق ذلك.. وضع أصولاً وضوابط لاختيار الزوجة، أفصح عنها قوله، عليه الصلاة والسلام –: "تنكح المرأة لأربع: مالها، ولنسبها، ولجمالها، ولدينها.. فاظفر بذات الدين تربت يداك" ونلاحظ هنا التركيز على الدين؛ لأنه المعيار الذي له الديمومة، بل كلما مر عليه الوقت، وتقادم الزمن ازداد صقلاً.. بعكس غيره من المال، والحسب، والجمال، إذ كلها متغيرات.. لا يمكن أن تثبت، فالجمال يذبل، والحسب يمحى، والمال يزول.. أما الدين فيثبت، ويزداد، ويرسخ وترسخ معه القيم والأخلاقيات التي تحيط الحياة الزوجية بسياج يحمي سعادتها، ويحفظ عفتها وشرفها، وينمي صفاءها.

كما حذر الرسول صلى الله عليه وسلم من خضراء الدمن.. وهي الحسنة المظهر.. السيئة المخبر.. وفضل الإسلام أن يكون زواج الرجل من الأجنبيات عنه – أي غير القريبات – لأن الزواج من القريبات تخشى معه أن تفتر العلاقة، وتخمد العاطفة، وتتضاءل الرغبة بين الزوجين.. فيأتي نسلهما ضعيفاً..

كما وضع الإسلام أصولاً وضوابط لاختيار الزوج وفي ذلك يقول صلى الله عليه وسلم: "إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه.. إلا تفعلوا تكن فتنة في

الأرض وفساد عريض" وأثر أن رجلاً استشار الحسن – رحمه الله – فيمن يزوج ابنته؟

فأجابه الحسن: زوجها من تقي.. فإن أحبها أكرمها.. وإن كرهها لم يهنها..

فإذا ما أحسن الزوج اختيار زوجته بمقياس الدين، وأحسنت الزوجة اختيار زوجها بمعيار الإسلام.. وهو الدين أو التدين في الحالين.. قامت الحياة الأسرية النظيفة والحريصة على القيم والمثل، والرامية إلى بعيد.. إلى مرضاة الله تبارك وتعالى في كل أمورها.. وهذا بلا شك ينعكس أثره واضحاً جلياً على الأبناء، حيث لا تقع عينهم إلا على جميل، ولا تسمع آذانهم إلا الخير، ولا يدعون من جانب أبويهم إلا إلى مكارم الأخلاق.

هذا، ومما لاشك فيه أنه إذا وجد الأبناء في حياتهم الأولى من يحكم تربيتهم، ويحسن تأديبهم، ويسلك بهم سبيل الاستقامة، ويأخذ بيدهم إلى الفضيلة، وينأي بهم عن كل انحراف أو رذيلة، فإن الابن سيشب حسن الخلق.. طيب النفس.. سمح الطباع.. متعلقاً بأهداب القيم والمثل، متمسكاً بحبل الرشاد والهدى، فيحيا حياة طيبة.. يكون بها سعيداً في نفسه.. ونافعاً في أمته.. وملتزماً بأصول دينه ويأتي في مقدمة مايجب نحو الصغار لإصلاحهم غرس روح الإيمان في نفوسهم، وتوضيح أصول العقيدة لهم، ولعلنا نجد منهجاً متكاملاً يجمع بين العقيدة والعبادة والسلوك في وصية لقمان لابنه وهو يعظه قائلاً:

قَالَ تَعَالَىٰ: وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ

تَعۡمَلُونَ ١٥ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ أَوۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ ١٦ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ١٧ وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٖ ١٨ وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ ١٩ ﴾

ثم نجد رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلم عبدالله بن عباس قائلاً: ياغلام، إني أعلمك كلمات: "احفظ الله يحفظك.. احفظ الله تجده تجاهك إذا سألت فاسأل الله.. وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لن ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لن يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك.. رفعت الأقلام وجفت الصحف"

كما نجد رسول الله يحث الآباء جميعاً: "مروا أولادكم بالصلاة لسبع واضربوهم عليها لعشر، وفرقوا بينهم في المضاجع".

وثبت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينهي الصغير أن تطيش يده في الصحفة، ويأمره أن يأكل مما يليه..

ويلزم الآباء في تربيتهم للأبناء، أن يلزموا أنفسهم بالسلوك والقيم والأخلاقيات التي يلقنونها لهم، وإلا فلن يكون لندائهم صدى، ولا لتوجيههم ثمرة، إذ ليس من المعقول أو المقبول أن يحث الآباء الأبناء على الصدق وهم كاذبون، أو على الأمانة وهم خائنون، أو على الإصلاح وهم مفسدون، أو على الصلاة وهم عنها ساهون، أو على اجتناب الخمر وهم لها شاربون، لأن فاقد الشيء لا يعطيه، والإناء لا ينضح إلا بما هو فيه..

للمربي الناجح صفات كلما ازداد منها زاد نجاحه في تربية ولده بعد توفيق الله،

وقد يكون المربي أباً أو أماً أو أخاً أو أختاً أو عماً أو جداً أو خالاً، أو غير ذلك، وهذا لا يعني أن التربية تقع على عاتق واحد، بل كل من حول الطفل يسهم في تربيته وإن لم يقصد.

وصفات المربي كثيرة أهمها: العلم، والأمانة، والقوة، والعدل، والحرص، والحزم، والصلاح، والصدق، والحكمة.

١ـ العلم:

عُدَّةُ المربي في عملية التربية؛ فلابد أن يكون لديه قدر من العلم الشرعي، إضافة إلى فقه الواقع المعاصر.

والعلم الشرعي: هو علم الكتاب والسنة، ولا يطلب من المربي سوى القدر الواجب على كل مكلف أن يتعلمه، وقد حدده العلماء بأنه "القدر الذي يتوقف عليه معرفة عبادة يريد فعلها، أو معاملة يريد القيام بها، فإنه في هذه الحال يجب أن يعرف كيف يتعبد الله بهذه العبادة وكيف يقوم بهذه المعامل"[(١)].

وإذا كان المربي جاهلاً بالشرع فإن أولاده ينشأون على البدع والخرافات، وقد يصل الأمر إلى الشرك الأكبر –عياذاً بالله–.

ولو نظر المتأمل في أحوال الناس لوجد أن جل الأخطاء العقيدية والتعبدية إنما ورثوها عن آبائهم وأمهاتهم، ويظلنون عليها إلى أن يقيض الله لهم من يعلمهم الخير ويربيهم عليه، كالعلماء والدعاة والإخوان الصالحين أو يموتون على جهلهم.

والمربي الجاهل بالشرع يحول بين أبنائه وبين الحق بجهله؛ وقد يعاديه لمخالفته إياه، كمن يكره لولده كثرة النوافل أو ترك المعاصي أو الأمر بالمعروف أو طلب العلم أو غير ذلك.

ويحتاج المربي أن يتعلم أساليب التربية الإسلامية ويدرس عالم الطفولة، لأن لكل

---

(١) كتاب العلم: الشيخ محمد بن عثيمين: ص٢١.

مرحلة قدرات واستعدادات نفسية وجسدية، وعلى حسب تلك القدرات يختار المربي وسائل زرع العقيدة والقيم وحماية الفطرة السليمة[1].

ولذا نجد اختلاف الوسائل التربوية بين الأطفال إذا اختلفت أعمارهم، بـــل إن الاتفاق في العمر لا يعني تطابق الوسائل التربوية؛ إذ يختلف باختلاف الطبائع.

وعلى المربي أن يعرف ما في عصره من مذاهب هدامة وتيارات فكرية منحرفة، فيعرف ماينتشر بين الشباب والمراهقين من المخالفات الشرعية التي تفد إلينا؛ ليكون أقدر على مواجهتها وتربية الأبناء على الآداب الشرعية.

(١) انظر: أصول التربية الإسلامية: عبدالرحمن النحلاوي: ص١٧٥.

٢- الأمانة

وتشمل كل الأوامر والنواهي التي تضمنها الشرع في العبادات والمعاملات [١].

ومن مظاهر الأمانة: أن يكون المربي حريصاً على أداء العبادات، آمراً بها أولاده، ملتزماً بالشرع في شكله الظاهر وفي الباطن، فيكون قدوة في بيته ومجتمعه، متحلياً بالأمانة، يسلك في حياته سلوكاً حسناً وخلقاً فاضلاً مع القريب والبعيد في كل حال وفي كل مكان؛ لأن هذا الخلق منبعه الحرص على حمل الأمانة بمعناها الشامل.

٣- القوة

أمر شامل فهي تفوق جسدي وعقلي وأخلاقي، وكثير من الآباء يتيسر لهم تربية أولادهم في السنوات الأولى؛ لأن شخصياتهم أكبر من شخصيات أولادهم [٢]. ولكن قليل أولئك الآباء الذين يظلون أكبر وأقوى من أبنائهم ولو كبروا.

وهذه الصفة مطلوبة في الوالدين ومن يقوم مقامهما، ولكن لابد أن تكون للأب وهي جزء من القوامة، ولكن ثمة خوارق تكسر قوامة الرجل وتضعف مكانته في الأسرة، منها:

*أن تكون المرأة نشأت في بيت تقوده المرأة، والرجل فيه ضعيف منقاد،

فتغتصب هذه المرأة القوامة من الرجل بالإغراء، أو، التسلط وسوء الخلق، واللسان الحاد[٣].

*أن تعلن المرأة أمام أولادها التذمر أو العصيان، أو تتهم الوالد بالتشدد والتعقيد، فيرسخ في أذهان الأولاد ضعف الأب واحتقار عقليته[٤].

---

(١) انظر: تيسير العلي القدير: محمد نسيب الرفاعي: ٣/٥٢١.

(٢) انظر: منهج التربية الإسلامية: محمد قطب، ص٢٨٠.

(٣) انظر: المرجع السابق: ص٦٨-٦٩

(٤) انظر: كيف نربي أطفالنا: محمود الإستانبولي: ص٧٠.

* أن تعرض المرأة على زوجها أمراً فإذا أبى الزوج خالفته خفية مع أولادها، فيتعود الأولاد مخالفة الوالد والكذب عليه.

ولابد أن تسلم المرأة قيادة الأسرة للرجل، أباً كان أو أخاً كبيراً أو خالاً أو عماً، وعليها أن تنقاد لأمره ليتربى الأولاد على الطاعة، وإن منع شيئاً فعليها أن تطيع[1]. وإن خالفه بعض أولادها فيجب أن تخبر الأب ولاتخبي عليه لأن كثيراً من الانحرافات تحدث بسبب تستر الأم.

وفي بعض الأحوال تصبح الأم في حيرة، كأن يطلب الأولاد شيئاً لا يمنعه الشرع ولا الواقع، ولكن الأب يمانع لرأي يراه قد يفصح عنه وقد يكتمه، فيحاول الأولاد إقناع الأب فلا يقتنع، ففي هذه الحال لابد أن تطيع المرأة، وتطيب نفس أولادها وتبين لهم فضل والدهم ورجاحة عقله، وتعزيهم بما في الحياة من أحداث تشهد أن للوالدين إحساساً لا يخيب، وهذا الإحساس يجعل الوالد أحياناً يرفض سفر ولده مثلاً، ثم يسافر الأصدقاء فيصابون بأذى فيكون رفض الوالد خيراً وذلك بسبب إحساسه.

٤ـ العدل

وقد كان السلف خير أسوة في العدل بين أولادهم، حتى كانوا يستحبون التسوية بينهم في القبل[2]، وعاتب النبي صلى الله عليه وسلم رجلاً أخذ الصبي وقبله ووضعه على حجره ولما جاءت بنته أجلسها إلى جنبه، فقال له: "ألا سويت بينهما"،وفي رواية "فما عدلت بينهما" [3].

والعدل مطلوب في المعاملة والعقوبة والنفقة والهبة والملاعبة والقبل، ولا يجوز

---

(١) انظر: تربية البنات، خالد الشتنوت: ص٦٩.

(٢) انظر: المغني، ابن قدامة: ٦٦٦/٥.

(٣) أخرجه ابن عدي في الكامل في ضعفاء الرجال: ٢٣٩/٤، رقم الحديث١٠٦٧.

تمييز أحد الأولاد بعطاء لحديث النعمان المشهور حيث أراد أبوه أن يهبه دون إخوته، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم "أشهد غيري فإني لا أشهد على جـــور"[١]، إلا أن هناك أسباباً تبيح تمييز بعض الأولاد كاستخدام الحرمان من النفقة عقاباً، وإثابة المحسن بزيادة نفقته، أو أن يكون بعضهم محتاجاً لقلة ماله وكثرة عياله[٢].

ولا يعني العدل تطابق أسإلىب المعاملة، بل يتميز الصغير والطفـــل العـــاجز أو المريض[٣]، وذلك لحاجتهما إلى العناية، وكذلك الولد الذي يغيب عن الوالدين بعض أيام الأسبوع للدراسة أو العمل أو العلاج، ولا بد أن يبين الوالـــدان لبقيـــة الأولاد سبب تمييز المعاملة بلطف وإشفاق، وهذا التمييز ليس بالدرجة الكبيرة ولكن فـــرق يسير بين معاملة هؤلاء ومعاملة البقية، وهذا الفرق إلىسير يتســـامح الإخـــوة بـــه ويتجاوزون عنه.

ومما يزرع الكراهية في نفوس الإخوة تلك المقارنات التي تعقد بينهم، فيُمدح هذا ويُذم هذا، وقد يقال ذلك عند الأصدقاء والأقارب فيحزن الولد المذموم ويكره أخاه.

والعدل ليس في الظاهر فقط، فإن بعض الناس يعطي هذا خفية عن إخوته وهذا الاستخفاء يعلم الطفل الأنانية والتآمر[٤].

٥- الحرص: وهو مفهوم تربوي غائب في حياة كثير من الأســـر، فيظنـــون أن الحرص هو الدلال أو الخوف الزائد عن حده والملاحقة الدائمـــة، ومباشـــرة جميـــع حاجات الطفل دون الاعتماد عليه، وتلبية جميع رغاته.

والأم التي تمنع ولدها من اللعب خوفاً عليه، وتطعمه بيدها مـــع قدرتـــه علـــى

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب الهبات، باب كراهة تفضيل الأولاد في الهبة، ص١٢٤١، والنسائي في ســـننه: كتاب النحل، باب ذكر اختلاف ألفاظ الناقلين لخبر النعمان بن بشير في النحل: ٦/٢٦٠، وأحمد في مسنده: ٤/٢٦٨.

(٢) انظر: المغني، ابن قدامة: ٥/٦٠٤.

(٣) انظر: كيف نربي أطفالنا، محمود الإستانبولي، ص٧٦.

(٤) استمع إلى: شريط (تربية الأبناء)، أحمد القطان.

الاعتماد على نفسه، والأب الذي لا يكلف ولده بأي عمل بحجة أنه صغير كلاهما يفسده ويجعله اتكالياً ضعيف الإرادة، عديم التفكير. والدليل المشاهد هو: الفرق الشاسع بين أبناء القري والبوادي وبين أبناء المدينة[1].

والحرص الحقيقي المثمر: إحساس متوقد يحمل المربي على تربية ولده وإن تكبد المشاق أو تألم لذلك الطفل. وله مظاهر منها:

(أ) الدعاء: إذ دعوة الوالد لولده مجابة لأن الرحمة متمكنة من قلبه فيكون أقوى عاطفة وأشد إلحاحاً[2]، ولذا حذر الرسول صلى الله عليه وسلم الوالدين من الدعاء على أولادهما فقد توافق ساعة إجابة.

(ب) المتابعة والملازمة: لأن العملية التربوية مستمرة طويلة الأمد، لا يكفي فيها التوجيه العابر مهما كان خالصاً صحيحاً[3]، وقد أشار إلى ذلك النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال: "الزموا أولادكم.. وأحسنوا آدابهم"[4].

والملازمة وعدم الغياب الطويل عن البيت شرط للتربية الناجحة، وإذا كانت ظروف العمل أو طلب العلم أو الدعوة تقتضي ذلك الغياب فإن مسؤولية الأم تصبح ثقيلة، ومن كان هذا حاله عليه أن يختار زوجة صالحة قوية قادرة على القيام بدور أكبر من دورها المطلوب.

٦- الحزم: وبه قوام التربية، والحازم هو الذي يضع الأمور في مواضعها، فلا يتساهل في حالة تستوجب الشدة ولا يتشدد في حالة تستوجب اللين والرفق[5].

---

(١) انظر: كيف نربي أطفالنا، محمود الاستانبولي: ص٦٢-٦٣.

(٢) انظر: منهج التربية النبوية، محمد نور سويد: ص٣٢٢.

(٣) انظر: منهج التربية الإسلامية، محمد قطب: ص٢٨٥.

(٤) أخرجه ابن ماجه في كتاب الأدب، باب بر الوالدين والإحسان إلى البنات: ١٢١١/٢ ورقم الحديث ٣٦٧١، ولفظه "أكرموا أولادكم وأحسنوا آدابهم"، وقد ضعفه الجزائري في كتابه منهاج المسلم: ص٩١.

(٥) انظر: أصول التربية الإسلامية، عبدالرحمن النحلاوي: ص١٧٤.

وضابط الحزم: أن يُلزم الوالد ولده بما يحفظ دينه وعقله وبدنه وماله، وأن يحول بينه وبين مايضره في دينه ودنياه، وأن يلزمه التقاليد الاجتماعية المرعية في بلده مالم تعارض الشرع، قال ابن الجوزي – رحمه الله – "فإنك إن رحمت بكاءه لم تقدر على فطامه، و لم يمكنك تأديبه، فيبلغ جاهلاً فقيراً"[1].

وإذا كان المربي غير حازم فإنه يقع أسير حبه للولد، فيد لله، وينفذ جميع رغاته، ويترك معاقبته عند الخطأ، فينشأ ضعيف الإرادة منقاداً للهوى، غير مكترث بالحقوق المفروضة عليه[2].

وليس حازماً من كان يرقب كل حركة وهمسة وكلمة، ويعاقب عند كل هفوة أو زلة، ولكن ينبغي أن يتسامح أحياناً[3].

ومن مظاهر الحزم كذلك عدم تلبية طلبات الولد؛ فإن بعضها ترف مفسد، كما أنه لا ينبغي أن ينقاد المربي للطفل إذا بكى أو غضب ليدرك الطفل أن الغضب والصياح لا يساعده على تحقيق رغباته [4]، وليتعلم أن الطلب أقرب إلى الإجابة إذا كان بهدوء وأدب واحترام.

ومن أهم مايجب أن يحزم فيه الوالدان النظام المنزلي، فيحافظ على أوقات النوم والأكل والخروج، بهذا يسهل ضبط أخلاقيات الأطفال، "وبعض الأولاد يأكل متي شاء وينام متي شاء ويتسبب في السهر ومضيعة الوقت وإدخال الطعام على الطعام، وهذه الفوضوية تتسبب في تفكك الروابط واستهلاك الجهود والأوقات، وتنمي عدم الانضباط في النفوس.. وعلى رب الأسرة الحزم في ضبط مواعيد الرجوع إلى المنزل والاستئذان عند الخروج للصغار – صغار السن أو صغار العقل –" [5].

---

(١) صيدالخاطر: ابن الجوزي: ص٥٤٠.

(٢) انظر: كيف نربي أطفالنا، محمود الإستانبولي: ص٦٣.

(٣) انظر: أصول التربية الإسلامية، عبدالرحمن النحلاوي: ص١٧٥.

(٤) انظر: كيف نربي أطفالنا، محمود الإستانبولي: ص١٤٤.

(٥) أربعون نصيحة لإصلاح البيوت، محمد المنجد: ص٤٤.

٧- الصلاح: فإن لصلاح الآباء والأمهات أثراً بالغ الأهمية في نشأة الأطفال على الخير والهداية – بإذن الله – وقد قال سبحانه: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾

وفيه دليل على أن الرجل الصالح يُحْفَظ في ذريته، وتشمل بركة عبادته لهم في الدنيا والآخرة، بشفاعته فيهم، ورفع درجتهم إلى درجته في الجنة لتقر عينه كما جاء في القرآن العظيم ووردت به السنة المطهرة[١].

ومن المُشَاهد أن كثيراً من الأسر تتميز بصلاحها من قديم الزمن وإن ضل ولد أو زل فاء إلى الخير بعد مدة؛ لصلاح والديه وكثرة طاعتهما لله، وهذه القاعدة ليست عامة ولكن هذا حال غالب الناس

وقد يظن بعض الناس أن هذا لا أثر له، ويذكرون أمثلة مخالفة لذلك، ليبرروا تقصيرهم وضلالهم.

٨- الصدق: وهو "التزام الحقيقة قولاً وعملاً "، والصادق بعيد عن الرياء في العبادات، والفسق في المعاملات، وإخلاف الوعد وشهادة الزور، وخيانة الأمانات[٢].

وقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم المرأة المسلمة التي نادت ولدها لتعطيه، فسألها: "ماذا أردت أن تعطيه؟ " قالت: أردت أن أعطيه تمراً، فقال: "لو لم تعطيه شيئاً كتبت عليك كذبة" [٣].

ومن مظاهر الصدق ألا يكذب المربي على ولده مهما كان السبب، لأن المربي إذا كان صادقاً اقتدى به أولاده، وإن كان كاذباً ولو مرة واحدة أصبح عمله ونصحه هباء، وعليه الوفاء بالوعد الذي وعده للطفل، فإن لم يستطع فليعتذر إليه[٤].

---

(١) انظر: تيسير العلي القدير، محمد الرفاعي: ٣/٨٨-٨٩.

(٢) انظر: أخلاق المسلم، محمد مبيض: ص٦١.

(٣) أخرجه أبو داود في سننه: كتاب الأدب، باب في التشديد في الكذب: رقم الحديث (٤٩٩١) ٢/٧١٦، وأخرجه الإمام أحمد في مسنده: ٣/٤٤٧.

(٤) انظر: أخلاق المسلم، محمد مبيض: ص٧٢.

وبعض الأطفال يتعلم الرياء بسبب المربي الذي يتظاهر أمام الناس بحال من الصلاح أو الخلق أو الغني أو غيرها ثم يكون حاله خلاف ذلك بين أسرته[1].

٩- الحكمة: وهي وضع كل شيء في موضعه، أو بمعنى آخر: تحكيم العقل وضبط الانفعال، ولا يكفي أن يكون قادراً على ضبط الانفعال واتباع الأساليب التربوية الناجحة فحسب، بل لابد من استقرار المنهج التربوي المتبع بين أفراد البيت من أم وأب وجد وجدة وإخوان وبين البيت والمدرسة والشارع والمسجد وغيرها من الأماكن التي يرتادها؛ لأن التناقض سيعرض الطفل لمشكلات نفسية[2].

وعلى هذا ينبغي تعاون الوالدين واتفاقهما على الأسلوب التربوي المناسب، وإذا حدث أن أمر الأب بأمر لا تراه الأم فعليها ألا تعترض أو تسفه الرجل، بل تطيع وتنقاد ويتم الحوار بينهما سراً لتصحيح خطأ أحد الوالدين دون أن يشعر الطفل بذلك.

دلت الآيات والأحاديث على فضل تربية الولد، ومنها قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ﴾[3].

قال قتادة – رحمه الله – "تأمرهم بطاعة الله وتنهاهم عن معصية الله وأن تقوم عليهم بأمر الله وتأمرهم به وتساعدهم عليه، فإذا رأيت معصية قذعتهم عنها، وزجرتهم عنها"[4].

وعن ابن عمر – رضي الله عنه – قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، الإمام راع ومسؤول عن رعيته،

---

(١) انظر: أصول التربية الإسلامية، عبدالرحمن النحلاوي: ص١٧٣.

(٢) انظر: المشكلات النفسية عند الأطفال، زكريا الشربيني: ص١٤.

(٣) سورة التحريم الآية ٦.

(٤) تفسير ابن كثير: ٣٩١/٤.

والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها..." [1].

وقال صلى الله عليه وسلم: "ما من عبد يسترعيه الله رعية فلم يحطها بنصحه إلا لم يرح رائحة الجنة"[2].

وقال ابن عمر- رضي الله عنهما – " أدب ابنك فإنك مسؤول عنه، ماذا أدبته؟ وماذا علمته؟ وهو مسؤول عن برك وطواعيته لك"[3].

وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن التربية خير من الصدقة فقال: "لأن يؤدب الرجل ولده خير من أن يتصدق بصاع"[4].

كما أرشد إلى أن تعليم الولد الخلق الحسن أفضل من كل عطاء فقال "ما نحل[5] والد ولداً أفضل من أدب حسن"[6].

وأما تربية البنات فهي حجاب عن النار، فعن جابر بن عبدالله – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " من كان له ثلاث بنات: يؤدبهن، ويكفيهن، ويرحمهن، فقد وجبت له الجنة" فقال رجل من بعض القوم: وثنتين يا رسول الله؟ قال: "وثنتين"[7].

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الجمعة: باب الجمعة في القري والمدن، رقم الحديث(٨٥٥): ١٤/٦، وأخرجه أحمد في مسنده: ٥/٢، ٥٤ ، ٥٥.

(٢) رواه البخاري: كتاب الأحكام، باب من أسترعي رعية فلم ينصح، رقم الحديث(٦٧١٦): ١٩٩/٢٤، ومسلم في صحيحه: كتاب الإمارة، باب فضيلة الأمير العادل وعقوبة الجائر والحث على الرفق: ٢١٤/١٢، ورواه أحمد في مسنده: ١٥/٢.

(٣) تحفة المدود بأحكام المولود: ابن القيم: ص١٧٧.

(٤) أخرجه أحمد في مسنده: ٩٦/٥، والترمذي: كتاب البر والصلة: ٣٣٧/٤، والحاكم في المستدرك: ٢٦٣/٤، والطبراني: ٢٧٤/٢.

(٥) نحل: أي أعطي

(٦) رواه الترمذي في سننه: كتاب البر والصلة: ٣٣٧/٤-٣٣٨.

(٧) رواه مسلم: كتاب البر والصلة والأدب، باب فضل الإحسان إلى البنات: رقم الحديث ٢٦٢٩.

معني التربية والحاجة إليها وأهدافها

١ـ معني التربية

لكلمة التربية أصول لغوية ثلاثة: ١- ربا يربو: بمعنى زاد ونماقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ ءَاتَيۡتُم مِّن رِّبٗا لِّيَرۡبُوَاْ فِيٓ أَمۡوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرۡبُواْ عِندَ ٱللَّهِۖ وَمَآ ءَاتَيۡتُم مِّن زَكَوٰةٖ تُرِيدُونَ وَجۡهَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُضۡعِفُونَ ٣٩﴾

٢- ربي يربي: بمعني نشأ وترعرع قال ابن الأعربي:

فمن يك سائلاً عني فإني بمكة منزلي وبها ربيت

٣- رب يرب: ورب الشئ بمعني أصلحه وتولى أمره وساسه وقام عليه ورعاه.

ورب العالمين هو مربيهم ومتولي أمرهم ومصلحهم قال الإمام البيضاوي في تفسيره: " الرب في الأصل مصدر بمعنى التربية، وهي تبليغ الشيء إلى كماله شيئاً فشيئاً".

وقال الراغب الأصفهاني:

"الرب في الأصل التربية، وهي إنشاء الشيء حالاً فحالا إلى حد التمام"

ويرى "فيخته": "أن التربية هي العمل الذي يسعى إلى تحقيق جوهر الكائن الإنساني ككائن يسعى إلى الخير بذاته ولذاته".

ويعرف عالم النفس "هنري جولي" التربية بأنها: "مجموعة الجهود التي تهدف إلى أن تيسر للفرد الامتلاك الكامل لمختلف ملكاته وحسن استخدامها"

ويعرف عالم الاجتماع "دركهايم" التربية بأنها: "العمل الذي تحدثه الأجيال الراشدة في الأجيال الناشئة من أجل الحياة الاجتماعية، وتهدف إلى تأسيس وتنمية عدد من العادات الجسدية والعقلية والأخلاقية التي يطالب بها المجتمع السياسي والوسط الاجتماعي الذي يعد له ".

وكذلك يعرف "جون ديوي" التربية بأنها: "وظيفة اجتماعية".

ورأت الدكتورة "فاطمة الجيوشي" أن تعريفات التربية العديدة تتفق على أنها: "العمل الإداري الذي يحدثه الراشدون في الصغار لتحقيق هدف الفرد وهدف الجماعة التي ينتمي إليها في مناخ اجتماعي محدد".

والتربية تشمل النمو الجسمي والعقلي وزيادة القدرات المادية والمعنوية والتدريب والتوجيه، والإعداد للحياة، ورعاية الناشئ وتعليمه وصقل مواهبه، والأخذ بيده إلى مافيه صلاحه، وجعله يعمل على تحقيق أكبر نفع لنفسه ولغيره، ويصل إلى المستوي اللائق به والمناسب له، ويشعر بالسعادة في حياته.

والتربية أوسع معنى من التعليم الذي يكون بنقل المعلومات من المعلم إلى المتعلم؛ لأن التعليم يقتصر على الجانب العقلي، بينما تتعلق التربية بالجسم والعقل والنفس والروح، وتهتم بنمو الكائن بكل جوانبه.

فكل ما يحتاج إليه الإنسان لينمو وتزداد قوته يدخل في مجال التربية وكل تمرين أو عمل يؤثر في بنيته أو في ميوله وعواطفه تشمله التربية، وكل تعليم أو توجيه يؤثر على نفسية المرء، ويغير من اتجاهه يعتبر من محتواها وكل إعداد وتدريب يقصد به الفرد ليعود عليه بالنفع تتضمنه التربية، وكل تنشئة وتنمية جسمية أو فكرية أو نفسية تدخل في معناها.

والمربي الحق على الإطلاق هو الله الخالق جل وعلا، فهو الذي خلق الكائنات جميعها، وجعل بعضها ينمو ويتعلم الحصول على الغذاء والتمرين المناسبين، وهو الذي منح الإنسان العقل، وجعله قابلاً للتعليم والتدريب والتوجيه، وعمل المربي تابع لخلق الله وإيجاده، ونابع من شرع الله وكتابه، وإذا كانت التربية وفق الأسس التي شرعها الله كانت مواتية، وآتت ثمارها على أحسن وجه.

والتربية عملية هادفة لها أغراضها وأهدافها وغايتها، وهي تقتضي خططاً متدرجة، تسير فيها الأعمال التربوية وفق ترتيب منظم صاعد، ينتقل مع الناشئ ومن

٢ـ الحاجة إلى التربية

من الثابت منذ بدء الخليقة أن التربية يحتاج إليها كل كائن حي ينمو ويكبر، ويتعلم ويزداد قوة، ويتأثر بالتدريب والتوجيه، والكائنات قسمان: جامدة وحية. أما الكائنات التي نحسبها جامدة، وهي التي لاتتغذي ولا تنمو، فلا تخضع لأي عملية تربوية، وأما الكائنات الحية من نبات وحيوان وإنسان فهي التي تخضع للتربية، ويجعلها المربون حقلاً لأعمالهم، ولكل كائن ماينا سبه، وأبسط هذه الكائنات وأقلها حاجة إلى التربية النبات، وأشدها تعقيداً وأكثرها حاجة إلى التربية الإنسان، وإليك تفصيل ذلك:

١ ــ تربية النبات:

لا يهتم الناس بتربية كل أنواع النبات، وإنما يهتمون بتربية أنواع مخصوصة تفيدهم في الغذاء أو البناء أو يصنعون منها الألبسة والمفروشات، أو يتمتعون بالنظر إلى أوراقها الخضراء وأزهارها الجميلة ويبتهجون باستنشاق روائحها الشذية.

وأول ما يجب على من يريد تربية بعض النباتات أن يحدد الغاية من تربيتها، وهل يقصد التغذي بها، أو الحصول على ثمارها، أو الانتفاع بأخشابها، أو غير ذلك؟

ثم يجب أن يدرس تركيب التربة التي يريد زراعتها ويختار المزروعات المناسبة لها؛ فالتربة تختلف في تركيبها والعناصر المؤلفة لها، كما تختلف في ألوانها، وقد جعل الله هذا الاختلاف كالاختلاف في ألوان الثمار آية على قدرته، قال سبحانه وتعالى:

قَالَ تَعَالَىٰ: أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ

سُودٌ ﴿٢٧﴾ ﴾[1].

ولما كان الماء الذي يروي المزروعات متماثلاً في تركيبه في كل الأصقاع، فإن اختلاف التربة من مكان إلى آخر يجعل النباتات مختلفة في أشكالها وألوانها، بما أودعه الله في كل منها من الخاصية التي تجعله يمتص من التربة العناصر المناسبة له دون غيرها. قال تعالى:

قَالَ تَعَالَىٰ: وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۗ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾[2].

قَالَ تَعَالَىٰ: * وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۚ كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ۖ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾ ﴾[3].

قَالَ تَعَالَىٰ: وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ

---

(١) سورة فاطر الآية٢٧.

(٢) سورة الأنعام الآية٩٩.

(٣) سورة الأنعام الآية١٤١.

لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾[1].

وإذا غُرست التربة الطيبة بالأشجار الملائمة لها، وأُمدت بما تحتاج إليه، فإنها تصبح جنات بإذن الله، قال الله عز وجل:

﴿ وَفِي ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ ﴾[2].

ثم يجب أن تختار النباتات المناسبة لمناخ المنطقة التي تزرع فيها؛ فأشجار المناطق الحارة لا تعيش في المناطق الباردة، والنباتات التي تحتاج إلى رطوبة عالية لا تحتمل الجفاف الشديد، ولكل نوع من المزروعات فصل تزرع فيه، وما يزرع في الصيف لا ينمو إذا زرع في الشتاء، فيجب أن تزرع النبتة في الفصل المناسب لها.

وبعد تهيئة الأرض وبذرها أو شتلها بالغراس تحتاج إلى الري بالماء الذي ينزل من السماء أو الذي ينبع من الأرض. قال سبحانه:

﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ ﴾[3].

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِي ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًا ۗ إِنَّ

---

(١) سورة الأعراف الآية٥٨،٥٧.

(٢) سورة الرعد الآية٤.

(٣) سورة النحل الآية ١٠،١١.

فِي ذَٰلِكَ لَذِكۡرَىٰ لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٢١﴾ ﴾[1].

وحاجة النباتات إلى الماء تختلف في المقدار ومواعيد الري بحسب النوع والفصل والتربة والمناخ؛ فيجب جعل الماء بالمقدار المناسب وفي الوقت المناسب، أو زرع ما يتناسب مع كمية الماء التي تنزل من السماء كل عام في الأرض البعلية. وفوق ذلك يجب حرث الأرض وقلع الأعشاب الغريبة، وقطع الأغصان إلى ابسة والتي تنمو بشكل غير مرغوب فيه، كما يجب إضافة السماد ومكافحة الحشرات والأوبئة، وهذا كله يحتاج إلى خبرة ودراية لا يحيط به غير المختصين بهذا الشأن...

فإذا رُوعيت كل هذه الأمور فإن المحصول يكون وفيراً وجيداً.

فإن كان حبوباً فإنها تتضاعف إلى سبعمائة ضعف قال الله تعالى:

﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ ﴾[2].

وإن كان أشجاراً فإنها ترتفع عالية، وتتفرع أغصانها، وتعطي ثماراً يانعة جيدة.

﴿ أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا كَلِمَةٗ طَيِّبَةٗ كَشَجَرَةٖ طَيِّبَةٍ أَصۡلُهَا ثَابِتٞ وَفَرۡعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ ﴾[3]. وبذلك تحقق تربية البنات هدفها

٢ـ تربية الحيوانات:

لقد ذلل الله للإنسان بعض الحيوانات، واعتاد الناس تربيتها من قديم؛ لأنها تفيدهم في الغذاء والركوب عليها وتحمل أمتعتهم، ولأنهم ينتفعون من جلودها

---

(١) سورة الزمر الآية ٢١.

(٢) سورة البقرة الآية ٢٦١.

(٣) سورة إبراهيم الآية ٢٤،٢٥.

وأصوافها وأشعارها، ويسيرون بالنظر إليها، قال الله تعالى:

﴿وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۖ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ۝٥ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ۝٦ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا۟ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝٧ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٨ وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ ۚ وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ۝٩﴾ (١)

وامتن الله على الناس بأن سقاهم اللبن من ضروع الغنم والماعز والإبل والبقر. قال سبحانه: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ ۝٦٦﴾ (٢).

كما امتن عليهم بأن جعل هذه الحيوانات خاضعة لأصحابها، ينتفعون منها على وجوه عديدة، قال تعالى:

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا فَهُمْ لَهَا مَٰلِكُونَ ۝٧١ وَذَلَّلْنَٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ۝٧٢ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَمَشَارِبُ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ۝٧٣﴾ (٣)

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمَ لِتَرْكَبُوا۟ مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ۝٧٩ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَلِتَبْلُغُوا۟ عَلَيْهَا حَاجَةً فِى صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ۝٨٠﴾ (٤).

---

(١) سورة النحل الآيات ٥-٩.

(٢) سورة النحل الآية٦٦.

(٣) سورة يس الآيات ٧١-٧٣.

(٤) سورة غافر الآيات ٧٩-٨٠.

وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ حَمُولَةً وَفَرْشًا ۚ كُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٤٢﴾ ﴾ (١)

وعرف الناس فوائد العسل الذي تصنعه النحل، وأصبحوا يربون النحل للحصول على العسل والله هو الذي سخر النحل لهذا العمل.

وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾ (٢).

واستطاع الناس تعليم بعض الكلاب والطيور الجارحة للاعتماد عليها في الصيد.

قال تعالى يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ ۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَكُلُوا۟ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٤﴾ ﴾ (٣)

كما استطاعوا تعليم بعض الكلاب بالاعتماد على حاسة الشم القوية التي تمتاز بها أن تتعقب المتهمين بالقتل أو السرقة، أو تتبع الأثر للبحث عن المسروقات، واستطاعوا تعليم الحمام الزاجل واستخدامه في نقل الرسائل وبعض الأشياء الخفيفة.

وفي هذا العصر تمكن الإنسان من تربية الأسماك في الأحواض الكبيرة والبحيرات الصناعية، وافتن في تربية الطيور التي تعطيه اللحم والبيض، واعتني بتربية أنواع عديدة لما لها من الفائدة أو لما يجده فيها من المتعة، وتحديد الغاية من تربية الحيوان واختيار

---

(١) سورة الأنعام الآية ١٤٢.

(٢) سورة النحل الآية ٦٨

(٣) سورة المائدة الآية ٤.

النوع المناسب لذلك أمر أساسي، وقد يتوجب اختيار صنف معين لنوع من الحيوانات دون غيره؛ فالذي يريد تربية العجول لذبحها يختار صنفاً ينمو بسرعة ويكبر إلى حد لا تصل أصناف أخرى، كما أن الذي يريد تربية أبقار للبنها يختار صنفاً يدر اللبن بكميات كبيرة، وكذلك الذي يربي الدجاج للحصول على البيض يختار صنفاً يختلف عن الصنف الذي يربى للحصول على اللحم.

وبالإضافة إلى إعداد المكان المناسب للحيوان وتقديم ما يحتاج إليه من العلف والماء بطريقة فنية نظيفة ومريحة، وبمقادير مدروسة، أصبح الإنسان يعتمد على الآلات لحلب الأبقار، وجمع البيض وحفظ الألبان ومشتقاتها، وصناعة اللحوم ومعلباتها.

ولما كانت الحيوانات تمتاز عن النباتات بالحس والحركة، فمن الواجب على مربيها أن يحسن معاملتها لتستجيب له ولا تنفر منه، فالذي يعمد إلى فرس ليمسك بزمامها يعلم أنه إذا حمل بيده قبضة من العشب، ومشي نحوها بهدوء، وناداها برفق فإنها تقبل إليه؛ ولكنها تهرب منه إذا جاء إليها راكضاً، ولم يكن في يده شئ تأكله، والذي يريد تدريب مهر على الركوب فإنه يبدأ بوضع شئ خفيف على ظهره، ثم يزيد في ثقله، وهو يسوسه ويطعمه ويمشي بجانبه، حتى يمكنه من أن يعلو ظهره في الوقت المناسب.

وقد يتأثر الحيوان بالصوت الحسن والنغمات الموزونة أكثر من الضرب بالسياط، فالجمل مع بلادة طبعه يتأثر بالحداء تأثراً يستخف معه الأحمال الثقال، ويستصغر لقوة نشاطه في سماعه المسافات الطويلة وينبعث فيه من النشاط ما يسكره ويولهه؛ فترى الجمال إذا طالت عليها البوادي، واعتراها الإعياء والكلال تحت المحامل والأحمال، ما أن تسمع صوت الحادي حتى تمد أعناقها، وتصغي إليه ناصبة آذانها، وتسرع في سيرها حتى تتزعزع عليها أحمالها ومحاملها، وربما تتلف أنفسها من شدة السير ونقل الحمل وهي لاتشعر به لنشاطها.

وقد حكي أبو بكر محمد بن داود الدينوري قال: كنت بالبادية فوافيت قبيلة من

قبائل العرب، فأضافني رجل منهم، وأدخلني خباءه، فرأيت عبداً أسود مقيداً بقيد، ورأيت جمالاً قد ماتت بين يدي البيت، وقد بقي منها جمل، وهو ناحل ذابل كأنه ينزع روحه، فقال لي الغلام: أنت ضيف ولك حق، فتشفع في إلى مولاي، فإنه مكرم لضيفه، فلا يرد شفاعتك، فعساه يحل القيد عني.

قال: فلما أحضروا الطعام امتنعت وقلت: لا آكل ما لم أشفع في هذا العبد.

فقال: إن هذا العبد قد أفقرني، وأهلك جميع مالي. فقلت: ماذا فعل؟

فقال: إن له صوتاً طيباً، وإني كنت أعيش من ظهور هذه الجمال، فحملها أحمالاً ثقالاً، وكان يحدو بها حتى قطعت مسيرة ثلاثة أيام في ليلة واحدة من طيب نغمته، فلما أحمالها ماتت كلها إلا هذا الجمل الواحد، ولكن أنت ضيفي فلكرامتك وهبته لك.

قال: فأحببت أن أسمع صوته، فلما أصبحنا أمرته أن يحدو على جمل يستقي الماء من بئر هناك، فلما رفع صوته هام ذلك الجمل وقطع حباله ووقعت أنا على وجهي، فما أظن أني سمعت قط صوتاً أطيب منه.

وكانت الطيور تقف على رأس داود عليه السلام لاستماع صوته، قال تعالى ﴿۞ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضۡلٗاۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ وَٱلطَّيۡرَۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلۡحَدِيدَ ١٠﴾ (١).

وتوصل العلماء إلى إسماع الأبقار نغمات معينة حين حلبها يجعلها تقف هادئة وتدر اللبن، كما توصلوا إلى إسماع الزرازير والحيوانات التي يرغبون في إبعادها عنهم أصواتاً تجعلها تنفر وتبتعد؛ فتجنبت أضرارها.

وبذلك تدخل في تربية الحيوان عوامل ليست في النبات

---

(١) سورة سبأ الآية ١٠.

٣ـ تربية الإنسان:

إن تربية الإنسان أشد تعقيداً وأكثر أهمية، وهي تستغرق مدة أطول من تربية غيره من الكائنات

فأما المدة التي يحتاج إليها الإنسان في التربية فتدوم طوال حياته، لأنه لا يصبح كاملاً وإن طالت تربيته، فتراه يخطئ ويتعثر في سيره، ويقع في المشكلات من حين إلى آخر، ومهما حصل من العلوم، وتلقى من التربية يبقى محتاجاً إلى المزيد منها، وهذا سر قوله تعالى: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۗ وَلَا تَعۡجَلۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مِن قَبۡلِ أَن يُقۡضَىٰٓ إِلَيۡكَ وَحۡيُهُۥۖ وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا ١١٤﴾ (١).

وتبقي علوم الإنسان محدودة وضئيلة لقصور عقله وقلة إدراكه:

﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا ٨٥﴾ (٢).

ولذلك فإنه يحتاج إلى من يوجهه وينصحه ويربيه ويعلمه مادام حياً وتعظم حاجته إلى التربية في المراحل الأولى من عمره، وخاصة حين يصبح مميزاً قادراً على الفهم حتى سن البلوغ والرشد، أي مابين السنة السادسة والسابعة إلى الخامسة عشرة والثامنة عشرة من عمره. وأما أهمية تربية الإنسان فلمكانته المرموقة في هذا الكون؛ فقد جعله الله خليفة في هذه الأرض:

﴿وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗ﴾ (٣).

وسخر له ما في البر والبحر وما في السموات والأرض: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي سَخَّرَ

---

(١) سورة طه الآية ١١٤.

(٢) سورة الإسراء الآية ٨٥.

(٣) سورة البقرة الآية ٣٠.

لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِيَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾ ﴾[1].

وجعله من أكرم و أفضل المخلوقات:

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ ﴾[2]

والإنسان لا يستطيع إعمار الأرض وتحقيق الخلافة فيها، ولا يستطيع الاستفادة من ثروات الأرض وخيرات السماء على أحسن وجه، ولا يستحق التكريم والتفضيل إلا بالتربية الرفيعة التي ينالها والعلوم الهامة التي تعلمها؛ ولهذا أمر الله الملائكة بالسجود لآدم لما أخبرهم بأسماء الأشياء التي لم يتعلموها، قال سبحانه:

وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾

[3].

---

(١) سورة الجاثية الآيات ١٢-١٣.

(٢) سورة الإسراء الآية ٧٠.

(٣) سورة البقرة الآيات ٣١-٣٤.

وأما سبب تعقيد وصعوبة تربيته فلأنه توجد فيه عدة عناصر، ويتأثر بكثير من العوامل ولا تقتصر تربيه على جسمه كالنباتات والحيوانات، بل يجب أن تشمل عقله وروحه وانفعالاته أيضاً، وتفصيل ذلك نستأنفه بعد تحديد أهداف التربية.

٣ـ أهداف التربية

إن تحديد الهدف أمر أساسي في كل عمل، وبعد أن يتم توضيح الهدف، وتوجد القناعة بأهميته، تبين الطريق المؤدية إليه، ويبدأ السير مرحلة بعد مرحلة، وخطوة بعد خطوة، حتى الوصول إلى الغاية وتحقيق الهدف المرسوم وما لم يكن هذا فإن الجهود تتبعثر والخطوات تتعثر، ويصبح المرء كمن يدور في حلقة مفرغة، فيصل ويتثاقل إلى الأرض ولا يرغب في بذل أي جهد.

ومثال ذلك أنك لو طلبت من مجموعة من الناس أن يسيروا على طريق لا يعلمون طوله، ولا الغاية التي يبلغونها بعد قطعها، فإنك مهما حاولت أن تحثهم على متابعة السير، تجدهم يميلون إلى تقصير الخطوات، ويبدو عليهم التعب، ويرغبون في الجلوس والرجوع، أما لو كان الطريق بطول يقطعه المرء فى ساعة أو ساعتين، وكانت تنتهي بحديقة فيها الطعام اللذيذ والماء العذب والمناظرالجميلة والألعاب الممتعة، وكانوا بوصولهم إليها تفتح لهم أبوابها، ويقدم إليهم كل مايرغبون فيه بدون مقابل، وكان لديهم دافع إلى الطعام والشراب أو المتعة والتسلية، فإنهم يسيرون بأقصي سرعة، ولا يشعرون بأي تعب، ويتسابقون في الوصول إليها.

وكذلك حين يتم تحديد هدف التربية بشكل صحيح، ويكون هذا الهدف واضحاً للمربين ومقبولاً من الذين يعملون في حقلها ويتأثرون بها، وتوضع الوسائل المؤدية إلىه، ويبدأ العمل بأسإلىب محكمة؛ فإن التربية تؤتي ثمارها، وتصبح ذات أثر كبير في رقي الأمة وازدهار المجتمع.

فوضوح الهدف والرغبة في تحقيقه هو الأساس الأول، وتعيين الطريق الموصلة إلىه والوسائل اللازمة لبلوغه هو الأساس الثاني، وبدون ذلك لاتوجد تربية نافعة ولا

تظهر لها ثمار يانعة.

وإذا استعرضنا الأهداف التي نادى بها المربون في أوربا في العصر الحديث نجدها متعددة ومختلفة بحسب النزعة الفكرية لكل منهم:

" فكو مينوس" الذي يعد من أهم ممثلي الحركة الواقعية في التربيـــة في القـــرن السابع عشر جعل الهدف من التربية هو مساعدة الإنسان على الوصول إلى الســـعادة الأبدية، وذلك بالاتصال بالله، وكان المربون في عصره يرون أن التربية تساعد علـــى الوصول إلى تلك الغاية بتحطيم الغرائز والشهوات الطبيعية والعواطـــف، وســـلوك مسلك تهذيبي، وروحي يؤدي إلىها، أما كومينوس فكان يعتقد أن الغاية القصـــوى الدينية يحصل عليها الإنسان بسيطرته سيطرة خلقية على نفسه، ولضمان ذلك ينبغي أن يعرف الإنسان نفسه، وأن يعرف كل الأشياء؛ فالمعرفة والفضيلة والتقوى هي بهذا الترتيب الهدف من التربية.

ثم انتشر المذهب التهذيبي الذي يرى أنصاره أن عملية التعليم لا الموضوع المتعلم هي أهم شيء في التربية، ويمثل هذا المذهب التربوي "جون لوك" بقوله: إن أعظـــم عمل للمربي هو أن يقوم السلوك وأن يشكل العقل، وأن يغرس في تلميذه العـــادات الطيبة ومبادئ الفضيلة والحكمة، وأن يكون في نفسه فكرة عن النـــوع الإنســـاني، ويقوده إلى حب ماهو حميد وجدير بالثناء، وأن يعوده النشاط والحيوية والاجتهاد في أداء ما يعمل، وأن يعوده تحمل المشاق، وأن يدعه يتذوق قدراً يسيراً من طعم المـــادة التي يجب أن يتقنها بجهوده الخاصة، أما الدراسات التي يطلب منه القيام بها فهي تمرين لملكاته وحسن استغلال أوقاته حتى لا ينزع إلى التواني والكسل.

وأنصار النزعة النفسية في التربية يرون مع "بستالوتزي" (١٧٤٦-١٨٢٧م) أن المربي لا يغرس قوى جديدة في الإنسان، أو ينفخ فيـــه روح الحيـــاة، لأن مهمتـــه الأساسية هي منع أي قوة خارجية أن تقف في طريق النمو الطبيعي للفـــرد؛ فقـــوي الفرد الأخلاقية والعقلية والعملية يجلب أن تستمد حياتها من القوى الداخلية لا مـــن

مصادر صناعية.

والتربية في نظره عبارة عن النمو العضوي للفرد سواء أكان هذا النمو أخلاقياً أو عقلياً أو جسمياً، وهي نمو جميع قوى الإنسان وملكاته نمواً طبيعياً تقدمياً منسجماً.

أما هربارت (١٧٧٦-١٨٤١م) وهو من أصحاب النزعة النفسية أيضاً فقد جعل الغرض من التربية أخلاقياً بقوله: "فالعمل الوحيد والكلي للتربية يمكن أن يلخص في كلمة الأخلاق"، وقوله: "إن لفظ الفضيلة يعبر عن الغرض من التربية جميعه"، والفضيلة في نظره هي: "الحرية الباطنية التي تطورت إلى حقيقة واقعة ثابتة في الفرد".

وكذلك "فروبل" (١٧٨٢-١٨٥٢م) اعتبر هدف التربية هو النمو وعملية التربية هي عملية نمو، وليس هناك أهداف خارجية، كما أكد الناحية الخلقية في التربية، وجعل مهمة التربية بناء الأخلاق؛ لأنها توجه نشاط الطفل، وتربطه بالحياة وتكشف عن طبيعته الباطنية عن طريق العمل.

وأصحاب النزعة العلمية يحددون الغرض من التربية بأنه الإعداد للحياة الكاملة وهذا يكون بالحصول على القدر الكافي المناسب من المعرفة لتكوين الإنسان من الناحية الفردية والاجتماعية، وبتنمية القدرة على استخدام هذه المعرفة.

أما أصحاب النزعة الاجتماعية فينظرون إلى التربية على أنها وسيلة لبقاء الجماعة ونموها، ويتناولون البحوث التربوية بطريق دراسة بناء المجتمع ومظاهر النشاط والمطالب الاجتماعية، وهدف التربية في نظرهم هو إعداد الفرد للمشاركة الناجحة في حياة زملائه الاقتصادية والسياسية والاجتماعية وعلى العموم توجد أهداف ونظريات عديدة في التربية نجملها فيما يلي:

١- التربية لكسب الرزق.

٢- نظرية تحقيق الذات.

٣- نظرية النمو.

٤- نظرية إيجاد المواطن الصالح.

١- والذين قالوا بالهدف الأول، وجعلوا التربية وسيلة للتدريب على الأعمال اللازمة لكسب الرزق، ضيقوا مجال التربية، وحطوا من شأنها؛ لأن الإنسان لا تقتصر حاجته على إشباع دوافع جسده، ولا يحتاج إلى كل هذا الإعداد وهذا المجهود للحصول على الرزق، فقد قدر الله للناس أرزاقهم، وهيأ لكل مخلوق ما يحتاج إليه، قال تعالى: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ ٢٢ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِنَّهُۥ لَحَقّٞ مِّثۡلَ مَآ أَنَّكُمۡ تَنطِقُونَ ٢٣﴾[1].

﴿أَهُمۡ يَقۡسِمُونَ رَحۡمَتَ رَبِّكَۚ نَحۡنُ قَسَمۡنَا بَيۡنَهُم مَّعِيشَتَهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَرَفَعۡنَا بَعۡضَهُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ لِّيَتَّخِذَ بَعۡضُهُم بَعۡضٗا سُخۡرِيّٗاۗ وَرَحۡمَتُ رَبِّكَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ٣٢﴾[2].

والرزق موجود في مناكب الأرض بما يكفي كل الناس، وما على الإنسان إلا أن يسعى إليه ويستخرجه من مستودعه:

﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ مِن فَوۡقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقۡوَٰتَهَا فِيٓ أَرۡبَعَةِ أَيَّامٖ سَوَآءٗ لِّلسَّآئِلِينَ ١٠﴾[3].

وقد تكفل الله برزق خلقه جميعاً حتى الحيوانات والحشرات: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٖ لَّا تَحۡمِلُ رِزۡقَهَا ٱللَّهُ يَرۡزُقُهَا وَإِيَّاكُمۡۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ

---

(١) سورة الذاريات الآيات ٢٢-٢٣.

(٢) سورة الزخرف الآية ٣٢.

(٣) سورة فصلت الآية ١٠.

﴿٦٠﴾ (١).

وما يروجه بعض الكتاب من أن زيادة الغذاء الذي يتم الحصول عليه لا تتناسب مع زيادة عدد السكان وهم باطل، وإذا وجدت مجاعة في بلد ما فسببها سوء الاستغلال وسوء التوزيع، فلو استغلت الأرض الصالحة للزراعة استغلالاً جيداً، واستغلت مياه الأمطار وإلينابيع لري المزروعات، واستغلت الثروات المخبوءة في أعماق البحار والمحيطات ووزع ذلك على أساس العدل والمساواة، لفاضت الخيرات وعمت البركات:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾﴾ (٢).

وسوء الاستغلال يجعل بعض الجشعين يحرصون على زراعة مايزيد أرباحهم لا ما يحتاج إليه الناس، وسوء التوزيع يجعل بعض المحاصيل الزراعية تتراكم في خزانات أولئك الجشعين بدلاً من توزيعها على المحتاجين إليها، وهذا ما ينذر المجتمع بكارثة خطيرة:

---

(١) سورة العنكبوت الآية ٦٠.

(٢) سورة الأعراف الآية ٩٦.

﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (١).

وأولئك الذين يجعلون التربية وسيلة للحصول على شهادة للعمل في إحدى المهن والوظائف لا يستفيدون من التربية فائدة كبيرة، ولا يحصلون على الرزق الوفير، وكم من جاهل يزيد دخله على دخل المتعلم، وكم من أمي يملك أضعاف ما يملكه حامل الشهادات العليا.

والرسول صلى الله عليه وسلم أمرنا بالقناعة والزهد، ونهانا عن الطمع ومحاولة الحصول على الرزق بالوسائل غير المشروعة.

"إن روح القدس نفث في روعي: لن تموت نفس حتى تستوفي رزقها وأجلها، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب"

وبالتإلى فلا ننكر أن التربية تسهم في رفع مستوى المعيشة وتحسين سبل الحصول على الأرزاق، ولكن كسب الرزق إذا جعله بعض الأفراد هدفاً لهم، فلا يصح أن يعتبر هدفاً عاماً أساسياً، ويجب البحث عن هدف آخر.

٢- نظرية تحقيق الذات: تعني هذه النظرية أن تجعل للفرد – من خلال التربية – شخصية قوية، وأن يشعر بكيانه المستقل، ويصبح له وجود ذو أهمية، ويحصل على مكانة مرموقة في المجتمع.

غير أن الصفات التي يحقق بها الفرد ذاته تختلف من واحد إلى آخر، ومن مجتمع إلى سواه، بحسب عقيدته وثقافته ونظرته إلى الوجود، فلا يمكن تحديد معايير موضوعية لتحقيق الذات، وتكون مقبولة في كل البلدان والأزمان ثم إن هذه النظرية تجعل الأفراد في سباق وصراع دائمين لتحقيق الذات، وكل منهم يريد أن يتفوق على

---

(١) سورة الأنعام الآيتان ٤٤-٤٥.

غيره، ويتبوأ مكان الصدارة، وهذا وإن كان له أثره الجيد في الرقي والتقدم، إلا أنه يكون على حساب العلاقات الإنسانية والعواطف النبيلة التي تجعل الإنسان يفعل الخير دون أن تكون الأضواء مسلطة عليه، ويأخذ بيد الضعيف، ويساعد العاجز، ويحسن إلى المحتاج بدون أن يرغب في جزاء أو ثناء سوى ما أعده الله للمحسنين، وكان نتيجة هذه النظرية في المجتمعات الغربية تفكك المجتمع وانحلال الأسرة والتردي في حمأة المادية، واضمحلال القيم التي تجعل الناس أخوة متحابين، أما تأثير النظرية على العلاقات بين الدول فهو أشد خطراً وأعظم وقعاً في سباق جنوني لتملك أسباب القوة والهيبة، وهذا ما يؤدي إلى الحروب فيما بينها بدلاً من أن يعم السلام والأمن.

٣ـ نظرية النمو:

قال الفيلسوف "كانط": (إن هدف التربية هو أن تنمي لدى الفرد كل ما يستطيعه من كمال) ويعني بهذا الكمال العقلي، وعلى الأخص الكمال الخلقي، وتحرص هذه النظرية على إزالة كل ما يعيق النمو السليم، وعلى توفير الوسائل التي تسهل نمو الجسم والعقل، وتزيد مختلف القوى المادية والمعنوية للإنسان.

غير أنها لا تحدد الغاية من استكمال الإنسان نموه وقوته، ولا تبين ما يعمله الإنسان بعد أن يجتاز فترة النمو المقدرة له؛ فكأن هذه النظرية تجعل الوسيلة هدفاً، وتتعامى عن الهدف الصحيح.

نظرية إعداد المواطن الصالح:

إن معظم النظم البشرية وكثيراً من حكام ورجال هذا العصر يجعلون إعداد المواطن الصالح هدفاً للتربية، ويحاولون التوفيق بين حقوق الفرد وواجباته الاجتماعية، وإيجاد التوازن بينهما، كذلك التوفيق بين "نموالذات" وبين السعادة أو الرفاهية الاجتماعية.

وهذه النظرية إن كانت مقبولة داخل حدود الوطن الواحد، فإنها غير مقبولة على مستوى الإنسانية؛ لأن المواطن الصالح قد يعامل أبناء وطنه باحترام وتقدير،

ويحافظ على حقوقهم ويصون كرامتهم، ولكنه قد يحتقر أبناء الأوطان الأخرى ويسلب أموالهم، ولهذا فإن الأوربي المتأثر بهذه النظرية يحترم أبناء وطنه، ويعاملهم معاملة إنسانية تتحقق فيها العدالة والمساواة، ولكنه حين يذهب إلى آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية يصبح كالوحش المفترس، يستعبد الناس ويذلهم وينهب ثرواتهم، ويعيث في الأرض فساداً، وهو في هذا لا يتعدى الهدف المرسوم له.

وبعد هذا العرض والتلخيص لأهداف التربية المختلفة، نعرج على هدف التربية في الإسلام، ولا بد من استنباطه من القرآن والسنة.

هدف التربية في القرآن والسنة:

تهدف التربية بالقرآن والسنة إلى جعل الإنسان يحقق الغاية التي خلق من أجلها، وهي عبادة الله سبحانه، بدليل قوله تعالى:

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴾ (١).

وعبادة الله لا تقتصر على الصلاة والصيام والزكاة والحج؛ لأن هذه العبادات – وإن كانت أركان الإسلام – لا تستغرق حياة الإنسان كلها، ولا تستنفد جهوده جميعها، والعبادة التي خلقنا الله لأجلها تشمل كل طاعة يتقرب فيها العبد إلى ربه، وكل عمل صالح يعود على صاحبه أو على غيره بالنفع، ويقصد به وجهه الكريم، والعمل هو الذي يستغرق من الإنسان حياته، ويجزي عليه بعد مماته، قال تعالى:

﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴾ (٢).

والذي يقوم بالأعمال الصالحة يكون إنساناً صالحاً، ولا يقتصر صلاحه على نفسه وأبناء وطنه؛ بل يشمل الإنسانية جميعها والخلائق كلها.

---

(١) سورة الذاريات الآية ٥٦-٥٨.

(٢) سورة الملك الآية ٢.

وبذلك يكون هدف التربية في الإسلام هوإعداد الإنسان الصالح؛ وهو الإنسان التقي الذي يعبد الله ويهتدي بهديه، وهو الذي يعمر الأرض ويفي بشروط الخلافة فيها، وهو الذي يحيا حياة فاضلة سعيدة؛ لأنه استجاب الله، ونظم أمور حياته بأحكام شريعته، عملاً بقوله سبحانه:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ (١).

وقد وعد الله المؤمنين الصالحين الذين يطيعون الله ورسوله، ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة بأن يجعل لهم مكانة عالية في الأرض ويثبت أقدامهم فيها، وأنذر الكافرين الذين أعرضوا عن هديه بالدمار والبوار. قال سبحانه:

﴿ قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْ ۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ۝ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ۝ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (٢).

وهذا الهدف يتناول جوانب الإنسان وكيانه كله، ولابد لتحقيقه من تنمية جسمه وحفظ صحته، وتقويم لسانه وتثقيف عقله، وتزويده بالعلوم الصحيحة النافعة، ويتناول تدريبه على وسائل الكسب، وإرهاف شعوره بجمال الكون، وتعريفه بحقوق المجتمع والبشرية، ويشمل أقسام التربية كلها

---

(١) سورة الأنفال الآية ٢٤.

(٢) سورة النور الآيات ٥٤-٥٦.

مجالات التربية

من الأهمية بمكان أن نبين أن التربية تتناول كل جوانب الإنسان الجسمية والعقلية والروحية، ثم تتجاوز ذلك إلى تهذيب انفعالاته وعواطفه، وتهتم بمشاعره وأحاسيسه، وتحدد علاقته بغيره على أسس سليمة.

فهي تشمل التربية البدنية والتربية العقلية، والتربية الروحية والتربية الاجتماعية، والتربية الانفعالية والتربية الجمالية.

وهذا ما نفصله فيما يلي:

أولاً: التربية البدنية:

أول مايقع عليه نظرنا من الإنسان هو جسمه المميز له، وهو كغيره من الثدييات يولد صغيراً ضعيفاً، ثم ينمو ويقوى شيئاً فشيئاً حتى يبلغ أوج قوته.

وبعد ذلك تميل أعضاؤه إلى الضمور، وقوته إلى الضعف، حتى تنتهي حياته على هذه الأرض، ولقد أنعم الله على الإنسان بالصورة الحسنة والقامة المعتدلة. قال سبحانه: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ (١).

ومنحه عينين جميلتين يبصر بهما، ولساناً ينطق به، وشفتين رقيقتين تحفظان فمه وأسنانه، وتعينانه على الكلام والطعام

﴿ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴾ (٢).

والثدييات – بما فيها الإنسان – تتغذى باللبن بعد ولادتها لفترة تطول لدى الإنسان إلى عامين، وتقر لدى غيره إلى أشهر معدودة.

---

(١) سورة التين الآية ٤.

(٢) سورة البلد الآيتان ٨-٩.

قال تعالى: (وفصله في عامين) [1].

وأفضل لبن يتغذى به الطفل من الناحية الصحية والنفسية والاقتصادية هو لبن أمه، وقد ثبت علمياً أن تركيب لبن الأم يتغير مع نمو الطفل الرضيع بما يتناسب مع حاجته إلى الغذاء وقدرته على هضمه؛ فيكون رقيقاً خفيفاً في البدء، ثم يزداد تركيزاً وكثافة كلما كبر الرضيع، وهذا اللبن يكون نظيفاً غير ملوث بالجراثيم التي تملأ الزجاجة والحلمة الصناعية التي تقدم إليه بدلاً من ثدي أمه، وشعور الطفل بالأمن والسرور حين يوضع في حجر أمه لترضعه يجعله يستفيد من لبنها فائدة كاملة وينمو نمواً حسناً من الناحية الجسمية والعاطفية.

وبعد الفطام يحتاج الطفل إلى الغذاء، وقد أحل الله لنا الطعام الطيب النافع: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ ﴾ [2].

وحرم علينا ما هو ضار خبيث:

﴿ قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٖ يَطۡعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيۡتَةً أَوۡ دَمٗا مَّسۡفُوحًا أَوۡ لَحۡمَ خِنزِيرٖ فَإِنَّهُۥ رِجۡسٌ أَوۡ فِسۡقًا أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦۚ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ [3]

نهانا عن الإسراف في الطعام والشراب، لأنه يؤدي إلى اضطراب في جهاز الهضم، أو يجعل خلايا الجسم تتكدس بالشحم الذي تنوء بحمله الأطراف، ويصبح عبئاً ثقيلاً على القلب، قال تعالى: ﴿ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴾:

---

(١) سورة البقرة الآية ١٦٨.

(٢) سورة الأنعام الآية ١٤٥.

(٣) سورة الأنعام الآية ١٤٥.

(١).

وأمرنا بالصيام لأنه يؤدي إلى تنقية الجسم من الفضلات والرواسب المتراكمة فيه؛ مما يجعله كبير النفع من الناحية الصحية، بالإضافة إلى فوائده الخلقية والنفسية والروحية. قال تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ (٢).

ويحتاج الناس إلى ثياب تقيهم البرد والحر، وتستر عوراتهم، وتزين أجسامهم وقد امتن الله عليهم بتوفير المواد التي تصنع منها الثياب وتعليمهم صنعها:

﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ﴾ (٣).

وعورة الرجل الواجب ستره ما بين السرة والركبة، وعورة المرأة على المرأة مثل ذلك، وعورتها على الرجل الأجنبي عنها كل جسمها عدا الوجه والكفين، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿ قُل لِّلۡمُؤۡمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِمۡ وَيَحۡفَظُواْ فُرُوجَهُمۡۚ ذَٰلِكَ أَزۡكَىٰ لَهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ وَقُل لِّلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَغۡضُضۡنَ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِنَّ وَيَحۡفَظۡنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبۡدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنۡهَاۖ وَلۡيَضۡرِبۡنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّۖ وَلَا يُبۡدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوۡ ءَابَآئِهِنَّ أَوۡ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوۡ أَبۡنَآئِهِنَّ أَوۡ أَبۡنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوۡ إِخۡوَٰنِهِنَّ أَوۡ بَنِيٓ إِخۡوَٰنِهِنَّ أَوۡ بَنِيٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوۡ نِسَآئِهِنَّ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيۡرِ أُوْلِي ٱلۡإِرۡبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفۡلِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يَظۡهَرُواْ عَلَىٰ عَوۡرَٰتِ ٱلنِّسَآءِۖ وَلَا يَضۡرِبۡنَ

---

(١) سورة الأعراف الآية ٣١.

(٢) سورة البقرة الآية ١٨٣.

(٣) سورة الأعراف الآية ٢٦.

بِأَرْجُلِهِنَّ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[1].

وقد رخص الإسلام للمرأة أن تكشف عن رأسها وساعديها وساقيها أمام محارمها المذكورين في الآية السابقة لأنه يكثر اختلاطها بهم، وقد تعيش معهم في بيت واحد، فلو أمرت بالستر أمامهم كما تفعل حين تخرج من البيت لوقعت في الحرج، وإذا كشفت هذه الأعضاء للقيام بأعمال المنزل، فلا يراها فيها أحد غيرهم، ولا يخشى عليهم من الفتنة بها إذا نظروا إليها في تلك الحالة.

أما الرجل، فعمله خارج المنزل قد يجعله يكشف عن رأسه ويديه وساقيه، وهو مرخص له في ذلك، وهذا الحكم يدل على يسر الإسلام وحكمته.

ومع أن الناس تعلموا صنع الألبسة الناعمة والجميلة إلا أن كثيراً من الذين لم يهتدوا بهدي هذا الدين، ولم يتربوا بتربيته يكشفون ما أمر الله بستره من أجسامهم، وهم في ذلك يرجعون القهقهري، ويفعلون كالإنسان البدائي الذي لم يكن يجد ما يستر به جسمه، وبهذا يبؤون بغضب من الله، ويصبحون أتباعاً للشيطان عدوهم الأول الذي حذرنا الله من غوايته:

﴿ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾[2].

وحثنا الإسلام على القيام بالتمرينات التي تزيد الجسم قوة ونشاطاً وللصلاة أثر ملموس في هذه الناحية، فهي تجعل معظم عضلات الجسم تتحرك برفق مرات عديدة كل يوم، مما يحفظ عليها مرونتها، كما أنها تنشط الدورة الدموية بسبب تغير أوضاع

---

(١) سورة النور الآيتان ٣٠-٣١.

(٢)سورة الأعراف الآية ٢٧.

الجسم ما بين الركوع والسجود والقيام والجلوس والطهارة التي لا تصح الصلاة بدونها تجعل الجسم نظيفاً ونشيطاً، وتقيه شر كثير من الجراثيم والفطريات التي تعلق به، فإذا اغتسل أو توضأ سقطت عنه.

ونهانا الإسلام عن التعرض للأوبئة والاختلاط بالمصابين بالأمراض السارية، وشرع مبدأ الحجر الصحي، وأمر بالتداوي.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "إذا سمعتم بالطاعون في أرض فلا تدخلوها، وإذا وقع في أرض وأنتم فيها فلا تخرجوا منها"

وقال: "تداووا فإن الله لم يضع داء إلا وضع له دواء"

وحرم الإسلام الانتحار والقتل بدون حق وإيقاع أي ضرر بالجسم، وشرع القصاص والجزاء العادل لمن يقدم على قتل غيره أو يتلف عضواً منه، للمحافظة على سلامة الإنسان وحقه في الحياة.

ومن واجب القائمين على التربية في المدارس والمعاهد أن يولوا الناحية الجسمية لطلابهم العناية اللائقة، ويتم ذلك بقياس طول كل طالب ووزنه، وملاحظة تناسب القياس مع سنه، ويعاد القياس مع كل سنة على الأقل، مع تقديم الوصايا اللازمة إذا ظهر أي تأخر أو اضطراب في النمو، ويجب تقديم وجبة غذائية للطلاب تمنح أجسامهم العناصر التي تحتاج إليها، كما يجب أن يشرف عليهم لجنة طبية تفحص عيونهم وآذانهم وأسنانهم وسائر حواسهم وأعضائهم في أوقات معينة، وتقدم العلاج لكل من يحتاج إليه، ويجب تعليمهم العادات الصحية في طعامهم وشرابهم وعملهم وجلوسهم وأحوالهم كلها، ثم يجب أن تكون مقاعد الطلاب مناسبة لأجسامهم، وأن تكون الغرف التي يدرسون فيها نظيفة وجيدة التهوية والتدفئة والإضاءة، وأن تكون التمرينات الرياضية التي يقومون بها مناسبة لأعمارهم وقواهم.

فإذا ما روعيت كل هذه الأمور نبتت الأجسام نباتاً حسناً، ونمت نمواً سليماً، وبذلك يصبح الإنسان قوي الجسم صحيح البنية، وهذا مايجعله يضطلع بالتكإليف

الملقاة عليه، ويقوم بالواجبات المطلوبة منه.

ثانياً: التربية العقلية:

هذه التربية أهم وأخطر من التربية الجسمية، لأن الإنسان يمتاز عن الحيوان بعقله لا بجسمه، فكثير من الحيوانات أعظم منه جسماً وأشد منه قوة، وهو يستطيع التغلب عليها وتجنب أذاها، وإخضاعها له بعقله ودهائه.

وليس العقل تلك الكتلة من الأعصاب الموجودة داخل عظام الجمجمة والتي يسمونها الدماغ، ولكن الدماغ ضروري لحياة الإنسان ولقيام أعضائه بوظائفها، ولجعله قادراً على الحس والشعور والتعلم كضرورة القلب لحياة الجسم، ونسبة العقل إلى الدماغ كنسبة الرؤية إلى العين، ونسبة الحركة إلى إليد فالعقل نتيجة خاصية جعلها الله في الدماغ، يفارق بها الإنسان سائر البهائم، وهو الذي يستعد به لقول العلوم النظرية وتدبير الصناعات الخفية الفكرية، وبه يعرف عواقب الأمور.

ولا تعني التربية العقلية نمو الدماغ، فنموه مرتبط بنمو الجسم وهو مع نموه وزيادة حجمه لا تتكاثر خلاياه ولا تتجدد طيلة الحياة، فالخلايا العصبية تتكون أثناء فترة الحمل، والإنسان جنين في بطن أمه، وتبقى تقوم بوظائفها حتى يعتريها الضمور والتلف في فترة الهرم والشيخوخة، ولكن التربية العقلية تنصرف إلى الذكاء وزيادة القدرة على التفكير والإبداع، وجعل الإنسان أكثر علماً ومعرفة، وجعله يزداد خبرة ومهارة، للقيام بمهمته في الحياة على أكمل وجه.

والقدرات العقلية للإنسان تنمو بالتعلم والتدريب وبالاطلاع والتفكير، ويمكن لعلماء النفس قياس الذكاء وملاحظة ارتفاعه بالتربية المناسبة، كما يمكن لغيرهم قياس طول القامة وملاحظة زيادتها في فترة النمو، ويجب أن تخضع المناهج التربوية للدراسة والتجربة، وأن تجعل بشكل يؤدي إلى نمو الذكاء والقدرة على التفكير، ولا تقتصر على معلومات تلقن للطلاب، ويؤمرون بحفظها، بدون نظر إلى حاجتهم إليها، وصلتها بالحياة التي تسعى التربية لإعدادهم لخوض غمارها.

ولقد مضي العصر الذي كان يظن فيه أن العلماء توصلوا لمعرفة كل شيء، وكانت المناهج التربوية فيه تشمل خلاصات كل العلوم، ليحفظها الطلاب، فالعلماء أصبحوا أكثر تواضعاً ويقيناً بأن علومهم محدودة، وأن ما يجهلونه أكثر مما يعلمونه، وتتسع دائرة المجهول أمامهم كلما اتسعت الدائرة التي تنطوي فيها معلوماتهم، وظروف الحياة لا تبقي على نمط واحد، بل تتغير من حين إلى آخر، وتزداد سرعة تغيرها بتقدم الحضارة ورقي المجتمع، ولذلك أصبحت التربية تسعي لجعل الإنسان يواجه الظروف المختلفة التي تمر عليه، وتجعله يكتسب مرونة وقدرة على التفكير والتكيف مع الظروف الجديدة، وإيجاد الحلول لكل المشاكل الطارئة، وتجعله يبدع طرقاً جديدة، في إنجاز أعماله، ويخترع أدوات حديثة تسهل عليه مهامه، ويبتكر أجهزة معقدة تقوم بما لم يكن في الحسبان.

ولأن التفكير والعلم هما الزاد الذي يغذي العقل وينمي الذكاء، فإن القرآن الكريم أمر بإعمال الفكر وتحصيل العلم، وأثنى الله فيه على العلماء المفكرين والعقلاء الباحثين الذين يفكرون في السموات والأرض، وينظرون إلى ما فيهما من أشياء محكمة الصنع، ويعلمون ما تجري عليه الحوادث من نظام دقيق؛ فيؤمنون بالله الواحد الذي خلق الكون ونظم الوجود قال سبحانه:

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأٓيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (١).

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ (٢).

---

(١) سورة البقرة الآية ١٦٤.

(٢) سورة آل عمران الآيتان ١٩٠-١٩١.

﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَـٰتٍ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْىِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (١).

وبالمقابل ذم الله المعطلين لعقولهم وحواسهم، والمتبعين لآبائهم اتباعاً أعمى بدون تفكير وبغير برهان قال سبحانه:

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۗ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ (٢).

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُوا۟ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ (٣).

فهم لا يقبلون الحقائق العلمية، ولا يهتدون بكتاب منزل، ولكنهم ضالون متكبرون، يتبعون الشيطان الذي يوردهم المهالك.

قال الله تعالى:

﴿ أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَـٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَـٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَـٰبٍ مُّنِيرٍ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَـٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ (٤).

---

(١) سورة الروم الآيات ٢٢-٢٤.

(٢) سورة البقرة الآية ١٧٠.

(٣) سورة المائدة الآية ١٠٤.

(٤) سورة لقمان الآيتان ٢٠-٢١.

وليس أضر على الإنسان وأخطر على الحق من اتباع الهوى وتعطيل العقل والحواس، قال سبحانه:

﴿ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ وَكِيلًا أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ (١).

ومما يدل على قيمة العلم أن الله عز وجل امتن على الإنسان بخلقه وبتعليمه القرآن والبيان، أي التعبير عن الأفكار والإفصاح عن المعاني فقال:

﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴾ (٢).

ولعل هذا الجمع بين ذكر خلق الإنسان وتعليمه، وذكر تعليمه قبل ذكر خلقه وبعده، لدليل على أنه لا شأن للإنسان بغير العلم، ولا غنى له عنه.

وفوق ذلك فقد رفع الله من شأن العلماء الأتقياء، ودل على فضلهم بقوله:

﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ (٣).

وبين الرسول صلى الله عليه وسلم المنزلة العالية للعلماء والأجر الكبير الذي يحصلون عليه بقوله:

"ومن سلك طريقاً يطلب فيه علماً سلك الله به طريقاً من طرق الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضاً لطالب العلم، وإن العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض، والحيتان في الماء، وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، وأن العلماء ورثة الأنبياء، وأن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا

---

(١) سورة الفرقان الآيتان ٤٣-٤٤.

(٢) سورة الرحمن الآيات ١-٤.

(٣) سورة الزمر الآية ٩.

درهماً، ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر"

وذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم رجلان: أحدهما عابد والآخر عالم فقال:

"فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم، ثم قال: إن الله وملائكته وأهل السموات والأرض حتى النملة في جحرها وحتى الحوت ليصلون على معلم الناس الخير"

والعالم يؤجر على علمه، ويبقى ثوابه يكتب له بعد موته، ما دام الناس ينتفعون بعلمه، ويستفيدون من مخترعاته.

وعن أبي هريرة – رضي الله عنه – عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

"إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له"

والعلماء هم أشد الناس خشية لله وأقواهم إيماناً به، بسبب ما يتوصلون إلى معرفته من الآيات الناطقة بعظمته وحكمته.

قال سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ۝ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ (١).

والعلم المذكور في هذه الآيات وغيرها لا يقتصر على القرآن وأحكام الشرعية، بل يشمل كل العلوم النافعة للإنسان.

والآية السابقة التي تضمنت خشية العلماء لله أعقبت ذكر ما يهتم به المختصون في علوم الطبيعة، كعلماء الفلك وعلماء الأجناس البشرية، وعلماء طبقات الأرض

(١) سورة فاطر الآيتان ٢٧-٢٨.

والنبات والحيوان، وهذا يدل على عناية الإسلام بالعلوم كلها بدون تمييز بين العلوم الدينية والعلوم الطبيعية.

وقد جعل الله العلماء شهوداً على أهم قضية في العقيدة، وهي وحدانية الله عز وجل، وقرن شهادتهم بشهادته وشهادة ملائكته، فقال: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ (١).

وجعلهم حكاماً على الناس يوم القيامة. قال سبحانه:

﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُواْ غَيْرَ سَاعَةٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَانُواْ يُؤْفَكُونَ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ ۖ فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (٢).

والعلماء يشفعون في الخلائق يوم القيامة ومرتبتهم بعد مرتبة الأنبياء.

عن عثمان بن عفان – رضي الله عنه – عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "يشفع يوم القيامة ثلاثة: الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء".

ولطالب العلم ثواب كالجهاد في سبيل الله.

قال رسول صلى الله عليه وسلم: "من خرج في طلب العلم كان في سبيل الله حتى يرجع" وبلغ احترام العقل في هذا الدين أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يكن يعتمد في دعوته على المعجزات التي يقف الإنسان مبهوتاً أمامها.

وإنما كان يدعو الناس بالحكمة، ويقنعهم بالحجة، ويأمرهم بالتفكير في هذا الوجود كلما طلبوا منه معجزة خارقة. قال تعالى: "﴿ وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ

---

(١) سورة آل عمران الآية ١٨.

(٢) سورة الروم الآيتان ٥٥-٥٦.

يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾ (١).

فانظر كيف نقلهم من طلب المعجزة إلى التفكير في الحيوانات والطيور؛ وذلك لأن المعجزة تدفع إلى الإذعان والخضوع بدون تعقل، والتفكير يدفع إلى عبادة الخالق القدير بفهم وقناعة.

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يقابل طلبهم للمعجزات بإعلانه أنه بشر يبلغ ما يوحي إليه، لا يملك قوي خارقة، ولا يستطيع أن يفعل شيئاً إلا بإذن الله. قال سبحانه: ﴿ وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنبُوعًا أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا ﴾ (٢).

وكان من فضل هذا الدين على العقل أن قضى على الخرافات والأساطير، وأنقذ الناس من الجهل والضلال.

وللمحافظة على العقل، حرم الله المسكرات والمخدرات التي تشل الأعصاب وتعطل العقول، كما حرم الميسر الذي يجعل لاعبه يستسلم للمصادفات، ولا يقوم بأي جهد يعود بالنفع على الفرد والمجتمع.

فالله سبحانه هو الذي وهب الناس العقول، وهو الذي أنزل إليهم ما يحتاجونه من البينات والهدي، فإذا ما اهتدوا بهديه، واقتبسوا من نوره، حققوا الهدف من وجودهم والغاية من حياتهم بدون اضطراب أو انحراف، وبذلك تكتمل العقول كما اكتملت الأجسام من قبل كمالها اللائق بها، وتصبح جديرة بالتقديم والتقدير، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ ۖ وَاللَّهُ يُؤْتِي

---

(١) سورة الأنعام الآيتان ٣٧-٣٨.

(٢) سورة الإسراء الآيات ٩٠-٩٣.

مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (١).

ثالثاً: التربية الروحية:

تطلق الروح على معنيين:

أحدهما: ما يفارق به الحي الميت، وما يجعل أعضاء الجسم وحواسه قادرة على الحركة والحس والقيام بوظائفها، وليس هذا المعنى مقصوداً في بحثنا؛ فهو سر غامض، لا يتمكن الإنسان من فهمه بعقله القاصر وعلومه المحدودة.

قال تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (٢).

وثانيهما: هو القوة اللطيفة العالمة المدركة من الإنسان.

وقد يطلق هذا المعنى على القلب، وقد يطلق على النفس.

فمن إطلاق هذا المعنى على القلب ما جاء من وصفه بالخشوع والاطمئنان في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ (٣).

﴿ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾ (٤).

ومن إطلاقه على النفس ما جاء في قوله سبحانه:

﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴾ (٥).

---

(١) سورة البقرة الآية ٢٤٧.

(٢) سورة الإسراء الآية ٨٥.

(٣) سورة الأنفال الآية ٢.

(٤) سورة الرعد الآية ٢٨.

(٥) سورة الفجر الآيتان ٢٧-٢٨.

وهذه الروح ميز الله بها الإنسان على سائر خلقه، وجعله مستحقاً التكريم والتفضيل: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴾ (١).

والتربية الروحية أرفع أقسام التربية وأكثرها أهمية، وبقدر حصول الإنسان على التربية في هذا المجال يرتفع شأنه وتسمو نفسه، والنظم المادية التي تغفل عن هذه التربية تحط من شأن الإنسان، وتخفض من مقداره؛ لأن الإنسان ما هو إلا قبضة من طين ونفخة من روح الله، ومن عناصر الطين يتركب جسده، والجسد لا يحيا بدون الطعام والشراب المستخرجين من الطين؛ فالماء يتفجر من ينابيع الأرض، ويجري فوقها أو ينزل من السماء ويختلط بترابها، والطعام الذي يتناوله الإنسان يحصل عليه من النباتات التي تستمد عناصرها من الطين، أو من الحيوانات التي تتغذى بالنباتات، وتتركب منها لحومها وألبانها، وكذلك الروح لا تستغني عن الغذاء، وغذاء الروح هو المناسب لطبعها والملائم لجوهرها، ولا يعلم ما يناسبها ويلائمها إلا الله الذي أودع الروح في الإنسان ومن رحمة الله بعباده أنه لم يتركهم يتخبطون في هذه الأرض، ويضلون في أرجائها، وإنما أنزل إليهم ما يهديهم سواء السبيل، ويقيهم من الغواية والضلال قال سبحانه:

﴿ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴾ (٢).

ولقد اقتضيت حكمة الله سبحانه أن يجعل ما يصلح الجسد معروفا للناس، وفي أنفسهم دافع قوى للحصول عليه، أما ما يصلح الروح فهو غامض ومعقد، يحتاج إلى علم وبصيرة لكشفه والانتفاع به ومن خبثت نفسه لا يطلبه ولا يحرص عليه بل

---

(١) سورة الحجر الآيتان ٢٨-٢٩.

(٢) سورة طه الآيتان ١٢٣-١٢٤.

يعرض عنه وينفر منه، ولذلك جعل الله الناس يضربون في الأرض ويأكلون من رزقه، وأرسل الرسل وأنزل عليهم الوحي الذي يصلح الأرواح ويسعد الأحياء.

والتربية الروحية تعني ما يؤدي إلى تهذيب النفس وسمو الإنسان والتحلي بالفضائل والبعد عن الرذائل.

ويكون ذلك بالعقيدة والعبادات والأخلاق الحميدة وهو موضوع الفصل التإلى.

رابعاً: التربية الاجتماعية:

يقضي الإنسان حياته كلها في وسط اجتماعي، ولا يمكنه أن يستغني عن الخدمات المادية والمعنوية التي يقدمها له الآخرون، ولا بد من احترام الناس ومعاملتهم بالحسنى ليتم التعاون فيما بينهم، ولا يستطيع الفرد أن يتكيف مع المجتمع ويحصل على التقدير والاحترام فيه مالم يتقبل آراء مجتمعه ومفاهيمه ونظرته إلى الحياة، ولا يبقى المجتمع محافظاً على شخصيته وخصائصه وثقافته مالم يطبع أفراده عليها.

وقد حرص الإسلام على تماسك المجتمع بكل مؤسساته الصغيرة والكبيرة وعني بتربية الأفراد تربية اجتماعية فاضلة.

وأول مؤسسة اجتماعية ينتمي الفرد إليها هي الأسرة، وقد شرع الإسلام الأحكام التي تجعلها متماسكة، وتحقق الألفة والمودة بين أعضائها، وتمكنها من القيام بدورها الاجتماعي على أكمل وجه، فمع أن الله سبحانه وتعالى غرس في قلوب الزوجين ميل كل منهما نحو الآخر.

﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (١).

أمر الرجل الإحسان إلى امرأته وإكرامها حتى في حال كرهها:

(١) سورة الروم الآية ٢١.

﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ (١).

وأمر المرأة بطاعة زوجها وحفظ ماله وعرضه: ﴿ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ ۚ ﴾ (٢).

كما أن الله – عز وجل – جعل في قلوب الوالدين العطف والحنان على أولادهما وأوصاهما بحسن تربيتهم، وأمر الأولاد في كثير من آيات الذكر الحكيم بالإحسان إلى والديهم، وقرن الإحسان إليهما بعبادته، وشكرهما بشكره من ذلك قوله سبحانه: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴾ (٣).

وهذا الإحسان واجب في كل الحالات حتى الحالة التي يكون فيها الولد مؤمناً والوالد مشركاً، غير أنه لا يطيعه فما يخالف أحكام الشرع:

﴿ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (٤).

﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ ۚ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (٥).

وجعل الرسول صلى الله عليه وسلم الوالدين أحق الناس بالصحبة، وحق الوالدة

---

(١) سورة النساء الآية ١٩.

(٢) سورة النساء الآية ٣٤.

(٣) سورة لقمان الآية ١٤.

(٤) سورة لقمان الآية ١٥.

(٥) سورة العنكبوت الآية ٨.

مقدم على حق الوالد في ذلك.

عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: "يا رسول الله! من أحق بحسن صحابتي؟

قال: أمك. قال:ثم من؟ قال: أمك. قال: ثم من؟ قال: أمك. قال: ثم من؟ قال: أبوك"

ثم تتسع الدائرة لتشمل الأقرباء والأصحاب.

عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده قلت: "يا رسول الله! من أبر؟ قال: أمك ثم أمك ثم أمك، ثم أباك، ثم الأقرب فالأقرب"

وعن كليب بن منفعة عن جده أنه أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: "يا رسول الله! من أبر؟

قال أمك وأباك، وأختك وأخاك، ومولاك الذي يلي ذاك، حق واجب ورحم موصولة"

والإحسان إلى أصحاب الوالدين نوع من الإحسان إلى أنفسهما.

عن ابن عمر – رضي الله عنهما – قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إن أبر البر صلة الولد أهل ود أبيه".

والإحسان إلى الأقارب بالإنفاق على فقيرهم سبب للثراء في المال والبركة في الرزق، ومساعدتهم وقضاء حاجاتهم سبب لطول العمر والتوفيق للأعمال الجليلة النافعة وبقاء الذكري الحسنة والثناء الجميل.

عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "من سره أن يبسط له في رزقه، وأن ينسأ له في أثره فليصل رحمه".

وأمر الله بالإحسان إلى الأرحام وإلى الفئات الضعيفة في المجتمع كالفقراء والمساكين والمسافرين المنقطعين عن بلدهم.

قال سبحانه: ﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ۝٢٦ ﴾ (١).

واعتبر الرسول صلى الله عليه وسلم المحسن إلى المساكين والأرامل – وهن النساء اللاتي فقدن أزواجهن – كالمجاهد في سبيل الله، والمتعبد الذي لا يفتر عن قيام الليل وصوم النهار.

عن صفوان بن سليم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله، أو كالذي يصوم النهار ويقوم الليل".

وأمر الله تعالى بالإحسان إلى الجيران القريب منهم وغير القريب، فقال:

﴿ ۞ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ۝٣٦ ﴾ (٢).

ورفع الإسلام الصلات بين الجيران إلى مستوي الصلات بين الأرحام.

عن عائشة – رضي الله عنها – عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه"

فمن كثرة هذه الوصايا ظن الرسول صلى الله عليه وسلم أن الجار سيرث من جاره، كما يرث الرجل مال أبيه وابنه وأخيه.

وإيذاء الجار يتعارض مع الإيمان:

عن أبي شريح أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، قيل: ومن يا رسول الله؟ قال: الذي لا يأمن جاره بوائقه"

---

(١) سورة الإسراء الآية ٢٦.

(٢) سورة النساء الآية ٣٦.

وحق الجار يشمل الإحسان إليه والامتناع عن إيذائه بكل الوسائل المادية و المعنوية.

عن معاذ بن جبل – رضي الله عنه – قالوا: يارسول الله! ماحق الجار على الجار؟ قال: "إن استقرضك أقرضته، وإن استعانك أعنته، وإن مرض عدته، وإن احتاج أعطيته، وإن افتقر عدت عليه، وإن أصابه خير هنيته، وإن أصابته مصيبة عزيته، ولا تستطيل عليه بالبناء فتحجب عنه الريح إلا بإذنه، ولا تؤذيه بريح قدرك إلا أن تغرف له، وإن اشتريت فاكهة فاهد له، وإن لم تفعل فأدخلها سراً، ولا تخرج بها ولدك ليغيظ بها ولده"

ويؤدي الإحسان إلى الأقارب والجيران إلى إعمار الديار وطول الأعمار.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "صلة الرحم وحسن الجوار وحسن الخلق يعمران الديار ويزيدان في الأعمار".

ولئن أصبح الناس يسكنون في بنايات ذات طوابق عديدة، وشقق ملتصق بعضها ببعض، فهم في أمس الحاجة إلى هذه التربية التي تجعلهم متراحمين متعاطفين، وتنزع منهم كل ما يكدر صفاء الأخوة.

ولا يقتصر التراحم والتعاطف في الإسلام على الأسرة والقبيلة والجيران والمحتاجين، بل يشمل جميع أفراد المجتمع المسلم؛ فقد جعل الله المؤمنين إخوة، وأمرهم بأن يكونوا متحابين، وأن يصلحوا بين كل فريقين أو فردين تنازعا. قال سبحانه: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٩ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝١٠﴾(١).

ومن مستلزمات هذه الأخوة أن يعامل كل فرد إخوته كما يجب أن يعاملوه،

(١) سورة الحجرات الآيتان ٩-١٠.

وأن يحب لهم ما يحب لنفسه، وللمحافظة على الأخوة بين المسلمين نهى الله عن السخرية من الآخرين، وعن ذكر عيوبهم، وعن التجسس عليهم والظن السئ بهم، ونهي الرسول صلى الله عليه وسلم عن التباغض والتحاسد والتقاطع والهجر الطويل.

عن أنس – رضي الله عنه – أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخواناً ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام".

ولذلك أيضاً أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بإلقاء السلام على من عرفت ومن لم تعرف.

عن أبي هريرة – رضي الله عنه – عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "والذي نفسي بيده لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا أفلا أدلكم على أمر إذا فعلتموه تحاببتم: أفشوا السلام بينكم".

كما أمر بإطعام الطعام وتبادل الهدايا وتقديم النصح والمجاملة بين الناس.

عن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "حق المسلم على المسلم ست. قيل: ما هن يا رسول الله؟

قال: إذا لقيته فسلم عليه، وإذا دعاك فأجبه، وإذا استنصحك فانصح له، وإذا عطس فحمدالله فشمته، وإذا مرض فعده، وإذا مات فاتبعه".

ويتعدى هذا البر والإحسان المسلمين إلى غيرهم من المواطنين والمعاهدين والمتسأمنين. قال تعالى: ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾ (١).

ولا يتسع المجال لاستعراض كل الأحكام والمبادئ والآداب والأخلاق التي تسهم في التربية الاجتماعية، فهذا يستغرق كتاباً كبيراً، وسنعرض في فصل قادم شيئاً مما

(١) سورة الممتحنة الآية ٨.

يتعلق بهذا الموضوع، كما أن للعبادات في الإسلام آثاراً اجتماعية على قدر كبير من الأهمية سنبينها في فصل مقومات التربية إن شاء الله تعالى.

وكما حرص الإسلام على تربية الفرد تربية اجتماعية تجعله ينسجم مع الآخرين ويحسن إليهم، ويمتنع عن إيذائهم والعدوان عليهم، فإنه حرص على تربيته بما يجعله يسهر على سلامة مجتمعه وأمنه، ويسهم في رقيه وتقدمه، ويعمل على توجيهه لما يرضي الله، ومنعه من الانحراف والضلال، ووقايته من الزيغ والفساد.

خامساً: التربية الجمة:

لقد أضفى الله – تبارك وتعالى – على كثير من مخلوقاته جمالاً وزينة يحس به كل ذي حس مرهف وشعور دقيق؛ فالسماء يزينها القمر والنجوم.

﴿ إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾ ﴾ (١).

﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ ﴾ (٢).

﴿ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿١٢﴾ ﴾ (٣).

والإنسان مركب على أحسن صورة وأجمل هيئة:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾ ﴾ (٤).

---

(١) سورة الصافات الآية ٦.

(٢) سورة الملك الآية ٥.

(٣) سورة فصلت الآية ١٢.

(٤) سورة النفطار الآيات ٦-٨.

﴿ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ ۚ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾ (١).

والحيوانات التي سخرها الله للناس، وأصبحوا يربونها لينتفعوا من لحومها وألبانها، أو ليجعلوها مطية للسفر ونقل الأمتعة؛ يشعرون حين ينظرون إليها بالمتعة والبهجة لما يلمسون فيها من الجمال والزينة والأرض تزينها الأنهار والأشجار والورود والأزهار حتى إن هذه الزينة كثيراً ماتغري الناس بالاستمتاع بها، وتنسيهم الغاية التي خلقوا لأجلها؛ فيحتاجون إلى ما ينبههم لذلك بأمر يقضي عليها. قال تعالى:

﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ (٢).

والحسن والجمال يتصف بهما كل شيء خلقه الله جل جلاله:

﴿ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ﴾ (٣).

ولقد فطر الناس على حب الزينة والاستمتاع بالجمال، حتى إنهم ليركنون إلى الدنيا التي يجب أن يجعلوها طريقاً للدار الآخرة.

﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴿١٤﴾ ﴾ (٤).

---

(١) سورة غافر الآية ٦٤.

(٢) سورة يونس الآية ٢٤.

(٣) سورة السجدة الآية ٧.

(٤) سورة آل عمران الآية ١٤.

والله سبحانه أحل لعبادة الزينة وأباح لهم الطيبات من غير إسراف أو تجاوز للحدود، وندبهم إلى التزين حين الذهاب إلى المساجد وإقام الصلاة واجتماع بعضهم ببعض، وحثهم على تناول الحلال الطيب الذي يجعلهم يرغبون فيما أعده الله للمتقين في الآخرة.

﴿ ۞ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٣١ قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ قُلۡ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا خَالِصَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ٣٢ ﴾[1].

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يحب الرائحة الحسنة ويكره الروائح الكريهة، ويطيب نفسه حتى يرى أثر الطيب على جسده، وتبقى رائحته في الطريق الذي سار فيه أو المكان الذي جلس فيه، ويعرف بأنه كان هناك.

عن عائشة – رضي الله عنها – قالت: "كنت أطيب النبي صلى الله عليه وسلم بأطيب ما يجد حتى أجد وبيص الطيب في رأسه ولحيته".

كما كان يربي أصحابه على العناية بزينتهم وحسن مظهرهم:

عن جابر بن عبدالله – رضي الله عنهما – قال: أتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى رجلاً شعثاً قد تفرق شعره فقال: "أما كان يجد هذا ما يسكن به شعره" ورأي رجلاً آخر عليه ثياب وسخة قال: "أما كان هذا يجد ما يغسل به ثوبه".

وعن عطاء بن يسار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأي رجلاً ثائر الرأس واللحية فأشار إليه بإصلاح رأسه ولحيته.

وعن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "ومن كان له شعر فليكرمه".

---

(١) سورة الأعراف الآيتان ٣١-٣٢.

وأوصى الرسول صلى الله عليه وسلم القادمين على غيرهم بإصلاح أحوالهم فقال: "إنكم قادمون على إخوانكم، فأصلحوا رحالكم وأصلحوا لباسكم حتى تكونوا كأنكم شامة في الناس، فإن الله لا يحب الفحش ولا التفحش".

ومن ذلك أمره بتقليم الأظافر وقص الشارب ونتف الإبط وحلق العانة.

عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: "الفطرة خمس: الختان، والاستحداد، وقص الشارب، وتقليم الأظافر، ونتف الآباط"

أما اللحية فقد حث الرسول صلى الله عليه وسلم على تركها وافرة والإبقاء عليها؛ لأنها زينة للرجال، وبها يتميزون عن النساء.

عن أبي عمر – رضي الله عنهما – قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أنهكوا الشوارب، وأعفوا اللحي".

غير أن ما يباح التزين به له حدود، من تجاوزها وقع في الحرام. فلا يجوز للرجال أن يتزينوا بالذهب والحرير.

عن على – رضي الله عنه – أن النبي صلى الله عليه وسلم أخذ حريراً وذهباً فقال: "هذا حرام على ذكور أمتي، حل لإناثهم".

ولا يجوز الخلط بين لباس الرجال وزينتهم ولباس النساء وزينتهن.

عن ابن عباس ـــــ رضي الله عنهما – قال: "لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم المتشبهين من الرجال بالنساء؛ والمتشبهات من النساء بالرجال".

ولا يقتصر الجمال على ما ذكرناه، بل يشمل كل ما يجد فيه الإنسان لذة بعقله وحواسه، قال الإمام أبو حامد الغزإلى: "وللإنسان عقل وخمس حواس، ولكل حاسة إدراك، وفي مدركات تلك الحاسة ما يستلذ فلذة النظر في المبصرات الجميلة كالخضر والماء الجاري والوجه الحسن، وبالجملة سائر الألوان الجميلة، وهي في مقابلة ما يكره من الألوان الكدرة القبيحة وللشم الروائح الطيبة، وهي في مقابلة الأنتان المستكرهة،

وللذوق الطعوم اللذيذة كالدسومة والحلاوة والحموضة، وهي في مقابلة المرارة المستبشعة، وللمس لذة اللين والنعومة والملامسة، وهي في مقابلة الخشونة والضراسة، وللعقل لذة العلم والمعرفة، وهي في مقابلة الجهل والبلادة، فكذلك الأصوات المدركة بالسمع تنقسم إلى مستلذة كصوت العنادل والمزامير، ومستكرهة كنهيق الحمير وغيرها".

وقال أيضاً: "إن الجمال ينقسم إلى جمال الصورة الظاهرة المدركة بعين الرأس، وإلى جمال الصورة الباطنة المدركة بعين القلب ونور البصيرة والأول يدركه الصبيان والبهائم، والثاني يختص بإدراكه أرباب القلوب، ولا يشاركهم فيه من لايعلم إلا ظاهراً من الحياة الدنيا، وكل جمال فهو محبوب عند مدرك الجمال"

وهكذا تهدف التربية الجمإلية إلى المحافظة على مواضع الجمال والزينة، وعدم تشويهها، وإلى العناية بأجسامنا وبيوتنا وممتلكاتنا، والمحافظة على نظافة الطرقات والحدائق والمرافق العامة، وجعلها جميلة تسر الناظرين، كما تهدف إلى زيادة المتعة والشعور بالبهجة بكل ما هو جميل، وإلى ابتكار وصنع الأشياء الجميلة مما يريح النفس من عناء العمل، ويجعلها تقوم بواجباتها بدون شعور بالتعب، ويدفع عنها الهموم والأحزان؛ وذلك ضمن حدود الشرع، ودون تجاوز للحلال إلى الحرام.

سادساً: التربية الانفعالية:

يطلق الانفعال على المشاعر القوية لدي الإنسان كاللذة والألم والفرح والحزن والقلق والغيرة، ويميز الباحثون بين أنواع ومستويات من الانفعال فهناك الهيجان والعاطفة والهوى، ولكل منها طابعه وخصائصه وتأثيره في تفكير الإنسان وتصرفاته، وقد تنحرف هذه الانفعالات عن النضج والاستواء فتحتاج إلى التربية الملائمة.

والهيجان اضطراب نفسي جسدي، يحدث إثر مواجهة المرء لمثير عنيف ولا يدوم طويلاً، ومثاله الخوف والغضب والفرح؛ حيث يضطرب الشعور والتفكير، وتضعف المحاكمة، ويتغير لون الوجه وقسماته، ويرتفع ضغط الدم أوينخفض، وتتغير سرعة

التنفس عن حالتها العادية، وقد يبطؤ الهضم، ويزداد الإفراز البولي.. ويرافق هذه التغيرات سلوك إقدامي أو إحجامي يقوم به المنفعل، فيهجم ويقاتل في الغضب ويهرب في الخوف ويضحك في الفرح.

ويتغير الهيجان في مثيراته ومشاعره وتعابيره حسب مراحل العمر، ويصل إلى مستوي مناسب من النضج بعد البلوغ، وحينئذ يتميز بالاعتدال، فلا يكون المرء ضعيف التأثر متبلداً، ولا سريع التأثر، يثور لأتفه الأسباب، كما يتميز بالواقعية في مجابهة مشاكل الحياة؛ فيصبح الفرد موضوعياً في إدراكه للعالم المحيط به، متحرراً من الذاتية العاطفية والعقلية، ومن الاتكإلية على الآخرين، ويتميز أيضاً بالتوازن بين جميع الانفعالات والدوافع، فلا يوجد بينها ما هو مسيطر متحكم في الجميع، ولا يضعف بعضها لدرجة الكبت الشديد.

ويصبح الشخص قادراً على ضبط النفس واحتمال الصعوبات والحرمان، وعلى تأجيل اللذات العاجلة من أجل تحقيق أهداف أبعد، ويتسم بالرصانة وعدم التقلب بين المرح والانقباض، والفرح والحزن، أو الضحك والبكاء والتحمس والفتور. والنضج الانفعإلى عامل أساسي للتكيف الاجتماعي السوي والصحة النفسية السليمة؛ فاضطراب الصلات الاجتماعية والعلاقات الإنسانية ناشئ عن اضطراب الانفعالات الإنسانية، كما أن النجاح أو الإخفاق في الحياة يتوقف إلى حد كبير على عوامل انفعإلية. ويتعلق النضج الانفعإلى بعدة عوامل وراثية واجتماعية وتربوية، والتربية السليمة تكون في تعليم الطفل حل مشاكله ومعالجة أموره دون أن يطلق العنان لانفعالاته، ودون إسراف في كبح جماحه أو تدليله، وتحرص التربية على توجيه الانفعالات نحو المثيرات الاجتماعية المناسبة، وتخليصه من أسباب الإثارة الطفولية، إذا كانت لاتناسب الانفعال الناضج، ولا تتفق مع متطلبات التكيف الاجتماعي، فمثيرات الفرح أو الغضب أو الخوف عند الطفل والمراهق لا تكون جميعها مقبولة عند الراشدين؛ ولذا ينبغي جعلها ناضجة معتدلة.

أما العاطفة فهي حالة انفعالية تتميز بشعور معين نحو موضوع ما، وتتصف

بالاستمرار والثبات، كما تتميز بنزعة للقيام ببعض الاستجابات والتصرفات، وبقابلية لإثارة الهيجان بما يتضمنه من حدة الشعور والسلوك ومن أمثلتها: الحب والكره والحقد والاحترام والإعجاب والاحتقار.

وقد تكون العاطفة هادئة معتدلة، وقد تكون قوية جياشة تسيطر على بقية العواطف، وتأسر الشخص في شعوره وسلوكه، وتجعله منجرفاً في تيارها، عاجزاً عن مقاومة قوتها الدافعة، مسخراً لما تمليه عليه، وهذا المستوى من العاطفة يسمى هوى، ومن أمثلته هوى شرب الخمر الذي يجعل صاحبه مدمناً عليه، وهوي الرياضية الذي يجعله مندفعاً نحوها، يقضي وقته في ألعابها، وينشغل تفكيره وشعوره بها، وهوى فتاة يراها أجمل النساء، ويجعله مندفعاً في حبها، منشغلاً به، ضعيف المحاكمة والموضوعية والمقارنة إزاءه، مستعداً للتضحية واقتحام الأخطار في سبيله.

وتنمو الحياة العاطفية كغيرها من جوانب الحياة النفسية، فتزداد غنى واكتمالاً حتى تصل بعد البلوغ إلى نضج نسبي يتميز بالاستقرار والارتقاء إلى الموضوعات الأسمي، ويؤثر الوسط الاجتماعي في نشأة العواطف نحو بعض الأشخاص كالأم والأب والمعلم والزميل والزعيم، أو نحو بعض الأشياء والأعمال والقيم، ولمبادئ المجتمع وقيمه وتطلعاته دور كبير في توجيه دوافع الأفراد وتركيزها حول بعض المواضيع دون بعضها الآخر.

وللعوامل الشخصية تأثيرها في التوجيه العاطفي للفرد، فالشخصيات الانفعالية تتجه عواطفهم نحو الأشخاص، وأصحاب الاستعدادات الحركية تتكون لديهم ميول نحو الرياضة أو الأعمال التي تحتاج إلى نشاط جسدي غالباً، والقابليات العقلية تسهم في تكوين الميول نحو الموضوعات التي تتطلب التعمق الفكري.

وقد يميل الفرد إلى موضوع دون أن يتوافر لديه الاستعداد أو القدرة فيه وللخبرات السابقة دورها في تكوين العواطف، لاسيما خبرات الطفولة، سواء أكانت سارة أو مزعجة.

وتعمل العواطف على تحريض السلوك باتجاه إرضائها، ويترافق إرضاؤها أو إحباطها بحالات من هيجانات اللذة أو الألم والفرح أو القلق. ولهذا تأثير في عمليات التعلم؛ فالتعلم يستلزم القيام بسلوك هادف، وهو يحصل بفعالية أفضل عندما ينفعل المتعلم انفعالاً ملائماً يسهل الإقبال على موضوع التعلم والفرح به، وبالتإلى استيعابه واكتساب السلوك المطلوب، والعواطف تثير في المتعلم نشاطاً انفعإلياً وتوجهه نحو اختيار الاستجابات الملائمة لحاجاتها، والتي تنفع في إحداث التعلم؛ وبذلك يتغلب المعلم على مواقف اللامبالاة أو السلبية لدى المتعلمين.

ومن وسائل توظيف العواطف في التعليم المدرسي تنظيم موضوعات التعلم وطرائقه بحيث ترتبط بعواطف الطلبة، وترضيها عن طريق القيام بالسلوك المطلوب لحدوث التعلم، ولذا دعا بعض المربين إلى نوع من المناهج سموه مناهج النشاط القائم على ميول التلاميذ، حيث تنظم محتويات المنهج وطرائقه وفقاً لميول المتعلمين، وهي تفيد في إثارة اهتمام المعلم لربط مادة التعليم وطريقته بميول التلاميذ حتى يحقق تعلماً أفضل.

وقد حرص الإسلام على التربية الانفعإلية السوية، فوجه عواطف الإنسان وانفعالاته نحو ما هو جدير بها، وجعلها معتدلة بالشكل المناسب؛ فالمحبة الخالصة تكون لله ورسوله، ولا يوجد من يستحق الحب الكبير سواهما؛ فالله هو الخالق الرزاق والمنعم بكل النعم، وهو المتفضل بكل شيء والرسول صلى الله عليه وسلم هو الذي هدانا إلى الصراط المستقيم ولا يصح إيمان المرء إذا منح حبه لشيء أكثر أكثر من الله ورسوله. وقال تعالى ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾(١).

(١) سورة التوبة الآية ٢٤.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه – عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: "لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين".

والمؤمنون الصالحون يحبهم المؤمن لوجه الله، أي لصلاحهم لا ليحصل على نفعهم، ويريد لهم الخير الذي يريده لنفسه.

عن أنس رضي الله عنه – عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه مايحب لنفسه"

ومن المؤمنين من يقدم لغيره ما يحتاج إليه، ويصل بذلك إلى أسمى الفضائل وأنبل التضحيات، وهذا هو الإيثار الذي أثنى الله على المتصفين به من الأنصار وغيرهم بقوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ (١).

وقد نهي الله عن مغالاة المرء بعواطفه وانفعالاته، وأرشد إلى ما يجعلها متوسطة الشدة، قال سبحانه: ﴿ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴾ (٢).

كما أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بالرفق والاعتدال في الحب والبغض.

عن أبى هريرة رضي الله عنه ـــ عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: " أحبب حبيبك هوناً ما عسى أن يكون بغيضك يوماً ما، وابغض بغيضك هوناً ما عسى أن يكون حبيبك يوماً ما "

وسيأتي في بحث الأخلاق بيان كيفية معالجة الغضب والحد من نزواته وغيره من الانفعالات، فلا نطيل بذكرها الآن.

---

(١) سورة الحشر الآية ٩.

(٢) سورة القصص الآية ٧٦.

في ظل المنهج الذي أشرنا إليه عند الحديث عن نظام الأسرة في مجتمع الإسلام تجئ معنا هنا مقومات الشريعة الإسلامية في تربية النشء وذلك من خلال جملة عوامل واعتبارات تضع لها الشريعة الإسلامية الكثير من القواعد والضوابط، ومن أهمها وأبرزها في ممارسة منهج الشريعة الإسلامية وقاية النشء من أسباب ودوافع وبواعث الانحراف التي تكون عامل ضغط على سلوكيات النشء فتؤدي به إلى الإنحراف، ومعني الوقاية في نهج الشريعة الإسلامية هو العمل على تحري أسباب العلاج والاستقامة للصغير من قبل أن يولد، والاحتياط لمصلحته ولحمايته ضد دوافع التشرد والجناح، في نظام ومناح أخرى من فقه الإسلام وسياسته الاجتماعية والصحية والتربوية: مثل اشتراط الباءة (مؤنة الزواج والقدرة على تكوين أسرة وإعالتها) للإقدام على الزواج، والنهي عن الزواج بالمشاركات حتى لا تتذبذب عقيدة النسل المنشودة، والأمر بتكريم الأمومة أيما تكريم – وفي آداب الاستئذان الواجب على الأحداث، والنهي عن الاختلاف بين الجنسين بما يفيد كيان الأسرة، والتفريق بين الأطفال في المضاجع، والنهي عن صحبة المردان، وأخيراً وليس آخراً – رقابة الأولياء والأوصياء في قيامهم بمسؤولية التربية.

هذا وقد جاء في الحديث الشريف قوله: "يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج،

فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فليصم فإن الصوم له وجاء" متفق عليه [1].

والباءة هي نفقات الزواج والمقدرة على القيام بالحقوق والواجبات الزوجية – والوجاء هو الحصن والوقاية ضد شرور الشهوة الحرام.

ويؤخذ من أحكام الفقه الإسلامي أن حكم النكاح – الزواج لا يكون وجوباً

(١) انظر المغني، لابن قدامة، جـ١، ص ٣،٤.

إلا بالنسبة للشخص – ذي الشهوة – أي الذي تتوق نفسه إلى الوطء ويكون قادراً على تحمل مؤنة النكاح ونفقته، وعلى القيام بالحقوق والواجبات الزوجية الشرعية من غير إضرار بالزوجة، ويخشي عليه من الوقوع في الزنا إن لم يتزوج – ويكون حكم الزواج – الندب والاستحباب، بالنسبة للشخص الذي تتوق نفسه إلى الوطء وله شهوة يأمن معها الوقوع في الزنا إن لم يتزوج وعنده القدرة على تحمل مؤنة النكاح ولا يخشى منه الإخلال بالحقوق الزوجية، وهذا ما يقره عامة الفقهاء، عدا الظاهرية القائلين بوجوبه عندئذ [1].

وفي مسلسل الترتيب الموضوعي الذي تبرره الشريعة الإسلامية مقوماً بعد الآخر في تربية النشء وحمايته قبل أن يقع في الانحراف بل حتى قبل أن يولد تتدافع الأحكام الشرعية وتتوالى فيشترط جمهور الفقهاء القدرة على مؤنة الزواج، ونفقاته والقيام بالواجبات الزوجية ويأتي منه الضرر بمن تزوجها كأن يكون غير قادر على الوطء أو على النفقة [2].

يقول تعالى: ﴿ وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ﴾[3].

وفيها أمر الله تعالى كل من تعذر عليه النكاح ولا يجده بأي وجه أن يستعفف، أي أن يكون عفيفاً، يقول القرطبي: ثم لما كان أغلب الموانع من النكاح عدم وجود المال، وعد الله بالإغناء من فضله فيرزقه ما يتزوج به أو يجد امرأة ترضي بإليسير من الصداق أو تزول عنه شهوة النساء، روى النسائي عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "ثلاثة كلهم حق على الله عز وجل وهم: المجاهد في سبيل الله، والنكاح يريد العفاف، والمكاتب يريد الأداء" وقيل النكاح هنا ما تنكح به المرأة من

---

(١) د. يوسف عبدالمقصود "الواضح في الفقه الإسلامي المقارن" قسم النكاح – مذكرات لكلية الشريعة والقانون بجامعة الأزهر، ١٩٧٩، ص ٤-٥.

(٢) المرجع السابق، ص٦.

(٣) سورة النور، الآية ٣٣.

المهر والنفقة، كاللباس اسم لما يلبس [1].

ولا شك أن في هذا الحكم – تعلق وجود الزواج أو استحبابه على المقدرة المالية والجنسية للشباب – تنبيهاً إلى مسؤولية الزواج وتكوين الأسرة والإنجاب كما أن فيه معنى الاحتياط للأسرة قبل أن تنشأ والعمل على وقايتها من مخاطر العوز، أو العجز عن إجابة احتياجاتها ومطالبها، دعماً لاستقرارها وحماية لأطفالها من ذل الفاقه ومهانة التشرد، والحقيقة أنه ما من تشريع فطن إلى هذا الوجه من وجوه الوقاية ففرض على راغب الزواج أن يكون قادراً على تكوين الأسرة والإنفاق عليها قبل أن يهم بالزواج، ثم هذه هي الشريعة الإسلامية تدعو إلى العمل والكسب الحلال لتدبير موارد النفقة الواجبة على الأب المسؤول وترغبه في ذلك وتؤجر عليه أجراً جزيلاً: فالرسول صلى الله عليه وسلم يقول: "أفضل دينار ينفقه الرجل: دينار أنفقه على عياله ودينار أنفقه على أصحابه في سبيل الله، ودينار أنفقه على دابته في سبيل الله" رواه مسلم وأحمد وابن ماجه والترمذي وابن حبان، وقال أبو قلابة: وبدأ بالعيال وأي رجل أعظم أجراً من رجل ينفق على عيال صغار حتى يغنيهم الله عز وجل، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من أنفق على أهله وهو يحتسبها كانت له صدقة" [2] وسأله رجل: عندي دينار فقال صلى الله عليه وسلم أنفقه على نفسك فقال: عندي آخر؟ فقال: أنفقه على خادمك أو قال على ولدك، وعندي آخر قال ضعه في سبيل الله، رواه مسلم وأبو داود وأحمد. وقال صلى الله عليه وسلم لسعد: إنك لم تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله عز وجل إلا أجرت بها حتى ما تجعل في فم امرأتك [3]. وقال صلى الله عليه وسلم: "ما أنفق الرجل في بيته وأهله وولده وخدمه

---

(١) تفسير القرطبي، جـ ١٢/٢٤٣.

(٢) وأهل الرجل نساؤه وأقاربه وأولاده وعشيرته المنسوبون إليه. انظر المناوي في فيض القدير جـ٢ ص٥٣٦.

(٣) ذكر الإمام البخاري هذه الأحاديث الشريفة في الأدب المفرد، ص ٢٦٢ والحديث الأخير ورد في (باب يؤجر في كل شيء حتى اللقمة يرفعها إلى في امرأته)، من الأدب المفرد برقم ٧٥٢.

فهو له صدقة" [1]. وقال صلى الله عليه وسلم: "كسب الحلال فريضة بعد الفريضة" [2]. وروي عنه أنه قال: "إن من الذنوب ذنوباً لا يكفرها الصلاة ولا الصيام ولا الحج ولا العمرة، يكفرها الهموم في طلب المعيشة" أي السعي في تحصيل ما يعيش به ويقوم بكفايته ومؤنته [3].

وفي ترسيخ هذه المقومات وإرساء قواعدها يجئ قوله صلى الله عليه وسلم: "كفى بالمرء شراً أن يضيع من يعول" [4]. ويقول الحارث المحاسبي رحمه الله: فالرجل راع لما استرعى يجب عليه القيام بأمر من أمير الدين والدنيا وكذلك من أوجب الله تعالى عليه عيلته وفرض عليه القيام بأمره من الآباء والأمهات والأزواج وصغار الأولاد الذين لم يختلف المسلمون في أن أمورهم واجبة وإن تركهم معصية إذا كانوا في حال الحاجة؛ فسعيهم في (هذه) الأمور تحر منهم للموافقة ورغبة منهم في الطاعة، وسعيهم في الكسب لهذه الأمور من أفضل القرب إلى الله، وكل ذلك صفة حركات الصديقين والأولياء في المكسب من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين فضلوا الحركة لطلب الرزق، وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "أطيب أكل الرجل من كسبه".

ومن الضوابط والمقومات التي تصوغها الشريعة قي ممارسات تربوية واحتساب وادخار ليوم الحساب أن الشرعية أوجبت على الوالد أن يزوج ولده إذا بلغ كما في معنى الحديث الشريف الذي يفيد أن تكون نفقة زواجه على أبيه، يقول المناوي، ومثله الجد أبو الأب عند فقده فإن فقد فالأم وإن علت، لأنه بتزويجه يحفظ عليه شطر

---

(١) الجامع الصغير جـ ٢ ص ١٤٣ حديث حسن رواه أبو أمامة.

(٢) مختصر المقاصدالحسنة للزرقاني، ص ١٩٨، وقال حديث حسن لغيره.

(٣) فيض القدير للمناوي جـ ٢ ص ٥٢٦ وقال: في إسناده ضعيف.

(٤) حديث صحيح رواه أبو داود وغيره ورواه مسلم في صحيحه بمعناه قال: كفى بالمرء إثما أن يحبس من يملك قوته. وانظر كتاب الرزق الحلال وحقيقة التوكل على الله للحارث بن أسد المحاسبي (٢٤٣هـ) بتحقيق الأستاذ محمد عثمان الخشت، مكتبة القرآن بالقاهرة، ١٩٨٤، ص ٥١.

دينه[1].

وعلى هذا فإن لم يكن طالب الزواج – قادراً من الوجهة المالية على نفقته – وجبت هذه النفقة على أبيه. هذا وتعد الشريعة لحماية النشء من الانحراف قبل أن يولدوا وذلك باختيار نوعية الأم وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ وَلَا تُنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا۟ ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ ۖ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٢١﴾﴾[2].

ويقول الإمام القرطبي: أجمعت الأمة على أن المشرك لا يطأ المؤمنة لما في ذلك من الغضاضة على الإسلام، فلا تزوج مسلمة من مشرك، وفي تأويل جماعة العلماء في قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ﴾ صدق الله العظيم أنهن الوثنيات والمجوسيات لأن الله تعالى قد أحل الكتابيات بقوله: ﴿ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ۖ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾[3] [4].

وفي هذا يقول الشيخ محمد متولي الشعراوي: لقد بني الحق عز وجل – تأسيس الأسرة أولاً على سلامة العقيدة ونقائها ووحدتها لا تتوزع المؤثرات في مكونات الأسرة [5] وحتى لا يتذبذب الطفل بين عقائد متعددة، فقد وضع الله سبحانه وتعالى شرطاً في بناء اللبنة الأولي للأسرة وهو ألا ينكح مؤمن مشركة لأن المشركة ستتولى

---

(١) المرجع السابق، ص ٥١–٥٨ والحديث رواه ابن ماجه وأحمد في مسنده

(٢) سورة البقرة الآية ٢٢١.

(٣) سورة المائدة الآية ٥.

(٤) تفسيرالقرطبي الجامع لأحكام القرآن جـ ٣ ص ٧١–٧٢ والمغني لابن قدامة، جـ٧ ص ٢٦.

(٥) اللواء الإسلامي، العدد ١١٠، ص٤٣٨ من خواطر حول القرآن الكريم.

حضانة الطفل مدة طويلة – هي أطول أعمار الطفولة في الكائن الحي، وأمر ألا تتزوج المؤمنة مشركاً لأنها بحكم زواجها منه ستنتقل إليه وإلى بيئته المشركة وإلى أسرته وقد تتأثر به، وهكذا أراد الله تعالى أن يصون البيئة التي ينشأ فيها الوليد الجديد؛ فإن الأب يخرج لحركة الحياة وتشغله أعماله عن تربية الطفل ويترك أمر تربيته لأمر مشركة فتتأصل فيه القيم الشركية التي تناقض الإيمان، وبهذا أراد الله تعالى أن يحيي الحاضر الأول للطفولة وأن يكون ينبوع تربية الطفل واحداً فلا يتذبذب الطفل بين عقائد متعددة ولا تتضارب ملكاته [1]. هذا وقد حرص الإسلام على وقاية عقيدة الطفل ونفسيته وصفاء فكره واستقرار عواطفه، من أن تتعرض للانحراف حتى قبل أن يولد، وتحري الكفاءة في الزواج نجده واضحاً في قول الرسول صلى الله عليه وسلم: "تخيروا لطفلكم وأنكحوا الأيام"[2]. وقوله: "تزوجوا في الحجر الصالح فإن العرق دساس" ونهيه عن الزواج بالمرأة الحسناء في المنبت السوء[3]، وفي ذلك ما فيه من الرعاية للطفل والنسل المطلوب منذ تولد فكرة الزواج؛ لأن كل رعاية للأسرة واحتياط لسلامتها واستقرارها ينصرف أثره إلى الذرية وما تتعهده الأسرة من أطفال.

ويبدو معنى الرعاية والوقاية للأطفال كذلك فيما سبق إليه الإسلام – منذ أربعة عشر قرناً – علوم الوراثة الحديثه حين قرر قاعدة صحية واجتماعية تستهدف حفظ وتقوية صحة النسل البدنية والعقلية وسائر ملكاته، بما شرعه من تحريم الزواج بقريبات النسب والرضاعة وما ندب إليه من الزواج بالأباعد. فقال تعالى: ﴿

حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ

(١) الشيخ الشعراوي: خواطر حول القرآن الكريم، اللواء الإسلامي، العدد١٠٩، ص ٤٣٤.

(٢) حديث حسن، مختصر المقاصد، ص ١١٥.

(٣) منار الإسلام، دولة الإمارات العربية، فبراير ١٩٨٥، العدد ٥٨ من السنة العاشرة، ص ١١٢والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن ج٥ ص ١٠٥، وما بعدها.

وَأُمَّهَٰتُ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِي فِي حُجُورِكُم [1].

كما نجد أن الإسلام يحبذ الاغتراب في الزواج؛ فيروي عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال: "اغتربوا لا تضووا" وقال: "ولا تنكحوا القرابة فإن الولد يخلق ضاوياً" أي نحيفاً ضعيف الجسم بليداً[2].

ويعلل الإمام الغزإلى تحريم الزواج بالقريبات المعهودات للرجل: "بأن زواج القريبة يقلل الشهوة" فإن الرغبة الجنسية تفتر في حالة الزواج بالقريبة إن لم تنعدم، ويذكر الأستاذ العقاد أن الغرض من شمول هؤلاء النساء جميعاً للتحريم ظاهر وهو زيادة ثروة الإنسان من العطف والمودة وتعويده أن يعرف ألواناً من الشعور غير شعور الذكور والإناث في عالم الحيوان، وكل هؤلاء القريبات قد جعلت المودة بينهن وبين أقارئهن من الرجال فلا موجب لخلطها بالمودة التي تنشأ من العلاقات الجنسية ولا لتعريضها للجفاء الذي يعرض أحياناً بين الأزواج والزوجات، وروي عن عمر بن الخطاب قوله: "يابني السائب قد ضويتم (ضعفتم) فانكحوا في الغرائب"[3].

وقد أثبت العلم الحديث أن زواج الأقارب يزيد الصفة الغالبة في الأسرة ويبرزها خصوصاً إذا كانت بين الصفات السيئة خلافاً لزواج الأباعد فهو يقلل من العيوب الجنسية والمرضية، وأن زواج الأقارب يهدد بإنجاب أطفال مصابين بالأمراض الوراثية الكامنة ويؤدي التناسل المقفل بين أولاد جد واحد إلى انحطاط النسل عقلياً وجسمياً، ويقرر الدكتور (كارل جورج) أستاذ الوراثة في الجامعة الأمريكية أن زواج الأقارب

---

(١) سورة النساء الآية ٢٣.

(٢) إحياء علوم الدين للغزإلى جـ٤ ص ٧١٨ وبهامشه: قال ابن الصلاح عن الحديث الثاني: لم أجد له أصلاً معتمداً، وأما الحديث الأول فرواه إبراهيم الحربي في غريب الحديث وقال: معناه تزوجوا الغرائب.

(٣) الدكتور محمود عمارة: تربية النشء في ظل الإسلام، دار الأنصار بالقاهرة، ١٩٨٣، ص ٤٥ وأشار إلى الفلسفة القرآنية للعقاد، ص ٦٠، ٦١

مضر من حيث إنه يؤدي إلى تلاقي الخصائص السيئة في الأقارب [1].

وتكريم الأمومة في الإسلام والدعوة المتكررة إلى إبراز هذا المعني الكريم تبرز لنا معني مستوراً وراء هذا الإحسان التربوي الذي تتميز به الشريعة وهي تعمل على حماية النشء ذلك أن كل رعاية للأم ملحوظة فيها رعاية طفلها الذي تقوم على تربيته أو تقدير جهدها في حمله وفصاله وحضانته، وهي المسؤولة الأولي عن ذلك في أولي سني عمره وهي سنون ذات أثر بالغ في قابل حياته. قال تعالى: الإنسان بوالديه ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [2].

ومن ذلك – ما ورد في حديث للنبي صلى الله عليه وسلم: "وإذا دعاك أبوك وأمك فأجب أمك"[3].

وروى الإمام البخاري أن رجلاً سأل الرسول صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله من أبر: قال أمك قلت من أبر: قال أمك، قلت من أبر قال: أمك قلت من أبر قال: أباك ثم الأقرب فالأقرب. وقال ابن عباس رضي الله عنه: إني لا أعلم عملاً أقرب إلى الله عز وجل من بر الوالدة.

وروى الإمام البخاري قول ابن عمر رضي الله عنه أن من الكبائر بكاء الوالدين من العقوق، وسؤاله لرجل: أتفرق من النار وتحب أن تدخل الجنة؟ قال له أي والله، قال آخ والدك؟ قال: عندي أمي، قال ابن عمر فوالله لو ألنت لهما الكلام وأطعمتهما الطعام لتدخلن الجنة ما اجتنبت الكبائر. وشهد ابن عمر رضي الله عنه رجلاً يمانياً يطوف بالبيت جعل أمه وراء ظهره يسأله، يا ابن عمر أتراني جزيتها؟ قال ولا بزفرة

---

(١) الدكتور عز الدين فراج في مقال بمجلة الوعي الإسلامي، الكويت ١٩٨٤، العدد ٢٣٦، ص ٣٠ بعنوان الإسلام والوراثة وتزاوج الأقارب والأباعد.

(٢) سورة لقمان الآية ١٤.

(٣)حديث حسن ورد في مختصر المقاصد للزرقاني، ص ١٨٠ وانظر القرطبي ١٤، ص ٦٤.

واحدة[1]

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "من فرق بين والدة وولدها فرق الله بينه وبين أحبته يوم القيامة" – رواه الترمذي والدارقطني، والحاكم وقال صحيح الإسناد [2].

وكان صلى الله عليه وسلم يمنع التفريق في السبي (في الأسر) بين الوالدة وولدها [3].

بناء الشخصية الاجتماعية

يعتمد بناء الشخصية الاجتماعية على شقين:

(الأول): إشباع حاجاته النفسية.

(الثاني): إعداده لممارسة حياته المستقبلية.

أولاً: إشباع الحاجات النفسية والاجتماعية:

إن هذه الحاجات قد يعيش الإنسان بدونها، ولكن لن يكون شخصاً سوياً أبداً إذا فقدها أو فقد بعضها، وسنعرضها باختصار:

(أ) حاجته إلى الاحترام والتقدير والاستقلال: وإشباع هذه الحاجة يعني قبوله اجتماعياً وزرع الثقة به واكتساب ثقته، وقد حفلت السنة بمظاهر احترام الطفل: كسلام النبي صلى الله عليه وسلم على الصبيان [4]، ومناداتهم بكنى جميلة [5]، واحترام حقوقهم في المجالس فقد استأذن النبي صلى الله عليه وسلم الغلام أن يعطي الأشياخ قبله، وكان هو الجالس عن يمين الرسول صلى الله عليه وسلم [6].

---

(١)انظر الأدب المفرد للبخاري ص ١٥ وما بعدها وأحاديث عدة في بر الأب وبر الوالدين وإن ظلما، وجزاء عقوق الوالدين.

(٢) انظر كتاب الكبائر لابن عبدالله شمس الدين الذهبي ٧٤٨ هـ دار الوعي حلب، ص ١٥٦.

(٣) زاد المعاد لابن القيم جـ٢ ص ١٧٧.

(٤) انظر: صحيح البخاري، كتاب الأستئذان، باب التسليم على الصبيان: ١٣١/٧.

(٥) انظر: المرجع السابق، كتاب الأدب، باب الانبساط إلى الناس: ١٠٢/٧.

(٦)رواه البخاري: كتاب الأشربة، باب هل يستأذن الرجل من على يمينه في الشرب ليعطي الأكبر:

والاحترام لابد أن يكون نابعاً من قلب الوالدين وليس مجرد مظاهر جوفاء فالطفل وإن كان صغيراً فإنه يفهم النظرات الجارحة والمحتقرة ويفرق بين ابتسامة الرضا والاستهزاء، وإضافة إلى السلام عليه ومناداته بأحب الأسماء واحترام حقوقه، إجابة أسئلته وسماع حديثه وشكره إذا أحسن والدعاء له والثناء عليه وإعطاؤه فرصة للدفاع عن نفسه وإبداء رأيه وسماع مشورته.

وأما في مرحلة الطفولة المتأخرة فيجب أن يتفاعل المربي مع ولده تفاعلاً عاطفياً وعملياً، إذ يصادقه ويرافقه في السفر ويشاركه في اللعب المباح والعمل والقراءة، ويسمع شكواه[1]، وإذا اختلف المربي معه في الرأي فبينهما الحوار الهادئ واحترام كل للآخر إلا أن للوالدين حق الطاعة والبر.

كما على المربي أن يتقبل فكرة وقوع ولده في الخطأ، وأن يتذكر أن الخطأ ربما كان طريقاً للنجاح واستدراك الفائت، فلا يشنع عليه ويتيح له فرصة الرجوع والتوبة؛ ليستعيد توازنه النفسي. وقد أشارت الدراسات إلى أن الأسوياء كان آباؤهم يتلفتون إلى محاسنهم ويمدحونهم على أعمالهم الحسنة أكثر من نقد الأخطاء، ويشاركونهم في اللعب والعمل كالأصدقاء[2].

وإذا فقدت هذه الصداقة وجدت الطفل في مراهقته يتعلق بزميل أو معلم أو قريب، وقد يكتسب خبرات سيئة كان الأولى أن يكتسب الحسنة من والده لو أن الصداقة عقدت بينهما.

كما أن احتقار الطفل يشعره بالغربة بين أسرته والرغبة في العزلة[3]، ومن جهة أخرى يقوي صلته برفاقه الذين يعجبون به، وقد يكون هؤلاء رفقة سيئة فينساق معهم وينحرف، والواقع يشهد بمئات الأمثلة.

٦/٢٤٩.

(١) انظر: سلسلة دراسات نفسية وتربوية: فاروق عبدالسلام وميسرة طاهر: ص ١١٣-١١٤.

(٢)انظر: المرجع السابق: ص ١٠٣-١٠٥.

(٣)انظر: المشكلات النفسية عند الأطفال، زكريا الشربيني: ص١١.

وقد تختلف شخصية الطفل وتفكيره عن والده فعندها يجب أن تظل بينهما أواصر الصداقة والمحبة، إذ ليس شرطاً أن يكون الولد صورة عن أبيه ولكن المهم المحافظة على حالته النفسية[1].

وأما الاستقلال فيبدأ عند الطفل في سن مبكرة، إذ يحاول الاعتماد على نفسه في تناول الطعام وارتداء الثياب وعلى الأم أن تساعده على الاستقلال والاعتماد على النفس وسيكون أمراً صعباً يحتاج إلى صبر، وينبغي ألا تقدم له المساعدة إلا إذا كان العمل عسيراً لا يستطيعه، ويستمر في ذلك في كل حاجاته وأعماله، مما يدعم ثقته بنفسه ويسهل تكيفه مع المجتمع.

(ب) حاجته إلى الحب والحنان: وهي من أهم الحاجات النفسية، ولذا حفلت السنة بكثير من مظاهر هذا الحب، وتختلف وسائل إشباع هذه الحاجة من مرحلة لمرحلة، ففي مرحلة الطفولة المبكرة يلذ للمربي ملاعبة الطفل وترقيصه ومداعبته بأرق العبارات وتقبيله وضمه، وبعد أن يبلغ خمس سنوات يحب الطفل أن يجلس قريباً من الوالدين أو يضع رأسه على فخذ أحدهما أو يقبلهما أوغير ذلك، بل إنه تشتد حاجته عند رجوعه من المدرسة أو من مكان لم يصحب فيه والديه أو عند وجود مشكلة خارج البيت أو داخله.

وفي مراحلة المراهقة يظل محتاجاً إلى الحنان والحب من والديه، وذلك أنه قد يخجل من إظهار هذه العاطفة وبخاصة إذا كان والداه ينتقدان حاجته للحب أو ينكران أن يقبلهما أو يسند رأسه إليهما أو يحسان بالإزعاج والتضايق عندما يعبر عن حبه لهما.

وعدم إشباع هذه الحاجة يؤدي إلى انعدام الأمن وعدم الثقة بالنفس، فيصعب على الطفل التكيف مع الآخرين ويصاب بالقلق والانطواء والتوتر، بل يعد الحرمان

---

(١)انظر: دراسات نفسية وتربوية، فاروق عبدالسلام وميسرة طاهر، ص: ١١٣.

من الحب أهم أسباب الإصابة بمرض الاكتئاب في المستقبل[١].

ومن الناحية الاجتماعية تحدث فجوة بين المربي والطفل عندما لا تشبع حاجته إلى الحنان فيحس الطفل بالانقباض تجاه والديه ويستقل بمشكلاته[٢]، أو يفضي بها للآخرين دون والديه، ويصبح عنده جوعة عاطفية[٣]، تجعله مستعداً للتعلق بالآخرين، والتعلق يتخذ صوراً كالإعجاب والحب المفرد المؤدي إلى العشق المحرم والشذوذ الجنسي.

وفي مقابل ذلك فإن الإفراط في الحب وفي التعبير عنه، يمنع المربي من الحزم في تربية الطفل ويعرض الطفل للأمراض النفسية[٤]. فقد يكون التدليل وتلبية الرغبات وتوفير أكثر الحاجات الضرورية والكمالية سبباً في إفساد الطفل؛ لأنه يتعود على الترف، ويعجز في مستقبله عن مواجهة الواقع[٥]، ولن يستطيع تحمل المسؤوليات لأن حب الوالدين له زاد عن حده وجعلهما يمنعانه من الاستقلال وتحمل المسؤولية والقيام بالأعمال[٦].

ج- حاجته إلى اللعب: يحقق اللعب للطفل فوائد نفسية وبدنية وتربوية واجتماعية، منها:

(١) استنفاد الجهد الفائض[٧]، والتنفيس عن التوتر الذي يتعرض له الطفل فيضرب اللعبة متخيلاً أنه يضرب شخصاً أساء إليه أو شخصاً وهمياً عرفه في خياله وفيما يحكى له من الحكايات.

---

(١) انظر: سلسلة بحوث نفسية وتربوية، فاروق عبدالسلام وميسرة طاهر: ص٥١، ٥٤.

(٢) انظر: من أخطائنا في تربية أولادنا، محمد السحيم، ص ٦٨- ١٠٠.

(٣) انظر: الأسرة والطفولة، زيدان عبدالباقي: ص ٢٤٠.

(٤) انظر: سلسلة بحوث نفسية وتربوية، فاروق عبدالسلام وميسرة طاهر: ص ١٠٩.

(٥) انظر: إحياء علوم الدين، الغزالي: ٧٢/٣.

(٦) انظر: سلسلة بحوث نفسية وتربوية، فاروق عبدالسلام وميسرة طاهر: ص١٠٩.

(٧) انظر: منهج التربية الإسلامية، محمد قطب: ص ٣٩٣.

(٢) تعلم الخطأ والصواب وبعض الأخلاق كالصدق والعدل والأمانة وضبط النفس عن طريق اللعب الجماعي، وبناء العلاقات الاجتماعية، إذ يتعلم التعاون والأخذ والعطاء واحترام حقوق الآخرين، كما يتعلم دوره المستقبلي، إذا تمثل الفتاة دور الأم ويمثل الصبي دور الأب، وقد يمثلان مهنة من المهن..

(٣) يدل اللعب بكثرة على توقد الذكاء والفطنة [١]، ويساعد على نمو العضلات وتجديد النشاط، وتنمية المهارات المختلفة[٢].

ضوابط اللعب:

(أ) ضوابط شرعية:

فقد تكون اللعبة محرمة في حد ذاتها، كالنرد والقمار واللعب بالحمام ويدخل تحت ذلك إلىانصيب والرهان غير المشروع، وقد تكون اللعبة حراماً؛ لأنها تشغل عن الواجبات الشرعية، أو لأنها تؤذي الجسم وتعرضه للهلاك، أو أنه يقترن بها محرم ككشف عورة أو لعن أو شتم أو معاداة لمسلم أو موالاة لكافر، أو صورة ذات روح أو صليب أو غير ذلك من المحرمات[٣].

والقاعدة في ذلك: أن كل لعبة مباحة إلا لعبة حرمها الشارع، أو اقترن بها محرم أو أدت إلى فوات واجب أو ارتكاب محرم.

(ب) ضوابط صحية:

منها ما ورد في النهي عن اللعب بعد المغرب إلى العشاء، لأن تلك الساعة تنتشر فيها الشياطين [٤]، فهذا الخطر معلوم شرعاً، وهناك أخطار معلومة بالعقل والتجربة

---

(١) انظر: مجلة مستقبل التربية، ع١ ص٦، نقلاً عن مسؤولية الأب المسلم في تربية الولد، عدنان باحارث: ص ٣١١.

(٢) انظر: المرجع السابق، ص ٤٢٤.

(٣) انظر: المرجع السابق، تربية الأولاد في الإسلام، عبدالله ناصح علوان: ص٩٣٨.

(٤) انظر: مسند إمام أحمد: ٣٦٢/٣.

كاللعب بالأدوات الحادة أو في الأماكن الخطرة.

(ج) ضوابط تربوية منها:

* تناسب اللعبة مع عمر الطفل، ففي السنة الأولى يميل الطفل إلى الألعاب البسيطة كالمكعبات وكرة البلاستيك، ثم يتطور فيصبح بإمكانه اللعب بالتركيبات وأدوات الحفر، والبنت تميل إلى اللعب بالدمي وأدوات المطبخ، ويمكن تعليمه مسك القلم ومشاهدة الكتب المصورة، وتعد الألعاب الصامتة من أهم الألعاب، لأنها تحتاج إلى تخيل وتمرين وتتيح للطفل فرصة الابتكار وتستحوذ على اهتمامه مدة أطول من الألعاب المتحركة [١].

* تعويد الطفل على اللعب بمفرده إذا كان وحيداً، وعلى الأم ألا تشارك ولدها اللعب إلا كتمهيد ثم تنسحب تدريجياً، ليتعلم كيف يلعب وحده ويعتمد على نفسه[٢].

* اللعب مع الحيوانات الأليفة، مع ضرورة الانتباه إلى الرعاية الصحية، وهي تكفل للطفل متعة وفائدة لا تحد[٣].

* إخفاء بعض الألعاب حتى يشتاق إليها ثم إعادتها إليه[٤].

* عدم الإغراق في شراء ألعاب الحرب لأنها تزيد العدوان عند الطفل[٥].

* تهيئة مكان للعب الطفل، ويحسن أن يكون واسعاً مفتوحاً[٦]، وهذا يكفل سلامة الطفل وترتيب البيت وسلامة الألعاب[٧].

---

(١) انظر: المشكلات السلوكية، نبيه الغبرة، ص١٨٨-١٩٢.

(٢) انظر: المرجع السابق، ص١٨٦-١٨٧.

(٣) انظر: طفلك الصغير هل هو مشكلة؟ محمد كامل، ص١٠٨.

(٤) انظر: المشكلات السلوكية: نبيه الغبرة، ص١٨٧.

(٥) انظر: مشكلات تربوية في حياة طفلك، محمد العويد، ص٧٤.

(٦) انظر: كيف تربي طفلاً؟، محمد زياد حمدان، ص٣٣.

(٧) استمع إلى: شريط توجيهات وأفكار في تربية الصغار، محمد الدويش.

ثانياً: إعداده لممارسة حياته المستقبلية:

ولن يكون هذا الإعداد إلا بزرع الثقة في نفس الطفل وتعويده الاعتماد على النفس وتقوية إرادته وعزيمته وتنمية مواهبه، وهناك وسائل تساعد على ذلك منها:

*احترام الطفل: وهذا الاحترام يحمل على إكرام الطفل وعدم السخرية منه ولو أخفق في عمل ما، بل إن احترامه يقتضي الثناء عليه عند نجاحه، واستشارته في بعض الأمور، واستحسان رأيه الصائب، وإرشاده برفق إلى خطأ رأيه[1]. وإذا كان أحد الوالدين أو بعض الأقارب يستهزئ بالطفل أو يواجهه بالنقد الجارح كانتقاد الشكل أو العقل، فعلى الأطراف الأخرى أن تدعم الطفل وتنمي ثقته بنفسه وتمدحه وتمنع الأطراف الأخرى من الانتقاص من الطفل؛ لأن ذلك يضعف ثقته بنفسه في المستقبل ويهز شخصيته ويجعله مستعداً للتخلي عن أفكاره بسرعة إذا انتقده الآخرون ولو كانت تلك الأفكار صائبة؛ لأنه لم يتعود على الثقة بالنفس واحترامها منذ الطفولة.

*تكليفه ببعض الأعمال: وأول خطوة في ذلك: استغلال رغبته في الاستقلال وتأكيد الذات، فقد أثبتت الدراسات الحديثة أن الطفل يسعى إلى الاستقلال في سن مبكرة، فيحاول الأكل وحده وغسل يديه وتمشيط شعره وارتداء ملابسه، ويجب مساعدة الآخرين، وعلى الأم خاصة أن ترضي هذه الحاجة فتعطي أطفالها حريتهم في الاستقلال وتساعدهم دون سخرية ولا تدللهم بدافع المحبة الزائدة[2].

* وتأتي الخطوة الثانية في: تعويد الطفل على ترتيب غرفته وقضاء حوائجه الخاصة، وإذا كان في البيت خدم فينبغي أن يعلم أن الخدم للبيت عامة، وعلى كل فرد القيام بعمله وحوائجه[3].

* الخطوة الثالثة: تتمثل في أشياء كثيرة منها: استئمانه على الدوائع وتكليفه

---

(١) انظر: من أخطائنا في تربية أولادنا، محمد السحيم، ص٨٤، ٨٧، ١١١.

(٢) انظر: تصميم البرنامج التربوي للطفل، يسرية صادق وزكريا الشربيني، ص ٤٩-٥٠.

(٣) انظر: كيف نربي أطفالنا، محمود الاستانبولي، ص٧٨.

بالبيع والشراء، وأعمال أخرى بحسب قدرة الطفل وقوته.

* اختلاطه بالناس لأن الحياة مدرسة لن يتعلم الطفل إلا من ممارستها فَيُعَوَّدُ الطفل على حضور المجالس ومصاحبة والده في زياراته وحضور الولائم والأعراس بشروطه وضوابطه، لأن هناك جوانب لن تتضح إلا إذا خرج الطفل من البيت والتقى بالغرباء، وقد يأتي بعادات سيئة أو كلمات بذيئة ليس لها علاج إلا التصحيح السريع[1]، وأما منعه من ذلك فخطأ جسيم يمنعه من تعلم أشياء كثيرة ومن ثم يصعب عليه التكيف من الآخرين.

* ويجب أن يعلم المربي ولده آداب المجالس والحديث ويتركه يعتمد على نفسه فلا يلقنه الإجابة إذا سُئل، ويحذره من الثرثرة ويطلب منه المشاركة في الحديث[2].

* تقوية إرادته عن طريق: تعويده الصبر وإبعاده عن الترف، ويتعلم الطفل الصبر وضبط السلوك في الشهور الأولى من حياته إذا تريثت الأم قليلاً في إجابة ندائه وتحقيق طلباته من طعام أو شراب أو غير ذلك، وهذا التريث قليل لا يصل إلى حد الإضرار به[3]. وكذلك: عدم إجابة طلباته وحرمانه من بعض الكمإليات حتى لا يفسد بالترف[4].

* تعويده الخضوع للسلطة المرشدة التي تضبط سلوكه وتحد من رغباته المتهورة، وعلى يدها يتعلم السلوك الصحيح[5]، ويتوافق مع المجتمع الذي يعيش فيه بخضوعه للقيم الاجتماعية المتعارف عليها[6]، ويستحسن أن يقنع المربي ولده بالعادات الاجتماعية، وأما التكإليف الشرعية فليس ضرورياً أن يقتنع بها، بل ينبغي أن يعلم

---

(١) انظر: منهج التربية الإسلامية، محمد قطب، ص٤٠٥-٤٠٨.

(٢) انظر: من أخطائنا في تربية أولادنا، محمد السحيم، ص٧٤-٨٧.

(٣) انظر: نمو الطفل وتنشئته، فوزية دياب، ص١١١-١١٢.

(٤) انظر: كيف نربي أطفالنا، محمود الإستانبولي، ص ٣٨-٤٠.

(٥) انظر: تصميم البرنامج التربوي للطفل، يسرية صادق وزكريا الشربيني، ص٥٣-٥٤.

(٦) انظر: نمو الطفل وتنشئته، فوزية دياب، ص١١٤.

حرمتها ويحترم كونها أمراً شرعياً[1].

* ينبغي أن يختلف إعداد الفتى عن الفتاة، فلابد من منع الطفلة من مجالس الرجال إذا بلغت الرابعة أو الخامسة ومن الخروج على الشارع، وتعلم الأدب والحشمة والحياء، وتُلْزَم بالحجاب، وتُعَلَّم أعمال المنزل وكل مايساعدها لتكون زوجة ناجحة وأماً مثالية[2]، ومن الواجب أن تكون الأم صديقة لبنتها فتشركها معها في أعمال المنزل والتزين والمكوث في البيت وتشابه اللباس. والأب يصادق ولده ويخرج معه إلى قضاء الحوائج والصلاة ويلبس مثله، ولكن ليحذر من أخذه معه في رحلات أصدقائه؛ لأنه قد يتعلق بأحدهم وبخاصة إذا كان مراهقاً ويحدث الانحراف من حيث لم يحذر الوالد.

يُعد هذا الهدف أهم أهداف التربية الإسلامية وكل الأهداف تنبثق منه، وقد جبل الله –عز وجل– النفوس على التوحيد ولكنها تحتاج أن تتعلم أصول الإيمان وجزئياته، وأصلح أوقات غرس العقيدة السنوات الأولى في حياة الطفل؛ لأنه يصغي إلى المربي بكل جوارحه، ويقبلها دون نقاش[3]، كما أن خياله الواسع يساعده في تخيل الجنة والنار وأهوال القيامة والملائكة وعالم الجن وغيرها مما يتصور.

وهناك عدة وسائل لتحقيق وغرس العقيدة وهي:

١–ترسيخ العقيدة الصحيحة عن طريق التلقين: أول ما يلقن الطفل كلمة التوحيد، إذ أن السلف يعلمون الطفل في أول حياته كلمة التوحيد، ويؤذنون في أذنيه عند ولادته، ليكون أول ما يقرع سمعه. وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: "افتحوا على صبيانكم أول كلمة بلا إله إلا الله"[4]

---

(١) انظر: مسؤولية الأب المسلم في تربية الولد، عدنان باحارث، ص٥٣–٥٤.

(٢) انظر: تربية البنات في البيت المسلم، خالد الشنتوت، ص٧٨–٧٩، ٥٤.

(٣) انظر: كيف نربي أطفالنا: محمود الاستانبولي: ص٤٨.

(٤) رواه البيهقي في شعب الإيمان: ٣٩٨/٦، والديلمي في الفردوس في مأثور الخطاب: ٧١/١ ورقم الحديث(٢٠٧)، وذكره المباركفوري في تحفة الأحوذي: ٦٤/٤.

ثم يعلم القرآن "وتعلم الصبيان القرآن أصل من أصول الإسلام، فينشأون على الفطرة ويسبق إلى قلوبهم أنوار الحكمة قبل تمكن الأهواء منها"[1]، وهو خير من تعليم الجدل والفلسفة[2]. وقد يسر الله تعالى حفظ القرآن، وإن الصبي ليحفظ منه كثيراً بقليل من الجهد ولو حاول حفظ غيره من العلوم لقضى في ذلك أضعاف ما يقضيه في حفظ القرآن[3]، ثم إن قصاره تشتمل على أصول الإيمان[4]، فيبدأ الطفل بحفظها وتدبر معانيها. ثم مع حفظ القرآن يعلم السيرة النبوية والمغازي وسير الصحابة والتابعين وحكايات الأبرار والصالحين[5].

كما على المربي أن يحدث الطفل عن حقائق الإيمان ويجيب على أسئلته بصدق، مهتدياً بالرسول صلى الله عليه وسلم حين حدث ابن عمر –رضي الله عنهما – فقال: "ياغلام احفظ الله يحفظك..." [6]، وقد كان الصغار يحضرون الجمعة والجماعات ويسمعون حديث الرسول صلى الله عليه وسلم وعلى المربي أن يحدث الطفل عن الجنة والنار، ويصفهم بأوصاف يفهمها الطفل فيتخيلها، ويرسخ في ذهنه وجودهما.

٢–ترسيخ العقيدة عن طريق تعليمه الأذكار: وليس المراد فقط أن يحفظ أذكار الأحوال والمناسبات من أكل وشرب ونوم ويقظة، بل يعلمه الدعاء وطلب الحاجة من الله، وإذا مشي في الظلام علمه ذكر الله والاستئناس به والتسمية عند الفزع، والدعاء عند المرض، حتى يتعلم الاستغاثة، ويعلمه الرقية الشرعية والتوكل على الله وطلب الحاجة منه وحده.

---

(١) من كلام الحافظ السيوطي – رحمه الله.

(٢) انظر: إحياء علوم الدين، الإمام الغزإلى: ٩٤/١.

(٣) انظر: إعجاز القرآن، مصطفى الرافعي: ص٢٤٢.

(٤) انظر: مباحث في علوم القرآن، مناع القطان: ص٦٠.

(٥) انظر: إحياء علوم الدين، الإمام الغزإلى: ٧٣/٣.

(٦) أخرجه الإمام أحمد في مسنده: ٢٩٣/١، ٣٠٧.

٣-ترسيخ العقيدة عن طريق التدبر: بأن يلفت نظر الطفل إلى مظاهر الكون وارتباطها بالتوحيد، وهذا الربط يشعر الطفل بالتوازن النفسي، ويحس بأنه جزء من أجزاء الكون المتناسقة[١]، ويبين له أن هذا الكون بكل ما فيه يسبح لله ويرشده إلى التسبيح ليكون مع الركب المسبح.

كما أن المربي يستطيع تعليم الطفل صفات الله عز وجل وأسمائه عن طريق التدبر في جمال الكون وعظمة الطبيعة ونظامها[٢].

"واعلم أن ما ذكرناه.. ينبغي أن يقدم للطفل في أول نشوئه ليُحفظ حفظاً، ثم لا يزال ينكشف له معناه في كبره شيئاً فشيئاً، فابتداؤه الحفظ ثم الفهم ثم الاعتقاد والإيمان والتصديق به، وذلك مما يحصل في الصبي بغير برهان"[٣].

٤-حمايته من الشرك ووسائله: فإن بعض الناس يلفت نظر الطفل إلى رقابة الناس والاستخفاء ببعض الأمور، ويجعل الطفل مهتماً برضا الناس خائفاً من سخطهم، ويتكرر هذا حتى يغلب عليه مراقبة الله والاهتمام برضاه والخوف من سخطه، فيتعلم الرياء، ويعمل طلباً لرضا الناس وإن غابوا عنه لم يعمل أي عمل، أو يعمل عادة دون ابتغاء الأجر من الله[٤].

مقومات الاستقامة في تعليم النشء

قد لا يتصور كثير من الباحثين أن لغة الخطاب التي تحمل هدي الإسلام بين الأجيال الكثيرة والناشئة تمثل أدباً رفيعاً في مخاطبة الوجدان ووقعاً حبيباً على النفس خاصة إذا ما اقترنت التوجيهات بنبرة القلب الخاشع ومشاعر الوالد الحنون.

إن القرآن الكريم وهو يقدم للإنسانية الهدي الإسلامي في تربية النشئ يعطينا

---

(١) انظر: كيف يربي المسلم ولده، محمد سعيد مولوي: ص١١٩.

(٢) انظر: المرجع السابق: ص١١٧.

(٣) إحياء علوم الدين، الغزالي: ٩٤/١.

(٤) انظر: من أخطائنا في تربية أولادنا، محمد السحيم: ص١٢- ١٧، ٧٢-٧٦.

أعظم الدلالات وأقوى البراهين على صلاحية هذا الدين لكل زمان ومكان.

وإذا نظرنا إلى القرآن الكريم نرى أنه يلفت أنظار الآباء إلى مهمتهم، وفي وصايا لقمان لابنه ومواعظه كما حكاها القرآن نفسه عن هذا الأب الحكيم في هذه الآيات الكريمة التي تبدأ بالثناء على لقمان بأنه أوتي الحكمة ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً، نرى الدرس أبلغ ما يكون. فيقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾ (١).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰبُنَىَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ يَٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾﴾ (٢).

إن هذه التوصيات التربوية، التي حكاها القرآن على لسان لقمان كنموذج لاهتمام الآباء بالأبناء أو عناية الشيوخ بالشباب –واضحة المعاني، سامية الأهداف لا تحتاج إلى تفكير كثير، أو تفصيل طويل.

فهي أولاً: تتضمن النهي عن الشرك بالله عز وجل فهو الحقيق بالتوحيد والعبادة؛ لأنه الخالق الرازق والمحيي والمميت، وهو الفعال لما يريد.

ثانياً: التنبيه إلى أن الله تبارك وتعالى يعلم السر وأخفى، ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، وإن الأحداث والأشياء الصغيرة، مهما دقت وخفيت فإن الله يعلمها

---

(١) سورة لقمان الآية ١٢-١٣.

(٢) سورة لقمان الآية ١٦-١٩.

ويأتي بها يوم القيامة ويحاسب عليها، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر. إن الله لطيف خبير، فعلى الشباب أن يدركوا هذا المعنى الدقيق لقدرة الله عز وجل، ولحكمته الواسعة، وخبرته المحيطة.

ثالثا: الأمر بإقامة الصلاة التي هي عمود الإسلام، وهي كذلك فرق ما بين الكفر والإيمان، ثم التوجيه إلى واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر اللذين هما أساس المجتمعات وقيامها على الحق، والخير والبر، ثم الوصية بالصبر عن مكاره الدعوة إلى الله، ومتاعب الجهاد في سبيله، ففي الصبر – كما جاء في الحديث –خير كثير وجزاء للصابرين كما يقول القرآن:

﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (١).

رابعاً: الزجر عن الكبرياء في معاملة الناس، وعن الخيلاء مشياً في الأرض فإن الله يبغض كل مختال فخور.

خامساً: الأمر بالاعتدال في الخطى، وخفض الصوت عند الكلام لأن رفع الصوت ليس من أدب الإنسان بل هو شأن الحيوان.

ونمضي في تأمل آي القرآن الكريم، فنجده يثني على جماعة من الشباب بـ

﴿ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ ﴾ (٢).

لماذا؟ لأنهم هجروا قومهم الذين اتخذوا من دون الله آلهة، ولجأوا إلى الله في كهف يعبدونه ويدعونه ﴿ إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ ﴾ (٣).

ونجد القرآن –في موضع آخر، في سورة كاملة –يضرب بنبيه يوسف عليه

---

(١) سورة الزمر الآية ١٠.

(٢) سورة الكهف الآية ١٣.

(٣) سورة الكهف آية ١٠.

السلام، مثلاً للشباب الصالح العفيف الذي يستعصم عن الفسوق وهو يتعرض لفتنة جمال امرأة العزيز، ويتصدى لرغبتها فيه، ودعوتها إياه واستعدادها له:

﴿ وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾[1].

كما نقرأ في أواخر سورة (النور) تأديباً قرآنياً رائعاً لأعضاء الأسرة المسلمة يشمل الشباب، في موضوع الاستئذان من الصغار بدخولهم على الكبار في أوقات الراحة والخلوة: ﴿ وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُوا۟ كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٩﴾ ﴾[2]. وذلك لئلا يطلعوا على علاقات آبائهم الخاصة، فيشغلوا بها، قبل أوانها وفي ذلك فساد كبير.

وأخيراً نجد القرآن يصور لهفة الآباء وحرصهم على صلاح ذريتهم في الدنيا، تمهيداً للحاقهم بهم في سعادة الآخرة: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ ﴾[3].

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ ۚ كُلُّ ٱمْرِئٍۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٢١﴾ ﴾[4].

وبصفة خاصة ينبئنا القرآن بقصة نوح عليه السلام مع ابنه: ﴿ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾[5]. ولكن الابن أصر على الافتراق عن أبيه، فلم ييئس نوح وتوجه إلى ربه العزيز الحكيم بقلب الأب العطوف المتعلق: ﴿ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ

---

(١) سورة يوسف آية ١٣.

(٢) سورة النور الآية ٥٩.

(٣) سورة الفرقان الآية ٧٤.

(٤) سورة الطور الآية ٢١.

(٥) سورة هود الآية ٤٢.

أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾[1]. وقريب منها قصة إبراهيم عليه السلام في سؤال ربه عز وجل أن يشمل بنيه بالصلاح: ﴿ وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ ﴾[2]. وأن يجعلهم آئمة هدى مثله: ﴿ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴿١٢٤﴾ ﴾[3].

فالقرآن إذ يقدم لنا من وصايا وآداب وقصص عن "الأبناء" وضرورة عناية "الآباء" بتقويمهم وتعليمهم إنما يؤكد اهتمامه البالغ بشباب الأمة الإسلامية.

ولقد اهتم نبي الإسلام صلى الله عليه وسلم بالشباب: تعليماً وتربية وتوجيهاً إلى الخير، وانتفاعاً بنشاط الشباب وحماسه، وإخلاصه، فقد رويت عنه صلى الله عليه وسلم الأحاديث التالية:

"وأوصيكم بالشباب خيراً، فإنهم أرق أفئدة.. إن الله بعثني بالحنيفية السمحة فحالفني الشباب وخالفني الشيوخ"[4]. ثم تلا قوله تعالى: ﴿ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿١٦﴾ ﴾[5].

"اغتنم خمساً قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك"[6].

كما ذكر صلى الله عليه وسلم فيما يسأل عنه العبد يوم القيامة قبل أن يقضي له أو عليه أنه "يسأل عن شبابه فيما أبلاه"[7].

---

(١) سورة هود الآية ٤٥.

(٢) سورة إبراهيم الآية ٣٥.

(٣) سورة البقرة الآية ١٢٤.

(٤) كشف الخفاء جـ١ ص٢٥١.

(٥) سورة الحديد الآية ١٦.

(٦) الحاكم جـ٤ ص٣٠٦.

(٧) الترمذي: قيامة ١.

وعد الرسول صلى الله عليه وسلم الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: "الشاب الذي ينشأ في عبادة ربه"[١].

"يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر وأحفظ للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء أي وقاية"[٢].

"ما نحل والد ولده نحلة أفضل من أدب حسن"[٣].

"لأن يؤدب الرجل ولده خير من أن يتصدق كل يوم بنصف صاع"[٤].

"مروا أولادكم بالصلاة لسبع، واضربوهم عليها لعشر، وألبسوهم السراويل وفرقوا بينهم في المضاجع"[٥].

"أكرموا أولادكم وأحسنوا آدابهم" [٦].

" يا غلام إني أعلمك كلمات: "احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك وإذا سألت فسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله"[٧].

وغير ذلك من توجيهات تربوية يخص الإسلام بها الشباب –وبتأمل هذه الاهتمامات النبوية بالشباب نتبين أن الإسلام حريص على أن يلفت أنظار المسلمين وأفكارهم إلى حقيقة تكوين الشباب كغرسة ناشئة طرية قابلة للتشكيل والتلوين على الصورة المرادة.

هذا وغاية الإسلام من طرح لغة الخطاب الراقية –التي يجب أن تكون بين

---

(١) صحيح البخاري ٢٣٢/٣.

(٢) صحيح البخاري ٩٢/٩.

(٣) أحمد بن حنبل ٤١٢/٣.

(٤) أحمد بن حنبل ٩٦/٥، ١٠٢.

(٥) أحمد بن حنبل ١٨٧/٢.

(٦) ابن ماجه كتاب الأدب – الباب الثالث.

(٧) أحمد بن حنبل ١٩٢/١، ٢٠٢، ٢٠٧.

الأجيال –ضبط سلوكه وفق عملية تربوية بحيث تتسق وتتطابق مع السلوك والاتجاهات الإسلامية ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٧﴾ ﴾[1].

هذا ويوجه القرآن الكريم أنظار الآباء والمربين إلى مبادئ تربوية سامية عليهم الحرص عليها خلال تربية أبنائهم، ويتجلى هذا التوجيه في عدة مواضع من القرآن الكريم منها قصة الشاب الصالح في البيئة الفاسدة، نبي الله يوسف عليه السلام، قال تعالى ﴿ وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ ۖ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ ۖ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَن رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ ۚ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾[2].

ويوضح لنا الخالق سبحانه وتعالى في سورة النور، مجموعة من الآداب والقيم الاجتماعية التربوية التي يجب غرسها في نفوس النشء وتدريبهم سلوكياً عليها، مثال هذا وكما سبقت الإشارة إليه استئذان الصغار عند دخولهم على الكبار خلال وقت الراحة والخلوة: ﴿ وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٩﴾ ﴾[3]. وذلك حتى لا يطلع الأبناء على علاقات آبائهم الخاصة فتترك أثراً سيئاً في نفوسهم وينشغلون بها قبل الأوان.

يوضح لنا القرآن الكريم في سورة الفرقان خصائص عباد الرحمن التي يجب غرسها في النشء من خلال العملية التربوية قال تعالى: ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ

---

(١) سورة الأعلى الآيات ١٤– ١٧.

(٢) سورة يوسف الآيتان ٢٣– ٢٤.

(٣) سورة النور الآية ٥٩.

يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ ۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ ﴾ [1].

وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِٱللَّغْوِ مَرُّوا۟ كِرَامًا ﴿٧٢﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا۟ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ ﴾ [2].

ومن قصة نوح عليه السلام مع ابنه ليس على المربين إلا أن يتخذوا من القرآن الكريم أسلوبه العظيم في مخاطبة الناس، ودعوتهم إلى الخير، لأنه بالإضافة إلى أنه كتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد، فهو يتضمن أرق الأساليب وأعظم وسائل التربية.

يسعي المربي الناجح إلى تنشئة ولده على العبادات ليضمن تعلقه بالدين و ليحفظه من الانحراف، ومن الخطأ أن نهمل الطفل ثم نلزمه بالتكاليف الشرعية بعد بلوغه، وقد ذكر العلماء أن تعلىم المميز الصلاة لا لوجوبها عليه ولكن ليتعود عليها حتى إذا بلغ الحلم كانت الصلاة يسيرة عليه وتعلق قلبه بها و لم يقدر على تركها.

والصلاة أهم عبادة قلبية بدنية يجب تعويد الطفل عليها، فإن كان ذكراً أمر بالصلاة مع الجماعة [3]، وهو ابن سبع سنين، ويؤمر بها إلى أن يبلغ العشر، فإذا بلغ

---

(١) سورة الفرقان الآيات ٦٣- ٦٩.

(٢) سورة الفرقان الآيات ٧٢- ٧٤.

(٣) استمع إلى شريط: منهج السلف في تربية الأولاد، محمد بن صالح بن عثيمين.

العشر وترك الصلاة عوقب بالضرب.

وعلى الأب أن يأمر أولاده بالصلاة إذا دخل وقتها، ويذكرهم بالله ويرغبهم ويخوفهم ثم يدعوهم إلى الوضوء ويأخذهم معه إلى المسجد أو يشترط عليهم أن يراهم قريباً منه.

ويجب أن يلزمهم بكل ما يشترط لصحة الصلاة من طهارة وخشوع وستر عورة وغيرها[1].

وقد يكره بعض المميزين الصلاة في المسجد؛ لأن والده يأخذه إلى المسجد مبكراً فينتظر عشر دقائق أو أكثر، وهو يسمع أصوات الأطفال في الخارج، ويؤمر بالجلوس وقراءة القرآن وهو الصبي المحب للحركة، والوسط خير، فإذا كان عمره أقل من الثالثة عشرة عاماً فإنه يؤمر بالصلاة ويشترط والده أن يصلى قريباً منه ويترك له الحرية في التبكير أو التأخير إلى وقت إقامة الصلاة، وإذا كان بلغ الثالثة عشرة فالواجب أن يأخذه منذ أن يؤذن أو يتركه يأتي بمفرده إلا أنه يجب أن يحرص على التأكد من حضوره للصلاة.

كما عليه أن يعودهم على العبادات المختلفة اهتداءً بمن سلف، فقد كان الصحابة – رضوان الله عليهم –يصوِّمون أولادهم ويعطونهم اللعب ليتلهوا عن الجوع، ويصلون معهم الجمعة والتراويح والعيدين، ويؤذنون، ويحجون معهم، كل ذلك على سبيل التدريب والتعليم[2].

وأفضل الوسائل للتعويد على العبادات مكافأة الصبي وترغيبه وتشجيعه على الإكثار من العبادات على منهج وسط، ويرغب في الثواب الأخروي، و يربط بالقدوة الأول صلى الله عليه وسلم، ولكن ينبغي الحذر من الإكثار من مكافأته حتى لا يرتبط بالهدايا، بل يرتبط بالله سبحانه وتعالى، ومع استمرار العبادات يوجه الطفل إلى

---

(١) انظر: المغني، ابن قدامة ١/٦٤٧.

(٢) انظر: منهج التربية النبوية، محمد نور سويد: ص١٢٣- ١٣٩.

الخشوع وإحسان العمل وتصحيحه من الخطأ.

وأما التنشئة على الأخلاق الفاضلة فهي جزء من الدين، لأن المسلم إنما يتحلي بالخلق ابتغاء الجزاء من الله سبحانه[1].

والتنشئة الخلقية تحتاج إلى مراحل هي:

(١) غرس العادات في مرحلة مبكرة فإن الطفل "ينشأ على ما عوده المربي في صغره من حر[2] وغضب ولجاج وخفة مع هواه، وطيش وحدة وجشع، فيصعب عليه في كبره تلافي ذلك"[3]،ومما يعين على جعل الطفل ذا طبيعة هادئة مراعاة حاجاته الفطرية، فيرضع في وقت طلبه لأن التأخير الشديد يجعله متوتراً، وعدم قطعه من الرضاعة حتى يرتوي، فكثرة الانقطاع عن الرضاعة والقيام عنه مرات يجعله سريع الانفعال، وملاعبته حتى في أيامه الأولي يجعله متزناً وكذلك تنويمه في الوقت الذي يريد في بداية الأمر، وإذا بكى الطفل من الجوع أو المرض يترك قليلاً ليتعود الصبر، وإذا طلب شيئاً قريباً منه أرشد إلى خدمة نفسه ليتعود الجد والاعتماد على النفس، وإذا شاهد فقيراً بين له المربي حاله ليرحمه ويشفق عليه، فيتعلم الرحمة والتواضع، وهكذا يمكن للمربي أن يعوده على الفضائل في السنوات الخمس الأول.

(٢) إلزامه الأحكام والآداب الشرعية كآداب الطعام واللباس والاستئذان والنوم وجميع الآداب التي وردت، ويكون هذا التعويد في السنوات الأولى، ويمنعه من مفسدات الأخلاق، ومن المعاصي، وإن أكبر ما يفسدها أشعار الغزل والأغاني إذ تبذر فيه بذرة الفساد، ويلحق بها الروايات والقصص الغرامية والأفلام المفسدة، ويجب أن يحرص الوالدان على حماية أبنائهما من رؤية ما يخدش الحياء سواءً في وسائل الإعلام أو في البيت، فتكون علاقتهما الجنسية في غاية السرية لأن الطفل الصغير الذي

---

(١) انظر: أصول التربية الإسلامية، عبدالرحمن النحلاوي: ص٦٥، ٩٨-٩٩.

(٢) حر: الحرارة والشدة وسرعة الغضب.

(٣) انظر: تحفة المودود، ابن القيم: ص١٨٧.

ينام مع والديه يرى من الأمور مايجعله يقلد والديه تقليداً بريئاً، فإذا زجره المربي عن تلك الحركات أحس أنها خطأ يستخفي به الأبوان؛ ولذا كان أحد الصحابة يخرج الرضيع من الحجرة إذا أراد أهله.

(٣) ويجب أن يجنبه لبس الحرير –إذا كان ذكراً –والذهب والتنعم لأن ذلك يعوده على فعل الحرام والتشبه بالنساء [١]، ويمنع من قص الشعر تشبهاً وكذلك الصبية تمنع من التشبه بالرجال أو الكفار، وهذا باب واسع، والأصل فيه إلزام الطفل بكل حلال ومنعه من كل حرام،ويأثم وليه بتمكينه من المعاصي دون الصبي[٢]. وقد يقول قائل إنك تلزم ولدك بالشرع ثم ما يلبث أن يشتد عوده فيترك ما كان يفعله خوفاً منك أو احتراماً لك، فنقول ليس شرطاً أن يحدث لك، ثم إن إلزام المربي ولده بذلك هو واجبه الذي أمر الله به، وقد يكون الإلزام بذلك بداية للتعود ثم يصبح الطفل رجلاً عاقلاً ذا دين يفعل ما أمر به ابتغاء الثواب، وهب أنه ترك كل ما ألزمه به المربي فإنه تكون الذمة قد برئت منه.

(٤) حثه على مكارم الأخلاق مع ربه أولاً، ثم مع الناس والحيوان والجماد، لأن الأخلاق تشمل ذلك كله[٣]، وهذا الحث يجب أن يكون بالتلقين وتكوين العاطفة التي تدفع إلى التطبيق ابتغاء الأجر، وتقوية إرادته ليقدر على قهر الهوى وضبط النفس[٤]، فيقال: إن الصدق خلق حسن، يقود صاحبه إلى الخير، ويحكي له قصص الصادقين وجزاؤهم في الدنيا والآخرة، وبهذا يحب الصدق، وتتكون لديه عاطفة تدفعه للصدق، ولا بد أن يتسلح بالإرادة والعزيمة.

للمسجد والمدرسة دور تربوي فعال إذا تم التعاون بينهما و لم يظهر التناقض،

---

(١) انظر: إحياء علوم الدين، الغزإلى: ٣/٧٢، ٧٣، وتحفة المودود، ابن القيم: ص١٨٧– ١٨٩.

(٢) انظر: تحفة المودود، ابن القيم: ص١٧٠.

(٣) انظر: الأصول التربوية لبناء الشخصية المسلمة، عبدالودود مكروم: ص٥٠١، ودور التربية الأخلاقية الإسلامية: مقداديا لجن: ص١٥.

(٤) انظر: دور التربية الأخلاقية الإسلامية، مقداديا لجن: ص٢٧– ٢٨.

وهناك وسائل تعين المسجد على أداء رسالته منها:

(١) أن يلمس الطفل من المربي محبة المساجد وتعظيمها[١]؛ فإذا سمع الأذان أنصت أهل البيت ورددوا معه وأمروا الطفل بتقليده، فعند ذلك ينتبه الطفل لهذا الصوت المتكرر، ويقترن بالصلاة لأنه يرى مبادرة أهل البيت إلى الصلاة، ويصير الأذان بذلك منبهاً نفسياً للصلاة يعيش في ضمير الطفل، ويحسن بالأم أن تلفت نظر الطفل إلى شكل المسجد وتريه صورته وترسمها معه، وتخبره أنه إذا كبر ذهب إلى المسجد للصلاة، وعلى الأب أن يذكر فضل المساجد وثواب المصلين فيها، ويمدح المحافظين على صلاة الجماعة من أهل البيت أو الجيران والمعارف[٢].

(٢) أن يصحب والده إذا أحب ذلك وبعد أن يكون قد تعلم آداب قضاء الحاجة[٣]. وإن أحدث شغباً فلا يمنع من الحضور، بل يعلم ويوجه.

(٣) أن يؤمر بالصلاة إذا ميز، ويطالبه، المربي بالصلاة مع الجماعة، ويأمره بما تصح به الصلاة من طهارة وستر عورة وطمأنينة وغير ذلك مما يكون شرطاً لصحة الصلاة[٤].

(٤)أن يعامل الطفل معاملة حسنة من أهله وإمام المسجد ومؤذنه ومن المصلين، وإذا رأوا شيئاً ينكرونه من الحركات فعليهم أن يغضوا أبصارهم ويعلموه برفق ولين، كما يجب عليهم التلطف له والتبسم في وجهه[٥]، والثناء عليه والسؤال عنه والسلام عليه وإهداؤه الهدايا، وإذا حضر مبكراً فلا ينبغي تأخيره عن مكانه ولو كان في الصف الأول، وفي ذلك فوائد منها: أنه إذا أخر إلى الصفوف الأخيرة اجتمع الأطفال

---

(١) انظر: التربية الإسلامية: سليمان الحقيل، ص١٤٩.

(٢) انظر: المساجد ودورها التربوي، صالح السدلان، ص٧٦.

(٣) انظر: المرجع السابق.

(٤) استمع إلى: شريط (منهج السلف في تربية الأولاد)، الشيخ محمد بن عثيمين.

(٥) انظر: منهج التربية النبوية، محمد نور سويد: ص١٣٤.

فكثر العبث وشوشوا على من حولهم[1]، كما أنه يتعلم السنن الشرعية من مجاورته للكبار، ويحس بالكرامة والعزة والاحترام لوجوده بينهم.

(٥) أن يلحق بحلق تحفيظ القرآن لتتوثق علاقته بالمسجد وبأهل الحي وليتعرف على رفقة صالحة، وليشغل وقت العصر، الذي يضيع في اللعب في الشوارع أو مشاهدة التلفاز.

(٦) أن يأخذه والده لحضور الدروس والمحاضرات المقامة في المسجد.

دور المدرسة في التربية:

وأما المدرسة فلها إلىوم دور أكبر من دور المسجد، وتعد المؤسسة التربوية الثانية، لأنها تحتوي الطفل مدة أطول، وتتيح له فرصة الحصول على أقران.

وتكمن أهمية المدرسة في ثلاثة جوانب:

أ-البناء الاجتماعي: يتساوى الطلاب في المدرسة ولا يتميز أحد منهم إلا بالتفوق العلمي أو الأخلاقي أو كليهما[2]، وبهذا يجد الطفل المنبوذ في أسرته ترحيباً في المدرسة وفرصة لاكتساب التفوق لتظهر له شخصية محبوبة لم تظهر له في أسرته، كما أنه يندمج في مجموعة من أترابه تختلف شخصياتهم فيتعلم مبادئ التعامل واحترام الآخرين ومراعاة مصلحة الجماعة، هذا إضافة إلى الانضباط الذي يتعلمه من خلال اللعب الجماعي والأنشطة المدرسية، وتظهر فيهم شخصيات قيادية ذات قدرة على تحمل المسؤولية.

ب-البناء الأخلاقي: تقوم المدرسة بدور فعال في بناء الأخلاق إذا اختار المربي مدرسة فيها مدرسون أتقياء وأمناء ملتزمون بالشرع[3]، وتضم كذلك قرناء صالحين.

---

(١) استمع إلى: شريط (منهج السلف في تربية الأولاد)، الشيخ محمد بن عثيمين.

(٢) انظر: كيف نربي طفلاً، محمد زياد حمدان: ص٥٦.

(٣) انظر: نصيحة الملوك، الماوردي: ص ١٧٠، نقلاً عن منهج التربية النبوية: محمد نور سويد: ص٢٢٥.

ويجب أن تتوحد أو تتقارب التوجيهات الأخلاقية التي تهتم بها الأسرة والمدرسة وإذا عرف المربي أن المدرسة تزرع العادات الحسنة فعليه أن يدعمها، أما إن كانت تلك العادات سيئة فيجب أن يتصل بالمدرسة وأن يحاول إقناع ولده بأن البشر كلهم عرضة للخطأ، ويقنعه بسوء هذه العادات وقبحها، كما يجب على المربي أن يسأل عن أخلاقيات ولده وسلوكه في المدرسة.

ج-الإعداد الوظيفي: ليس المقصود بالإعداد الوظيفي تأهيل الطفل لممارسة مهنة تنفعه وتنفع أمته، بل يتسع المفهوم ليشمل تأهيل المرأة لتكون زوجة وأما قبل كل شيء، وتأهيل الذكر ليكون عضواً صالحاً في المجتمع وأباً مسؤولاً وصاحب مهنة شريفة، والذي نفتقده إعداد المرأة للحياة الزوجية والأمومة، وكل الدول عادة توحد المناهج بين الذكور والإناث عدا بعضها، وإذ تُخصص لذلك مادة بمعدل حصتين في الأسبوع للتدبير المنزلي والتربية الفنية، ولذا يقترح بعض المربين توسيع هذه المادة مقابل تقليص بعض المواد التي لا تحتاجها المرأة[1]، وإضافة مناهج تعلم الفتاة حقوق الزوج وآداب التعامل وأساليب التجمل، وطرق تأثيث المنزل وغيرها مما تحتاجه المرأة.

ولكي تقوم المدرسة بدورها يجب على المربي أن يعود أبناءه احترام المدرسة والمعلم وتوقيره إلا أن يكون كافراً أو مبتدعاً أو فاسقاً[2].

قدسية الحياة الإنسانية في الإسلام

يجب أن نعلم أنه من حسن القول أن نكرر أن الإسلام قد حرص على حياة الناس وسلامة أجسادهم وأنه حرم الاعتداء على حياة الإنسان أو على سلامة أعضائه

---

(١) انظر: تربية البنات، خالد الشنتوت: ص٥٤، وكيف نربي أطفالنا: محمود الإستانبولي: ص١٣٥-١٣٨.

(٢) انظر: دور البيت في تربية الطفل المسلم، خالد الشنتوت: ص١٠٢-١٠٣.

عمداً أو خطأ وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ﴾[1].

هذا وقد ذهب بعض الكتاب إلى تفسير الحياة أو النفس الإنسانية بمعنى أو بميزان واحد، فالنفس لها اسمان مترادفان أي بمعنىواحد، فسميت الروح؛ لأن بها حياة الإنسان كما تطلق كلمة النفس على الروح وحدها، كقوله تعالى: ﴿ ۞ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا ﴾[2].

كما تطلق النفس على الروح وحدها، كقوله جل علاه: ﴿ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ ﴾[3]. وكقوله تعالى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ ﴾[4]. ثم قال تعالى: ﴿ تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ﴾[5].

وقوله تعالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا ﴾[6]. فكل ما يصدر عن النفس الإنسانية تكون مسؤولة عنه[7]. والحق أن حقوق الأفراد في النظام الإسلامي ليست

---

(١) سورة المائدة الآية ٣٢.

(٢) سورة النحل الآية١١١.

(٣) سورة الفجر الآية ٢٧، ٢٨.

(٤) سورة المدثر الآية ٣٨.

(٥) سورة البقرة الآية ٢٣٣.

(٦) سورة الطلاق الآية ٧.

(٧) يقول أبو على الخازن المعروف بابن مسكويه: "فإذن النفس ليست جسماً ولا جزءًا من جسم ولا عرضاً"، ثم يقول: ".. فأما هذا المعنى الآخر الذي أسميناه نفساً فإنه كلما تباعد من هذه المعاني البدنية التي أحصيناها وتداخل إلى ذاته وتحلي من الحواس بأكثر مما يمكن ازداد قوة وتماماً. كما لا تظهر له الآراء الصحيحة والمقولات البسيطة، وهذا إذن أدل دليل على أن طباعه وجوهره من غير طباع الجسم والبدن وأنه أكرم جوهراً وأفضل طباعاً من كل ما في هذا العالم من الأمور الجسمانية وأيضاً فإن تشوقها إلى ما ليس من طباع البدن وحرصها على معرفة حقائق الأمور الإلهية وميلها إلى الأمور

حقوقاً طبيعية بل هي منح إلهية تستمد من الشريعة الإسلامية؛ فالله خلق الإنسان ومنحه حق الحياة وكرمه وفضله على جميع الكائنات الحية، وخلق فيه الإرادة وما يصدر عنها من تصرفات ويستشهدون بقوله تعالى:﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَـٰمًا فَهُمْ لَهَا مَـٰلِكُونَ ﴿٧١﴾ ﴾[1]. وأشار سبحانه وتعالى إلى (حق التكريم) باعتباره منحة إلهية فقال: ﴿ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَـٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ﴾[2]. يترتب على ذلك أن هذه الحقوق تتمتع بقدر كاف من الاحترام والقدسية التي تشكل ضمانه لعدم الاعتداء عليها من الحكام أو من الأفراد.

إضافة إلى ذلك، فإنها بهذا الوصف تكتسب صبغة دينية تجعل احترامها اختيارياً لا قسرياً، ومن جهة أخرى فإنها غير قابلة – بطبيعتها–للإلغاء والنسخ وخالية من الإفراط والتفريط. واستخلاف الإنسان في الأرض أكبر دليل على تكريم الإنسان بما وهبه الله من عقل وإرادة ونطق، وما سخر لقدراته من طاقات وما أنزل عليه من هداية رسله فجعل فيهم الأنبياء وأرسل فيهم الرسل وجعل منهم الصديقين والشهداء والصالحين والعباد والزهاد والعلماء الخاشعين والمحبين له والذين يتبعون رسله.

كما أن الله تعالى حين استخلف الإنسان في الأرض فإنه علاهم بطاقاته وقدراته العقلية والنفسية والعملية التي خلقها، قال تعالى:﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾[3].

التي هي أفضل من الأمور الجسمية بإيثارها وانصرافها عن الأمور والذات الجسمانية يدلنا دلالة واضحة أنها من جوهر أعلى وأكرم جداً من الأمور الجسمانية". انظر كتاب تهذيب الأخلاق– طبع مطبعة المعارف، بيروت ١٣٢٧هـ

(١) سورة يس الآية ٧١.

(٢) سورة الإسراء الآية ٧٠.

(٣) سورة البقرة الآية ٣٠.

وتأكيداً لتلك المنزلة الرفيعة التي أولاها الله الإنسان، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾[1].

لقد استخلف الله للإنسان في الأرض، ليكون مسؤولاً فيها وليكون من عباد الرحمن الذين وصفهم الله تعالى بقوله: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمًا ﴾[2]. وهي بذلك خلافة عامة لكل إنسان قائمة على أساس المساواة فيها دون وساطة بين الله والإنسان وبالتإلى فهي مقيدة بقواعد الشريعة الإسلامية العامة وأحكامها التفصيلية وحق الإنسان في الحياة في الشريعة الإسلامية حق لكل الناس وعدم التمييز بين إنسان وآخر في الكرامة الإنسانية إلا بالتقوى. قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ﴾[3].

وبهذا يشير النبي صلى الله عليه وسلم إلى ذلك في خطبته في حجة الوداع حيث قال: "يا أيها الناس إن ربكم واحد وإن أباكم واحد، كلكم لآدم وآدم من تراب، أكرمكم عند الله اتقاكم وليس لعربي على عجمى، ولا لعجمى على عربى، و لا لأحمر على أبيض، ولا لأبيض على أحمر فضل إلا بالتقوى ألا هل بلغت؟ اللهم فاشهد، ألا فليبلغ الشاهد منكم الغائب"[4].

هذا ومما يجدر ذكره أنه من أجل كرامة الإنسان وحقه فى حفظ ذاته عما يصيبها من أذى قررت الشريعة الإسلامية حرمة حياة الإنسان وحفظ هذه الحرمة وعدم الاعتداء عليها بالقتل، فحرم الإسلام قتل الإنسان واعتبره جريمة موجهة للإنسانية

---

(١) سورة البقرة الآية ٣٤.

(٢) سورة الفرقان الآية ٦٣.

(٣) سورة الحجرات الآية ١٣.

(٤) انظرالدكتور على عبد الواحد وافي: حقوق الإنسان في الإسلام (دراسات إسلامية٢) مكتبة النهضة، القاهرة، بدون تاريخ، ص٤.

كلها، بل جعل حفظها نعمة للإنسانية، قال تعالى فى تأكيد ذلك: ﴿مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾[1].

فما أعظم هذه الأحكام وما أبلغها فى حماية النفس الإنسانية التى قررتها الشريعة الإسلامية قبل ما يزيد على ألف وأربعمائة عام فى الوقت الذى لم يستطع المجتمع الدولى المعاصر أن يعتبر قتل المئات بل الآلاف من البشر جريمة.

وقد أوجبت الشريعة الإسلامية فى القتل العمد، القصاص من القاتل ولكن ليس لهم أن يقتلوا سوى القاتل بخلاف ما كان يجرى قبل الإسلام على أساس مبدأ الثأر[2] وفى تأكيد ذلك قال تعالى: قَالَ تَعَالَىٰ: أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾[3]. ومعنى ذلك أنه لا ينبغي قتل سوى القاتل. يقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى﴾[4]. ورسم القرآن الكريم صورة واضحة لأعمال الإنسان الذي يتعدى على أخيه الإنسان بالقتل وأن ينال من أحد أعضائه قال تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾[5]. فمن قتل إنساناً يقتل ومن فقأ عيناً فقئت عينه ومن جدع أنفاً جدع أنفه ومن كسر سناً لآخر كسرت سنه. وهناك تطبيقات كثيرة حصلت في عهد الرسول والخلفاء الراشدين.

وعن سمرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من قتل عبده قتلناه ومن جدع عبده جدعناه" (رواه أحمد والأربعة وحسنه الترمذي) وهو من رواية النسائي بزيادة "من خصي عبده خصيناه" وصحح الحاكم هذه الزيادة. وعن

---

(١) سورة المائدة الآية ٣٢.

(٢) انظر د. محمد الغزوي: جريمة إبادة الجنس البشري- الطبعة الثانية، الإسكندرية ٨٢.

(٣) سورة الأنعام الآية ١٥١.

(٤) سورة البقرة الآية ١٧٨.

(٥) سورة المائدة الآية ٤٥.

أنس بن مالك رضي الله عنه أن جارية وجد رأسها قد رض بين حجرين فسألوها: من صنع بك هذا؟ فلان حتى ذكروا يهودياً فأومأت برأسها فأخذ اليهودي فأقر، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يرض رأسه بين حجرين [1]. (متفق عليه وعن لفظه) وعن أنس رضي الله عنه: أن الربيع بنت النضر: عمته كسرت ثنية جارية، فطلبوا إليها العفو فأبوا، فعرضوا الإرث فأبوا فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأبوا إلا القصاص فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقصاص، فقال أنس بن النضر يا رسول الله أتكسر ثنية الربيع؟ لا والذي بعثك بالحق لا تكسر ثنيتها. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أنس كتب الله القصاص، فرضي القوم فعفوا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن من عباد الله من لو أقسم على الله الأبره" متفق عليه واللفظ للبخاري [2] ولم يقتصر هذا الحال على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم بل ساد عهد الخلفاء الراشدين أيضاً. فأثناء ولاية عمرو بن العاص لمصر نازع ابن عمرو بن العاص شاباً من دهماء المصريين في ميدان سباق فضرب المصري بالسوط فأقسم المجني عليه ليشكونه إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب – رضي الله عنه –فقال له: اذهب فلن ينالني ضرر من شكواك فأنا ابن الأكرمين، فرحل الشاب من مصر إلى الحجاز ورفع شكواه إلى الخليفة، فأرسل الخليفة إلى مصر يستدعي الوإلى وابنه وجلس للمظالم علانية فقال مخاطباً الخليفة: يا أمير المؤمنين، إن هذا (وأشار إلى ابن عمرو) ضربني ظلماً، ولما توعدته بأن أشكوه إليك قال اذهب فأنا ابن الأكرمين، فنظر عمر إلى عمرو، وقال قولته المشهورة: متي استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً؟ ثم توجه إلى الشاكي، وناوله درته وقال له: اضرب بها ابن الأكرمين كما ضربك. وبعد أن اقتص لنفسه من الجاني، طلب إلىه أمير المؤمنين أن يضرب عمرو بن العاص نفسه الذي اعتز ابنه بجاهه فارتبك ولكن الشاب صفح عن عمرو بن

(١) نفس المرجع السابق، ص١٤٧– ١٤٩.

(٢) نفس المرجع السابق، ص١٤٧– ١٤٨.

العاص وقال مكتفياً: لقد ضربت من ضربني يا أمير المؤمنين[1].

وقد أقر الإسلام مبدأ المساواة في تقرير حرمة الدم واستحقاق الحياة للمسلم وغير المسلم والرجل والمرأة، فالذمي له حق في بلاد المسلمين والمساواة في المعاملة والعدل والقضاء وعصمة دمه ودينه وماله وعرضه. وقد جاء في كتاب الله ما يحدد موقف المسلمين من معاملته. قال تعالى: "﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾[2]. وقوله تعالى: ﴿ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٤﴾ ﴾[3]... وقال: ﴿ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً ۚ وَٱللَّهُ قَدِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ ﴾[4]، ثم قال تعالى: ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩﴾ ﴾[5] وفيما رواه عمرو بن العاص رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: "من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة ومن قتل قتيلاً من أهل الذمة حرم الله عليه الجنة" رواه النسائي في سننه[6]. أما بشأن احترام حق المرأة في الحياة ومساواتها بالرجل قال تعالى: ﴿ مِثْلُ ٱلَّذِي عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ﴾[7]. فهي مساوية للرجل إلا في أمر نص عليه وهو (وللرجال عليهن درجة) وهذه الدرجة

---

(١) انظر الدكتور على عبدالواحد وافي، المرجع السابق، ص٣٧٣.

(٢) سورة الأحزاب الآية ٢١.

(٣) سورة الحديد الآية ٢٤ وكذلك وردت في سورة الممتحنة، الآية ٦.

(٤) سورة الممتحنة الآية ٧.

(٥) سورة الممتحنة الآيتان ٨، ٩.

(٦) انظر د. عبدالوهاب الشيشاني: المرجع السابق ص٣٧٣ (وأهل الذمة هم المعاهدون من النصارى وإلىهود وغيرهم ممن يقيم في دار الإسلام).

(٧) سورة البقرة الآية ٢٢٨

فسرها بقوله تعالى: ﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ ﴾[1] ثم قال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ﴾[2] وقول النبي صلى الله عليه وسلم: "إنما النساء شقائق الرجال". ومن صور حماية حق الإنسان في الحياة واهتمام الإسلام بالمحافظة على النفس الإنسانية الاهتمام بالمحافظة على الطفل واللقيط وإليتيم؛ فبا لناسبة للطفل الاهتمام به يمر من خلال أهمية المحافظة على النسل؛ لذلك أكدت الشريعة الإسلامية على تأكيد حقوق الطفل وحمايتها ومن أهمها حق الحياة، وتأكيداً لهذا الحق اهتم الإسلام بحقه في الرضاعة والإنفاق عليه. قال تعالى: ﴿ ۞ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ ﴾[3]. فالرضاعة من حقوق الطفل وليس للأم أن تمتنع عن إرضاعه إضراراً بأبيه مثلاً؛ لأن ذلك يصيب الطفل مباشرة.

ورعاية الشريعة الإسلامية للطفل لم يحصرها الشرع في إطار الطفولة الوليدة فحسب بل أيضاً اهتمت بالجنين في بطن أمه وقبل ولادته كإنسان في حالة تعرض أمه لأذى أو للضرب المفضي إلى موت الجنين في بطنها احتراماً لآدميته.

وفي تأكيد ذلك عن أبي هريرة –رضي الله عنه –قال: (اقتتلت امرأتان من هذيل فرمت إحداهما الأخرى بحجر فقتلتها وما في بطنها، فاختصموا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن دية جنينها غرة[4] وفي حديث رسول الله (في هذا الشأن مسائل منها ما فيه دليل على أن الجنين إذا مات

---

(١) سورة النساء الآية ٣٤.

(٢) سورة النساء الآية ١.

(٣) سورة البقرة الآية ٢٣٣.

(٤) الغرة: عند أبي داود والنسائي من حديث بريدة مائة شاة، وقيل خمس من الإبل إذ هي الأصل في الديات.

بسبب الجناية وجبت فيه (الغرة) مطلقاً سواء انفصل عن أمه وخرج ميتاً أو مات في بطنها. فأما إذا خرج حياً ثم مات ففيه الدية كاملة ولكنه لابد أن يعلم أنه جنين كأن تخرج منه يد أو رجل، وإلا فالأصل براءة الذمة وعدم وجوب الغرة.. إلخ).

كما حرص الإسلام على الاهتمام باللقيط [1]، وحقه في الحياة وهو الذي لا يعترف بنسبه أحد، فقد أوجب الشرع الإسلامي على المسلمين عدم تركه في مكانه بل أوجب التقاطه والعناية به، وجعله فرض كفاية على المسلمين إذا قام بهذا الغرض بعضهم سقط الإثم عن البعض الآخر وإن لم يقم به أحد فالإثم على الجميع [2] ويقول الماوردي: ومن أخذ لقيطاً وقصر في كفالته أمر أن يقوم بحقوق التقاطه من التزام كفالته أو تسليمه إلى من يلتزمها ويقوم بها [3].

وقد أولت الشريعة الإسلامية إلىتيم اهتماماً خاصاً وكفالة حقوقه واحترام آدميته وحقه في الحياة وعدم الإضرار به وذلك في العديد من الآيات البينات في القرآن الكريم. قال تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ ﴾[4]. ثم قال: ﴿ وَٱبْتَلُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُوا۟ ٱلنِّكَاحَ ﴾[5]. وقال: ﴿ ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾ ﴾[6] وقال أيضاً: ﴿ كَلَّا ۖ لَا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿١٨﴾ ﴾[7]. وفي الحفاظ على أموالهم ورعايتها قال

---

(١) اللقيط: هو الصغير غير المميز ومن لا أب ولا أم له يوجد على قارعة الطريق أو في مكان معزول. أي ما يلقط ويؤخذ مما طرح على الأرض من صغار بني آدم. عبدالقادر عوده: التشريع الجنائي الإسلامي، ص٣٨٥.

(٢) انظر: د. عبدالوهاب الشيشاني، المرجع السابق، ص٣٤٧.

(٣) انظر: الماوردي، ص٢٤٧.

(٤) سورة البقرة الآية ٢٢٠.

(٥) سورة النساء الآية ٦.

(٦) سورة الضحي الآيتان ٩،١٠.

(٧) سورة الفجر الآيتان ١٧، ١٨.

تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ﴾[1].

وقد أوصى الرسول محمد صلى الله عليه وسلم بإلىتيم خيراً عن طريق رعايته وحمايته والعطف عليه احتراماً لآدميته في الحياة وحقه في الحياة الكريمة. قال صلى الله عليه وسلم: "خير بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يحسن إلىه، وشر بيت للمسلمين بيت فيه يتيم يساء إليه".

ولما كان الإسلام يقوم على احترام النفس الإنسانية وتكريمها فإن الشريعة الإسلامية أكدت على كرامة الإنسان؛ فإن للشيوخ الطاعنين في السن والعجز حقوقاً يتعين احترامها وتكريمها وقضاء حاجاتهم، فلهم حقوق متساوية ومماثلة لحقوق الآخرين في الحياة والعيش الكريم، وفرض الإسلام على القادرين رعايتهم وتقديم العون لهم.

هذا وقد أكد فقهاء الشريعة الإسلامية أن رعاية الشيوخ والعجزة والعناية بهم حق على أقاربهم؛ فحين لا يوجد لهم أقارب فيقع عند ذلك الواجب على الدولة؛ تنفق عليهم من بيت المال، فتسعى بذلك إلى تحقيق التكافل الاجتماعي في المجتمع الإسلامي. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "النبى أولي بالمؤمنين من أنفسهم" ويقول الفقهاء المسلمون إن السلطان هو المسؤول عن فرض ما يقوم بالفقراء على الأغنياء؛ ففي عهد خالد بن الوليد إلى أهل الحيرة ما يمثل معنى ذلك النظام الإسلامي: (.. فإن فتح الله علينا فهم على ذمتهم، لهم بذلك عهد الله وميثاقه.. وجعلت لهم أيما شيخ ضعف عن العمل أو أصابته آفة من الآفات أو كان غنياً فافتقر وصار أهله يتصدقون عليه طرحت جزيته وعيل من بيت مال المسلمين وعياله ما أقام بدار الهجرة ودار الإسلام فإن خرجوا إلى غير دار الهجرة ودار الإسلام فليس على المسلمين النفقة على عيالهم).

وحق التكريم الشخصي للإنسان في حياته حق تترتب عنه التزامات إيجابية

---

(١) سورة النساء الآية ١٠.

مظهرها القيام ببعض الأفعال التي تظهر اعتزاز الإنسان واحترامه ومنع كل ما من شأنه إذلاله وإهانته. والشريعة الإسلامية أعطت لهذه المسألة ما تستحقه من اهتمام وتكريم. فما دام الإنسان يحرص أشد الحرص على احترام الآخرين وإعزازهم فلابد أن تكون حقوقاً متقابلة، ومما يتصل بحق الإنسان في الحياة في الشريعة الإسلامية ما يكفل عدم الاعتداء فحرمت قتل الإنسان ووضع له القصاص في حالة القتل، ونحت الشريعة الإسلامية منحى متميزاً عن الشرائع الأخرى فسوت قيمة الإنسان الفرد الواحد بقيمة البشرية كلها قال تعالى: ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ﴾[1]، ولحماية أمن الإنسان في حياته قال تعالى: ﴿ وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٧٩﴾ ﴾[2]، وهذا القصاص عام بدون استثناء يطبق على الجميع بدون استثناء.

وإذا كان الله تعالى حرم الاعتداء بقتل الغير فقد حرم قتل الإنسان لنفسه (وهو مايسمى بلغة القانون الانتحار) قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ ﴾[3] وإن قتل الإنسان لنفسه كقتل الغير يعتبر إثماً في الشريعة الإسلامية قال تعالى: ﴿ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ﴾[4] والله سبحانه وتعالى كما حرم القتل فإنه حرم الاعتداء على جسد الإنسان بالضرب أو بالجرح – قال تعالى: ﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ ﴾[5]

---

(١) سورة المائدة الآية ٣٢.

(٢) سورة البقرة الآية ١٧٩.

(٣) سورة النساء الآية ٢٩.

(٤) سورة البقرة الآية ١٩٥.

(٥) سورة المائدة الآية ٤٥.

وقد توسعت الشريعة الإسلامية في هذا الباب فشرعت حق الإنسان في التنقل ويعني هذا الحق حرية الإنسان في الانتقال من مكان إلى آخر بما تقتضيه ظروف الحياة الإنسانية والعمل والكسب الذي لا غني عنه فهو لازم للحياة الإنسانية في مفهوم الشريعة الإسلامية. قال تعالى: ﴿ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ﴾[2]. ثم قال: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾ ﴾[3]. وقد قررت الشريعة الإسلامية حرمتها فلا يجوز لأحد أن يدخلها إلا بإذن صاحبها ولا يجوز الاعتداء على حرمة المسكن؛ لأنه اعتداء على حق الإنسان في حياته، ولضمان هذا الحق وضع الشرع الإسلامي مجموعة من الأحكام ينبغي على المسلمين مراعاتها عند دخول المساكن حفظاً لحقوق ساكنيها. قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا۟ وَتُسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا۟ فِيهَآ أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ ۖ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرْجِعُوا۟ فَٱرْجِعُوا۟ ۖ هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨﴾ ﴾[4].

ومن الأحكام التي قررتها الشريعة الإسلامية لضمان حرمة المساكن تحريم التجسس والتلصص على مساكن الآخرين وحفظ حرمتها قال تعالى: ﴿ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ﴾[5].

---

(١) سورة يوسف الآية ١٠٩.

(٢) سورة الجمعة الآية ١٠.

(٣) سورة الملك الآية ١٥.

(٤) سورة النور الآيتان ٢٧- ٢٨.

(٥) سورة الحجرات الآية ١٢.

هذه هي بعض أهم أحكام الشريعة الإسلامية الغراء في حماية حق الحياة للإنسان ووضع الضمانات الكفيلة لتلك الحماية التي لم تبلغها شريعة من الشرائع و لم يقترب من نقائها وشموليتها قانون من القوانين.

للطفل حقه في الحياة، ولذا كانت أول حقوقه الترغيب في كثرة الولد والوعد بمباهاة النبي صلى الله عليه وسلم بأمته الأمم يوم القيامة، ودعوته إلى الزواج بالولود، وأما تحديد النسل فدعوة تنصيرية تسعى إلى إضعاف المسلمين وقد أباح العلماء استخدام مانع الحمل إذا كان القصد إعطاء الطفل حقه في الرضاعة والرعاية[1]، أو كان الحمل يعرض حياة المرأة للهلاك بشهادة طبيب مسلم عدل[2].

ولرعاية الطفل والمحافظة على حياته شرعت عدة أحكام هي:

(١) إباحة الفطر للحامل والمرضع إذا خافتا على أنفسهما أو ولديهما[3].

(٢) تأجيل إقامة الحدود والعقوبات على المرأة الحامل حتى تضع وترضع وتفطم[4].

(٣) حماية الجنين ما دام حملاً في بطن أمه، فإن كان في الأشهر الأولى-أي قبل نفخ الروح-فللعلماء أقوال تدور بين التحريم والكراهة، والمبيحون للإجهاض مع الكراهة تركوا ذلك لتقوى الأم وروعها "ومقتضى الورع أن يتجنب الإنسان هذه الشبهات خوفاً من التورط في الحرام"[5].

وأما الإجهاض بعد نفخ الروح فحرام بالإجماع، وإن أسقطته أمه أو غيرها بفعل

---

(١) انظر: مجموعة الفتاوى، شيخ الإسلام ابن تيمية، ٣٢/٢٧١- ٢٧٢.

(٢) انظر: فتاوى الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين، ٢/٨٣٧.

(٣) انظر: المغني، ابن قدامة، ٣/١٣٩، والعدة: بهاء الدين المقدسي، ص١٤٧.

(٤) انظر: المرجع السابق، ٩/٤٥٠.

(٥) انظر: الإجهاض بين الفقه والطب والقانون، محمد سيف الدين السباعي، ص٥٤- ٥٥.

معتمد فله حالتان:

*أن يقع حياً ثم يموت بسبب ذلك الفعل، ففى هذه الحال يجب على من تسبب في قتله الدية كاملة، وكفارة قتل النفس المؤمنة وهي عتق رقبة فإن لم تجد فصيام شهرين متتابعين وعليه إجماع أهل العلم.

* أن يقع ميتاً بسبب ذلك الفعل، فيجب على الفاعل غرة عبد أو أمة والكفارة كما سبق.

ولا يحل للفاعل أن يرث شيئاً من ميراثه[١].

(٤) وجوب إخراج الجنين الحي إذا ماتت الأم ولو بعملية[٢].

(٥) وجوب دفنه فإن كان لأقل من أربعة أشهر لف في خرقة ودفن، وأما إن كان لأكثر غسل وكفن وصلى عليه وسمي ودفن، وإن ولد حياً ثم مات في حينه أو بعدها بقليل فيسن أن يعق عنه [٣].

(٦) وجوب التقاط الطفل المنبوذ أو المتروك، وضمان حريته، ونفقته على بيت المال[٤]، وكذلك وجوب كفالة إليتيم.

فوائد الرضاعة الطبيعية:

إن حليب الأم أنسب حليب للطفل ويتناسب مع حاجاته إلىومية، إضافة إلى نظافته وانضباط درجة حرارته، كما أنه مفيد للأم نفسها[٥].

وله فوائده النفسية إذ يشبع عاطفة الأمومة ويبعث في الطفل الأمان والاستقرار،

---

(١) انظر: المرجع السابق ٩/٥٥٧- ٥٥٨، والعدة شرح العمدة، بهاء الدين المقدسي، ص٥٠٦- ٥٠٧.

(٢) انظر: المغني، ابن قدامة، ٢/٥٥١.

(٣) انظر: الممتع، الشيخ ابن عثيمين، ٧/٥٣٩- ٥٤٠.

(٤) انظر: المغني، ابن قدامة، ١١/١٢٥.

(٥) انظر: كيف نربي أولادنا إسلامياً، محيي الدين عبدالحميد، ص٦٦-٧٩.

وهو علاج الفزع[1]، ويجعل الطفل في المستقبل معطاءًا ذا ألفة ومودة، ولذا تنصح الأم التي ترضع الرضاعة الصناعية باتباع القواعد وحمل الطفل إلى صدرها وضمه بحنان[2].

وللرضاعة فوائدها التربوية إذ تعود على الصبر لأن الرضاعة تتطلب جهداً يبذله الطفل وبعدها يدر الحليب قليلاً ثم يتدفق.

وما أجمل كلمة عمرو بن عبدالله –رضي الله عنه –لامرأته: "لا يكونن رضاعك لولدك كرضاع البهيمة ولدها، قد عطفت عليه من الرحمة بالرحم، ولكن أرضعيه تتوخين ابتغاء ثواب الله، وأن يحيي برضاعك خَلْقٌ عسى أن يوحد الله ويعبده"[3].

بعد ولادة الطفل يستحب أن يؤذن في أذنه إلىمني، اقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم حين أذَّن في أذن الحسن – رضي الله عنه[4] –، فيكون التوحيد أول شيء يقرع سمعه فيهرب الشيطان عنه منذ صغره، ويسن التهنئة فيقال: بورك في الموهوب وشكرت الواهب، وبلغ أشده ورزقت بره[5].

ويسن أن يذبح عنه عقيقة يوم سابعه تفاؤلاً ببقائه وطول عمره، وهي مثل الأضحية في صفاتها إلا أنه لا يكسر عظمها، وطبخها أفضل من توزيعها وهي نيئة، ولا يشترك فيها اثنان لعدم ورود ذلك[6].

وهذه العقيقة عن الغلام شاتان متقاربتان وعن الجارية واحدة[7]، ويجوز تأخيرها

---

(١) انظر: تحفة المودود، ابن القيم، ص١٦٤-١٦٥.

(٢) انظر: كيف نربي أولادنا إسلامياً، محيي الدين عبدالحميد، ص٦٦-٧٩.

(٣) انظر: نصيحة الملوك، الماوردي، ص١٦٦، نقلاً عن منهج التربية النبوية: محمد نور سويد ص٧٢.

(٤) انظر: تحفة المودود، ابن القيم، ص٢١-٢٢.

(٥) انظر: المغني، ابن قدامة، ١٢٥/١١.

(٦) انظر: الشرح الممتع، محمد بن صالح بن عثيمين، ٥٣٩/٧.

(٧) انظر: العدة شرح العمدة، بهاء الدين المقدسي، ص٢١٠-٢١١.

عن وقتها إذا لم يجد[1]، فتكون في الرابع عشر أو الحادي والعشرين أو بعدها؛ ولهذه السنة فوائد منها: أن الشيطان يتعلق بالطفل من لحظة خروجه إلى الدنيا ليبعده عن الفطرة فتكون العقيقة سبباً لفك رهانه من الشيطان، وفداء له من حبسه[2]، لقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "كل غلام رهينة بعقيقة تذبح عنه يوم سابعه"[3].

ويجب على المربي تسمية الطفل بالاسم المشروع، وتكون التسمية بعد الولادة مباشرة أو يوم سابعه[4]، ويجب أن يختار من الأسماء أحسنها لأن الطفل إذا وعى وكان اسمه حسناً أحب أن يتوافق عمله وخلقه مع اسمه الحسن وكره أن يكون خلاف ذلك[5]، والتسمية حق الأب ولكن استشارة أمه وإخوانه تحقق الألفة[6].

وأحب الأسماء إلى الله عبدالله وعبدالرحمن ثم كل اسم عُبِّدَ الله، ثم التسمي بأسماء الأنبياء والرسل، ثم بأسماء الصالحين، ثم بكل اسم مباح لم يحرمه الشارع، ويحرم كل اسم معبد لغير الله: كعبد النبي وعبدالكعبة وغيرهما، والتسمي بأسماء الكفار ورؤوسهم: كالفراعنة والجبابرة، وبما نُهي عنه كالتسمي: بملك الأملاك وقاضي القضاة وحاكم الحكام، والتسمي بأسماء الشياطين كخنزب والولهان والأعور والأجدع والحباب، والأسماء المشتملة على تزكية: كبرة وأفلح ويسار ونجيح وبركة ويعلى، ويلحق بها: إيمان وهدي وملاك وغيرها، ومما نهي عنه الأسماء المشتملة على معنى مكروه: كحرب وحية ومرة وحزن وعاصية وغيرها، ويكره التسمي بأسماء الملائكة[7].

---

(١) انظر:الشرح الممتع، محمد بن صالح بن عثيمين، ٥٣٦/٧- ٥٣٧.

(٢) انظر: تحفة المودود، ابن القيم، ص٥٠.

(٣) انظر: أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الأضاحي، باب في العقيقة: ٥٢٩/٣، رقم الحديث ٢٨٣٧.

(٤) انظر: الشرح الممتع، محمد بن صالح بن عثيمين، ٥٤٠/٧.

(٥) انظر: زاد المعاد، ابن القيم، ١٧/٣.

(٦) انظر: الشرح الممتع، محمد بن صالح بن عثيمين، ٥٤٥/٧.

(٧) انظر: تحفة المودود، ابن القيم، ص٩٣-٩٩، والشرح الممتع: ابن عثيمين، ٥٤٣/٧-٥٤٥.

ويحرم اسم: سيد ولد آدم أو سيد البشر لأن هذا للرسول صلى الله عليه وسلم. وأما النهي عن الجمع بين كنيته واسمه فقد كان في حياته، إذ بعد موته سمي أربعة من أبناء الصحابة بمحمد وكنوا بأبي القاسم[1].

ويمكن القياس على ذلك في تسمية البنات فتسمى بأسماء الصالحات من الأمم السابقة أو من الصحابيات والصالحات بعدهن: كآسية وهاجر وسارة ومريم وزوجات الرسول صلى الله عليه وسلم وبناته.

ويثبت للطفل نسبه بولادته، لأنه يترتب على ذلك حقوق شرعية أخرى كالولاية والحضانة والرضاعة والإرث والوصية والوقف والهبة والنفقة وغيرها مما يعد حقاً للطفل وحقاً للأبوين والإخوة والأقارب[2].

ويثبت النسب بولادة الطفل من أمه المتزوجة أو المعتدة بعد دخول الزوج بستة أشهر على الأقل، وإذا كان الولد مجهول النسب وادعاه رجل فيثبت له النسب بشرط أن يكون من الممكن أن يولد له ولد، وألا ينازعه في رجل آخر، وهذه الأحكام مبسوطة فيه كتب الفقه[3].

حق الحضانة في المنهج الإسلامي

مفهوم الحضانة:

الحضانة مشتقة لفظاً من مدلول الحضن والضم، والملازمة بالحنو والرعاية، وهي عند الفقهاء عبارة عن القيام برعاية الصغيرة أو الصغير، أو المعتوه الذي لا يميز، ولا حضانة على البالغ الرشيد.

والحضانة حق للطفل وإلىافع حتى يبلغ، لحاجته لمن يقوم برعايته وتربيته، وللأم

---

(١) انظر: المرجع السابق.

(٢) انظر: الطفل في الشريعة الإسلامية، محمد الصالح، ص٧٦.

(٣) انظر: العدة شرح العمدة، بهاء الدين المقدسي، ص٤٣٢-٤٣٤.

الأولوية الأولى في القيام بواجب الرعاية، فلا يجوز لها أن تتشاغل عنه لكسب أو غيره، وتبرز أهمية الحضانة باعتبارها المهمة التي تتم أثناءها بلورة الملامح الأولى لشخصية الطفل، وتتيح له النمو الطبيعي المطلوب جسمانياً، وعقلياً، ونفسياً، وخلقياً، وروحياً، واجتماعياً.

مدة الحضانة:

ومدة الحضانة للولد حتى يبلغ، ويستقل بشأن نفسه، وهي بالنسبة للفتاة حتى تبلغ كذلك سن الرشد وتتزوج، أما قبل ذلك فالأم أولى بها ما دامت بكراً وخيف عليها حتى تتوافر لها الحضانة والحرز والاطمئنان على عدم تركها[1] وحيدة.

فإذا بلغ الصبي خُيِّر –والحال أن والدته منفصلة عن أبيه –بين أن يبقى مع أمه،أو يذهب مع أبيه، والمرأة في كل ذلك أحق بالحضانة عند التنازع بين الأبوين بشأنها، لقوله صلى الله عليه وسلم: "أنت أحق به ما لم تنكحي"[2].

ويرى بعض العلماء أن الطفل إذا بلغ مرحلة الاستقلال عن رعاية أمه فإنه يجب أن ينظر في الأمر، ويلاحظ فيه مصلحة الصبي، فإذا كان أحد الأبوين أصلح، قدم عليه من غير قرعة ولا تخيير، وإلا فالأصل أن الصبي يخير بين أبويه بعد سن الاستقلال من حاجته لرعاية النساء[3].

شروط الحضانة:

يشترط في الحاضنة التي تتولى تربية الصغير عند فقد الأم ما يلي:

–البلوغ والعقل والقدرة على التربية والقيام على أمر الوليد بما يصلحه في شؤونه

---

(١) مدونة الإمام مالك، باب الحضانة، الجزء الخامس ص٣٨.

(٢) سبل الإسلام ج ٣ ص ٢٢٧.

(٣) فيما نقله الشوكاني عن العلامة ابن القيم، نفس المرجع السابق والصفحة. راجع للاستزادة: المسئولية المدنية للأبوين عن أبنائها القاصرين، د. أحمد=

= الخمليش مكتبة المعارف – الرباط ص١٤ وما بعدها، أصول بعض التشريعات العربية في الموضوع.

كافة.

-الإسلام، فلا تصح حضانة غير المسلمة، وذلك واضح من حيث الحاجة إلى زرع المفاهيم الإسلامية في نفسية الطفل (عقيدة، وخلقاً، وسلوكاً). ولا يأتي ذلك من غير المسلمة على أسس سليمة، كما يشترط الأمانة والاستقامة والخلق والالتزام كذلك لابد من التفرغ التام للقيام بهذه المهمة، فإذا شغلت بغيره، أو تزوجت زالت أهليتها للقيام بهذه المهمة، هذا ومن نافلة القول أن نشير إلى أن الحضانة واجب في عنق الأم ما لم تتزوج، فإذا ماتت أو تزوجت انتقلت أهلية وجوب الحضانة إلى من يلي حسب الترتيب الشرعي لذلك:

القريبات من الأصول والفروع، وذلك على الترتيب التإلى: أم الأم وأمها (وإن علت) ثم أم الأب، ثم الأخت لشقيقة، ثم الأخت لأم فالأخت لأب، ثم بنت الأخت لشقيقة، فبنت الأخت لأم، ثم الخالة لأم، فالخالة لأب، ثم بنت الأخت لأب، ثم بنت الأخ لشقيق، ثم بنت الأخ لأم، فبنت الأخ لأب، ثم العمة لشقيقة، فالعمة لأب، ثم خالة الأم فخالة الأب، ثم عمة الأم، فعمة الأب.

فإذا لم توجد قريبات من هؤلاء المحارم، أو وجدن ولكن سقط فيهن شرط من شروط كفاءة الحضانة انتقلت الحضانة إلى العصبات من المحارم الرجال حسب تربيتهم في الميراث (الأب، فالجد (وإن علا) ثم الأخ لشقيق، فالأخ لأب،ثم ابن الأخ لشقيق، فابن الأخ لأب، ثم العم لشقيق، فالعم لأب، ثم عم الأب لشقيق، فعم الأب لأب، وذلك ترتيبهم في الإرث. أما إذا لم يوجد أحد من هؤلاء انتقل حق الحضانة للطفل إلى المحارم من الرجال غير العصبة) وأولهم الجد لأم، ثم الأخ لأم، ثم العم لأم، فالخال لأم ثم الخال لشقيق، فالخال لأب ثم الخال لأم[1]. ثم ينتقل الأمر للقاضي فيعين له حاضنة مستوفية الشروط.

وهكذا نلاحظ مدى عناية الإسلام بشؤون الحضانة للصغير، باعتبارها ضرورة

(١) سيد سابق، (فقه السنة) جـ٢ ص ٢٩٠.

لازمة لحياة الطفل والحدث لإعدادهم لمواجهة الحياة إعداداً سليماً كريماً، وإلا فالبديل هو الضياع، فالجنوح، فالجريمة في الغالب.

حق الرعاية والإنفاق

ويشمل حق الرعاية القيام على الصغير بحاجته من الغذاء والكساء والمأوى والخدمات الطبية، ونفقات التعليم والترفيه، وتكاليف العناية الخاصة التي يستلزمها وضع الطفل أو الحدث المعاق جسدياً أو نفسياً أو عقلياً في ضوء ما تقتضيه حالته ووضعه.

كما يشمل حق الرعاية التوجيه والإرشاد، والحنو والعطف، والحب والتفهم لينشأ الطفل في جو نفسي متوازن، ويتمتع بنمو عقلي سليم.

والجو الطبيعي الذي يمكن أن يضمن أقصر درجة من الرعاية للصغير هو جو الأسرة، وتقع مسؤولية حق الرعاية على الوالدين في جانبها المعنوي والتربوي، أما في جانبها المادي فهي مسؤولية الأب في الإسلام، فإذا عجز الأب أو مات انتقلت مسؤولية الإنفاق إلى الأصول من الرجال حسب الترتيب السابق،ولا تكلف المرأة بالإنفاق أماً كانت أو قريبة (والاستثناء للضرورة) وقد شرع الإسلام عدداً من الأحكام لضمان انتظام الحياة الأسرية والاجتماعية في المجتمع الإسلامي تعين في جملتها على كفالة وضمان حق الرعاية للصغير ومن جملة تلك الأحكام:

١-كفالة اليتيم: فالصغير الذي فقد أبويه أو أحدهما (الأب على الخصوص) لا يجوز أن يضيع حقه في الرعاية، وكفالة اليتيم تشمل الرعاية المادية والمعنوية؛ فقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله: "أنا وكافل إليتيم في الجنة كهاتين" وجمع بين إصبعيه السبابة والوسطى[1].

وقال عليه الصلاو والسلام: "خير بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يحسن إليه وشر

(١) متفق عليه، مشكاة المصابيح، برقم ٤٩٥٢، واللفظ لمسلم، وللبخاري نحوه.

بيت فيه يتيم يساء إليه فيه"[1].

وإلى معني الرعاية المعنوية يشير كتاب الله الكريم في قوله:﴿ ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾ ﴾[2]. وقوله سبحانه:

﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ﴾[3]

ورعاية الأيتام قد أولاها الإسلام رعاية فائقة، لأنهم (يشكلون مصدراً كبيراً من مصادر الجنوح والتشرد والانحراف إذا تركوا دون رعاية، ودون تأديب أو تهذيب ودون تنظيم دقيق لحياتهما اليومية) كما يقول الأستاذ عز الدين الخطيب[4].

٢- وشرع الإسلام جملة من الأحكام التي لها علاقة مباشرة، وغير مباشرة بحق الطفل في ضمان أن تكون الرعاية له في إطارها الطبيعي (أي الوالدين) منها: النكاح الشرعي، وتحريم الزنا حتى يضمن حنو الأب على وليده، وحدبه عليه، ولا يتأتي ذلك من الأب في وضع لا يكون فيه متأكداً من أن من ولدته زوجته ليس ابناً له، وكيف سيكون نفسية الأب تجاه طفل يشك في أبوته له، وتلك لعمري مشكلة المجتمعات التي أباحت تشريعاتها الزنا، أو سكتت عن تجريمه بدعوي مقتضيات الحرية الشخصية.

٣-كما اشترط الإسلام (عدم زواج الأم، وتفرغ الحاضنة) كما أسلفنا عند تحديده لشروط الحضانة، ليكمل أقصي قدر من الرعاية والعناية بالطفل.

٤-ولم يكلف الإسلام المرأة بواجب الإنفاق ليفرغها لعبء الأمومة ورعاية الصغير، وقد بدأت المجتمعات التي شجعت النساء -بل أرغمتهن على العمل تشعر بفداحة الخسارة التي ترتبت على ذلك، إذ ليس أقلها النسب المرتفعة في جنوح

---

(١) نفس المرجع برقم ٤٩٧٣.

(٢) سورة الضحي الآية ٩.

(٣) سورة البقرة الآية ٣٢٠.

(٤) راجع الدفاع الاجتماعي في مرآة الإسلام ص ٦٢، ١٤٠٢هـ مطابع وزارة الأوقاف والشؤون والمقدسات الأردنية.

الأطفال الذين أفسدهم الإهمال، ولا جيوش المتعطلين عن العمل من الرجال.

٥-كما حرم الإسلام الخلوة بالأجنبية، والاختلاط، وأمر بغض البصر عن النظر إلى المحرمات من النساء، وغير المحارم من الرجال بالنسبة للمرأة، قال تعالى: ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ﴾[1]، وقال سبحانه: ﴿ وَقُل يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ ﴾[2] حفظاً من الزنا وآثاره.

كما يبغض الإسلام الطلاق، إلا في حالات تستوجبه لما ينشأ عنه من انفصال بين الزوجين يكون في الغالب على حساب حق الطفل في الرعاية، فقال عليه الصلاة والسلام: "إن أبغض الحلال إلى الله الطلاق".

وإن تأثير الرعاية في الصغير بالغة الخطورة إذا جاءت سلبية الأثر، أو عرض الطفل للإهمال في الرعاية، فالبيوت الآثمة والمحطمة، والتي فشل فيها الوالدان في تكوين التوازن الطبيعي بين الانطلاق والضبط، أو تلك التي خلت من الحب والحنان، أو لستت أفرادها بالموت أو الطلاق، أو بعثرها اختلاف الأزواج أو فشل أصحابها في إشباع حاجات الطفل النفسية، أو تشتت قوى البغي والاحتلال في تشتيتها، وتفريقها بالطرد والإبعاد، أو القتل والاعتقال، أو الإرهاب والتخويف، أو الملاحقة بالضرب والتعذيب وتحطيم الأيدي والأصابع و الأرجل كما فعلت وتفعل قوى إليهود الباغية في فلسطين ولبنان وغيرها، كل ذلك يستلزم في الحقيقة التأكيد القوى على حماية حقوق الأطفال في الرعاية والعناية وعدم الإهمال على كل صعيد وقبيل.

حق التربية والتثقيف والتعليم

باعتبار أن الأطفال هم (مجمع الغد تحت الإعداد) فقد أولاهم الإسلام بالغ الرعاية وعظيم الاهتمام، فاعتبر التربية –والتي يعبر عنها علماء الشريعة (أدب الطفل

---

(١) سورة النور الآية ٣٠.

(٢) سورة النور الآية ٣١.

وتأديب النشء ورياضة الصغار) والذي ينصب على الإعداد السلوكي للطفل ببنـــاء مفاهيمه القيمية على أسس وقواعد الآداب الإسلامية، وإعداده بـــالتعليم المطلـــوب لمواجهة الحياة –اعتبرها الإسلام فرائض واجبة لا يسع الوالدين أو المكلفين برعايـــة الصغار إهمالها أبداً.

يقول الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا ﴾ [1]. قال المفسرون في هذه الآية "علموهم وأدبوهم" [2] وقال عليه الصلاة والسلام: "مـــا نحل والده ولده أفضل من أدب حسن" [3]، وقال عليه السلام: "من كانت له ابنـــة فأدبها فأحسن تأديبها، وعلمها فأحسن تعليمها، وأوسع عليها من نعم الله التي أوسع عليه كانت له ستراً من النار"، رواه مسلم.

وأما التعليم للصغير فهو من الفرائض الواجبة على الوالـــدين في دور الحضـــانة والتأديب، وواجب على الأمة أن تهيئه لجميع الراغبين من المسلمين، يقـــول الحـــق سبحانه مرغباً في طلب العلم: ﴿ قُلۡ هَلۡ ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾[4]، ويقول جل ذكره: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖ ﴾[5] ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "طلب العلم فريضة على كل مسلم" [6]،ويستدل من ذلك على وجوب تأديب الطفل وتعليمه وتثقيفه، وقد عني علمـــاء المســـلمين قـــديماً[7] وحديثاً بهذا الجانب عناية بالغة، ونورد فيما يلي نموذجاً يوضح ذلك من كلام الفقيه

---

(١) سورة التحريم الآية ٦.

(٢) مختصر مناهج القاصدين لابن قدامة ص ١٠٩، دار الدعوة ١٣٩٨هـــ دمشق.

(٣) الفتح الكبير جـــ ٣ ص ١٢٦.

(٤) سورة الزمر الآية ٩.

(٥) سورة المجادلة الآية ١١.

(٦) رواه ابن ماجه في سننه برقم (٢٢٤).

(٧) مختصر منهاج القاصدين لابن قدامة، وإحياء علوم الدين للغزإلى، وأدب الدنيا والدين للماوردي.

(ابن قدامة المقدسي من كتابه: مختصر منهاج القاصدين) [1] وذلك كنموذج يوضح مدي العناية، إلى جانب أسلوب التناول الذي يوضح منهج التربية في البيئة الإسلامية.

يقول ابن قدامة:

"اعلم أن الصبي أمانة عند والديه، وقلبه جوهرة ساذجة، وهي قابلة لكل نقش، فإن عود الخير نشأ عليه، وشاركه أبواه ومؤدبه في ثوابه، وإن عود الشر نشأ عليه، وكان الوزر في عنق وليه، فينبغي أن يصونه ويؤدبه ويهذبه، ويعلمه محاسن الأخلاق، ويحفظه من قرناء السوء، ولا يعوده التنعم، ولا يحبب إليه أسباب الرفاهية فيضيع عمره في طلبها إذا كبر، بل ينبغي أن يراقبه من أول عمره، فلا يستعمل في رضاعه وحضانته إلا امرأة صالحة متدينة تأكل الحلال، فإن اللبن الحاصل من الحرام لا بركة فيه، فإذا بدت – في الولد – مخايل التمييز وأولها الحياء – وذلك علامة النجابة، وهي مبشرة بكمال العقل – فهذا يستعان على تأديبه بحيائه.

وأول ما يغلب (على الطفل) من الصفات شره الطعام، فينبغي أن يعلم آداب الأكل... ويقبح عنده كثرة الأكل، ويشغله في المكتب بتعلمه القرآن والحديث، وأحاديث الأخيار ليغرس في قلبه حب الصالحين، ولا يحفظ من الأشعار التي فيها ذكر العشق.

ومتي ظهر في الصبي خلق جميل وفعل محمود فينبغي أن يكرم عليه، ويجازى بما يفرح به، ويمدح بين أظهر الناس، فإن خالف ذلك في بعض الأحوال تغوفل عنه ولا يكاشفه، فإن عاد عوتب سراً وخوف من اطلاع الناس عليه، ولا يكثر عليه العتاب؛ لأن ذلك يهون عليه سماع الملامة، وليكن حافظاً هيبة الكلام معه.

وينبغي أن يمنع من النوم نهاراً؛ لأنه يورث الكسل... ويتعود الخشونة في المفرش والملبس والمطعم، ويعود المشي والحركة والرياضة لئلا يغلب عليه الكسل، ويمنع أن يفتخر على أقرانه بشيء مما يملكه أبواه، أو بمطعمه أو ملبسه، ويعود التواضع والإكرام

---

(١) ص ١٥٩ وما بعدها.

لمن يعاشره، ويمنع أن يأخذ شيئاً من صبي مثله، ويعلم أن الأخذ دناءة وأن الرفعة في الإعطاء.

ويقبح عنده حب (المال) الذهب والفضة، ولا يعوَّد أن يبصق في مجلسه، ولا يتمخط ولا يتثاءب بحضرة غيره، ولا يضع رجلاً على رجل، ويمنع من كثرة الكلام.

ويعود ألا يتكلم إلا جواباً، وأن يحسن الاستماع إذا تكلم غيره ممن هو أكبر منه، وأن يقوم لمن هو فوقه ويجلس بين يديه.

ويمنع من فحش الكلام ومن مخالطة من يفعل ذلك، فإن أصل حفظ الصبيان حفظهم من قرناء السوء.

ويحسن أن يفسح له بعد خروجه من المكتب في لعب جميل، ليستريح به من تعب التأديب كما قيل: (روح القلوب تعب الذكر)، وينبغي أن يعلم طاعة والديه ومعلميه وتعظيمهم.

وإن بلغ سبع سنين أمر بالصلاة، و لم يسامح في ترك الطهارة ليتعود، ويخوف من الكذب والخيانة، وإذا قارب البلوغ ألقيت إليه الأمور"[1].

وبعد... فهذا نموذج من النماذج الفذة التي جمعت بين مدلولات النصوص من الكتاب والسنة، ووقائع من التجارب حيث شكلت جملة من الأساليب والوسائل التربوية للآباء والأمهات والمربين، وهنا نموذج آخر من نماذج التربية الإسلامية التي حواها كتاب الله الكريم وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، من أساليب التربية التي استقصاها الشيخ محمد قطب[2] فبين أن الإسلام يربي إنسانه (بالقدوة الصالحة، ويربي بالموعظة الحسنة، ويربي بالعقوبة غير المبرحة، كما يربي بالقصة والعبرة، ويربي بالعادة والتعويد، ويربي بأسلوب تفريغ الطاقة، ويربي بالأحداث والوقائع).

---

(١) ابن قدامة – المرجع السابق ص ١٥٩-١٦١.

(٢) راجع كتابه: منهج التربية الإسلامية جـ١ ص ١٨٠-٢٢٢.

حق الانتماء إلى نسب وحمل اسم

من الحقوق الثابتة للطفل أن يتمتع منذ مولده بحق الانتماء إلى نسب شرعي ويحمل اسماً يميز به.

والأصل أن الطفل ثمرة زواج شرعي، وقران مشروع بين زوجين، فمن حق الطفل أن يتمتع بشعور الانتماء لأب وأم وأسرة وجماعة، تحفظ نسبه، وصلة قرباه ليكونوا له رحماً يلوذ بهم ويلوذون به، وتعمر أحاسيسه ومشاعره بدفء الانتماء، كما أن من حقه الشعور بالاستقلال في كيانه كإنسان حر كريم.

وهذان الجانبان لا تقتصر ضرورتهما على مجرد التمتع بالأحاسيس والمشاعر فحسب، بل يتعدى ذلك ليشمل نسيجاً كاملاً من الأحكام التي تصله بالتنظيم الاجتماعي في المحاولات الشخصية والأسرية، وصلات القرابة والرحم، وأحكام المواريث والأموال، وحاجة الإنسان للعون والمساندة، ومجالات الأقضية والحكم... وغيرها. ولتأكيد معنى حق الطفل في الانتماء إلى نسب منع الإسلام التبني، وفيه يقول الله تعالى: ﴿ لِآبَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ﴾[1].

ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم موجهاً إلى حسن الاختيار للاسم: "إن أحب أسمائكم إلى الله عز وجل عبد الله وعبدالرحمن". ومن كان له اسم مكروه استحب تبديله، فقد غير النبي صلى الله عليه وسلم أسماء جماعة من أصحابه[2]، وقال بعض الصحابة للرسول الكريم عليه السلام: يا رسول الله قد علمنا حق الوالد على الولد، فما هو حق الولد على الوالد، فأجابه قائلاً يحسن والده اسمه، ويحسن أدبه "وفي رواية" من ولد له ولد فليحسن اسمه وأدبه "فإذا بلغ فليزوجه فإن بلغ و لم يزوجه فأصاب إثماً فإثمه على أبيه"[3].

---

(١) سورة الأحزاب الآية ٥.

(٢) ابن قدامة: المرجع السابق ص ٨٠.

(٣) الأستاذ عز الدين الخطيب معزو إلى د/ أحمد الشرباجي جـ٣ ص١١٩ عن كتابه، (يسألونك في

ولحماية حق الطفل في الانتماء لنسب شرعي أقرت الشريعة جملة من الأحكام لضمان تمتع الطفل بهذا الحق:

ومنها أنه أنزل أحكام الزواج، وحرم الزنا، وحرم القذف، ومنع التبني في الإسلام، لما يترتب على ذلك من اختلاف الأنساب.

وحمى الإسلام بهذا الحق للطفل حقه في الرعاية والإنفاق، وضمن للطفل حنو الأب وعطفه، وحبه وحمايته.

وحرم على المسلم أن يدعي نسبه غير نمسبه. قال صلى الله عليه وسلم: "من ادعى إلى غير أبيه، وهو يعلم أنه غير أبيه فالجنة عليه حرام"[1]. ويعتبر ذلك ظلماً وعقوقاً.

وكذلك فإن نظام النصرة والمعاونة الذي تقوم عليه أحكام كثيرة سيتعطل بدون ذلك[2]. للأطفال حق الحماية من الإجهاد قبل البلوغ،فلا يجوز أن يستخدموا في عمل وقت القصور لئلا تستنفد قواهم ويقف نموهم أو يحرموا حقهم في العلم.

المقاصد الشرعية في تربية النشء

تحت استهداف هذه الغاية العظمي التي جعلها الإسلام مقصداً من المقاصد الشرعية حين عمل على حماية النشء وتربيتهم وعمل على الحيلولة دون وقوعهم في الانحراف تتجلى عظمة الشريعة الإسلامية باعتبارها نظاماً في التربية يقوم على هذا الوحي الإلهي؛ ذلك أن تربية النشء وحمايته في الإسلام تدريباً وإعداداً لترسيخ عقيدة (الحرية) وفق عقيدة "الحق" التي ينفرد بها الإسلام.

الدين والحياة).

(١) حجة الله البالغة للشيخ أحمد الدهلوي جـ٢ ص١٤٣.

(٢) المرجع السابق جـ٢ ص١٤٤.

فمبادئ الحرية والحق والعدل التي دعا إليها الإسلام ضمن مختلف الأحكام بالنسبة لكل ما سنه للناس من عقائد ونظم وتشريع، كما توسع في إقرارها فوضع مبادئ تكفل سعادة البشر وحرياتهم، ولم يعمد إلى تقييدها إلا ضمن حدود ضيقة يقتضيها الصالح العام والمصالح المشتركة، بل عمد إلى كل نظام يناقض هذه المبادئ فألغاه مرة واحدة حين لم تترتب على إلغائه مرة واحدة أية زلزلة في الحياة الاجتماعية التي ألفها الناس دهوراً وعلى مر الأجيال. قال الله تعالى: ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ﴾[1] في حين أنه كانت هنالك نظم تناقض مبدأ الحرية، ولكن اقتضى واقع الجماعات البشرية حينئذ إلغاءها على مراحل وبالتدريج – كنظام الرق – فراعى الإسلام واقع البشر وظروف حياتهم، فعمد في البداية إلى وضع القيود على تلك النظم بشكل يمكن من احتوائها وحصرها.

وعلى أنقاض تلك النظم وفي مواجهتها وضع الإسلام مبادئ الحرية والعدل والمساواة التي تقتضي كرامة الإنسان أن يؤخذ بها في مختلف نواحي الحياة المدنية والسياسية والدينية والاجتماعية، ووصل بالإنسان في كل ناحية من هذه النواحي إلى شأوٍ رفيع لم تصل إلى مثله شريعة أخرى من شرائع العالم قديم وحديثه[2].

وعلى الرغم من أن تلك المبادئ التي قررها الإسلام، وأرساها على أنقاض النظم المختلفة لم ترد في التشريع الإسلامي ومصادره بمسمياتها التي عرفت بها في الفقه القانوني والدستوري، إلا أن تلك المبادئ قامت في التشريع الإسلامي وطبقت على واقع المسلمين وخصوصاً في الصدر الأول وما تلاه مباشرة من العهود بشكل لم تعرف الإنسانية له مثيلاً.

وقد اعتبر الإسلام إقراره للحريات إقراراً منه لإنسانية الإنسان، بدليل أنه أقر التمتع بالحريات للمسلمين وغير المسلمين، الذين كانوا يعيشون في ظل دولة الإسلام،

---

(١) سورة الأعراف الآية ١٥٧.

(٢) د. على عبدالواحد وافي: الحرية في الإسلام، ١٩٦٨، ص٥.

مما يؤكد أن الإسلام هو دين الحرية، وأن الحرية لم تعرف معناها الإنساني إلا في كنف الإسلام، وواقع تطبيقه[1].

مما يتأكد معه القول: إن الإسلام عرف الحرية ووضع قواعدها وضوابطها بعد أن طبقت في مجتمعات المؤمنين.

وترجع الأحكام الشرعية في أصل وضعها إلى حفظ مقاصدها في الخليقة، وتحقيق مصالح العباد في الدنيا والآخرة، على أتم الوجوه وأكملها، وقد اتفقت الأمة الإسلامية — بل سائر الأمم — على أن الشرائع السماوية قد وضعت للمحافظة على مصالح العباد[2] ومنها الشريعة الإسلامية.

وأنكر (الرازي) أن تكون أحكام الله وأفعاله معللة بعلة[3].

ولا يلزم من ذلك اعتبار كل مصلحة، سواء وافقت مقصد الشارع أو خالفته، موافقة لقصد الشارع؛ ذلك لأن المصالح إنما اعتبرت مصالح لأن الشارع وضعها كذلك، ولأن مقصد الشارع من وضع الشريعة هو: "إخراج المكلف من دعاية هواه حتى يكون عبداً لله اختياراً كما هو عبدالله اضطراراً"

ويستدل الأصليون على ذلك بأمور:

أولها: النص الصريح الذي يدل على أن العباد خلقوا للتعبد لله، والدخول تحت أمره ونهيه، كقوله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ ﴾[4]. وقوله تعالى: ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا

---

(١) الشيخ محمد الشيرازي: الحريات الإسلامية، صحيفة بريد الشرق الألمانية، العدد الخامس، مايو ١٩٧٤.

(٢) الشاطبي: الموافقات، الجزء الأول، ص١٤.

(٣) ولما اضطر في علم أصول الفقه إلى إثبات العلل للأحكام الشرعية — ادعى أن العلل فيها بمعنى العلامات، وليست مبنية على اعتبار المصلحة أو غيرها (الشاطبي: الموافقات — الجزء الثاني، ص٣)

(٤) سورة الذاريات الآيتان ٥٦-٥٧.

﴿ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ﴾[1]. وقوله تعالى: ﴿ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ﴾[2]. إلى غير ذلك من الآيات الآمرة بالعبادة على الإطلاق، وتفاصيلها على العموم، فكل ذلك يدل على وجوب الرجوع إلى أمر الله تعالى في جميع الأحوال، والانقياد لأوامره في كل وقت، وذلك هو معنى التعبد لله.

ثانيها: أن الله سبحانه قد حذر من اتباع الهوى، ومخالفة أمر الله، وذم المعرضين عنه سبحانه باتباعهم لهواهم، متوعداً إياهم بالعذاب العاجل بالنسبة لبعض الذنوب وبالآجل بالنسبة لجميع الذنوب؛ لأن اتباع الهوى مضاد للحق،وقصيم له، كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾[3]. فجعل اتباع الهوى مضاداً للحكم بين الناس بالحق، كما جعل سبحانه اتباع الهوي أو عدم اتباعه – مع صدق مشيئته – قاعدة تفصل في استحقاق الجنة أو الجحيم، كما في قوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ ﴾[4]. وقوله سبحانه:

﴿ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ ﴾[5]. فجعل هذا قصيماً لذلك.

وعلى ذلك فلا يخرج الباعث على الفعل أو ترك الفعل على أحد أمرين:

الوحي (وهو الشريعة) أو الهوى، ولا ثالث لهما. قال تعالى: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ ﴾[6]. فالوحي والهوى أمران متضادان، وحين تعين الحق في

---

(١) سورة طه الآية ١٣٢.

(٢) سورة النساء الآية ٣٦.

(٣) سورة ص الآية ٢٦.

(٤) سورة النازعات الآيتان ٤٠-٤١.

(٥) سورة النازعات الآيات ٣٧-٣٩.

(٦) سورة النجم الآيتان ٣-٤.

الوحي توجه للهوى ضده لأن الحق والهوى ضدان لا يجتمعان. قال تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ ﴾[1]. وقال سبحانه: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ﴿١٦﴾ ﴾[2]. فحيث ذكر الهوى في الآيات اتبع بالذم والتقبيح، وقد قال (ابن عباس): -رضي الله عنهما-:"ما ذكر الله الهوي في كتابه إلا ذمه"[3]، مما يوضح أن قصد الشارع الحكيم هو الخروج بالإنسان عن اتباع الهوى، والدخول به تحت التعبد لله سبحانه.

ثالثها: ما عرف عقلاً بالتجارب والعادات، من أن المصالح الدينية والدنيوية لا تحسن مع الاسترسال في اتباع الهوى، وموافقة الأغراض، لما يترتب عليها من الفوضى والاضطراب والتقاتل والهلاك، وكل ذلك مضاد لتلك المصالح ولذا نجد أن العقلاء متفقون على ذم مشبع الشهوات، والمسترسل مع اللذات، بدليل أن الأمم التي لا شرائع لها، أو تلك التي لها شريعة درست كانوا يقضون في المصالح الدنيوية بكف كل من اتبع هواه عن النظر العقلي، وما اتفقوا على ذلك إلا بعد ثبات صحة ذلك المفهوم لديهم عقلاً وتجربة[4]. فالشرائع موضوعة لمصالح العباد وفق أمر الشارع الحكيم، وعلى الحد الذي أوجبه، لا على مقتضيات الشهوة والهوى.

فمنزل الشريعة (سبحانه) على العباد هو خالق العباد، والعالم بمصالحهم وبجملة ما ينفعهم في دنياهم وأخراهم على الحقيقة، فإذا ثبت لدينا أن الشريعة قد أقرت أحكامها وفق مصالح العباد، وأن هذه المصالح جاءت وفق ما شرع الله لمنفعة العباد، فقد آن لنا أن نبين كنه هذه المصالح[5].

---

(١) سورة الجاثية الآية ٢٣.

(٢) سورة محمد الآية ١٦.

(٣) الشاطبي: الموافقات الجزء الثاني ص ١٢١.

(٤) الشاطبي:الموافقات، الجزء الثاني، ص١٢٠-١٢٣، طبعة١٣٨٩هـ

(٥) وباستقراء المراجع التي توقعت إلمامها بموضوع مقاصد التشريع من كتب أصول الفقه وغيرها، فلم أجد فيمن اطلعت على مراجعهم وكتاباتهم أحداً قد صادف التوفيق الذي تفضل الله به على الإمام

فتكاليف الشريعة إنما ترجع إلى حفظ مقاصدها فيمن نزلت فيهم، وهذه المقاصد لا تعدو ثلاثة أقسام:

مقاصد ضرورية، ومقاصد خارجية، ومقاصد تحسينية، وهي كلها مقاصد تحول دون وقوع، وسواء في ذلك النشء أم غيرهم. إنها تلك الأمور التي لا بد منها لقيام مصالح الدين والدنيا فلا تستقيم أمورالناس ومصالحهم إلا بها، فإذا فقدت اختل نظام حياتهم، وانقلبت شؤونهم من صحة إلى فساد وفوات لمصالح الدنيا، وفي الآخرة فوت النجاة والنعيم، والرجوع بالخسران والخيبة، وهذه الضروريات خمس:

الدين، النفس، العقل، المال، النسل.

والحفظ لهذه الضروريات يكون بحمايتها من الاعتداء عليها، ويكون ضمانها بأمرين:

١-بتقرير ما يقيم أركانها ويثبت دعائمها – ويكفل إيجادها.

٢-بتقرير جميع التدابير التي تدرأ عنها كل اختلال واقع أو متوقع فيها.

وذلك عبارة عن مراعاتها من حيث العدم.

فالدين: وقد شرعت لتقريره وحفظه أحكام العبادات والمعاملات، فهو يشتمل على مفهومي العقيدة والعبادة. فقد أرسل الله رسله وأنزل كتبه وبعث أنبياءه بدينه لينظم به علاقة الناس بربهم، وعلاقتهم ببعضهم، وعلاقتهم بمجتمعهم، وقرره بمراتبة الإسلام والإيمان والإحسان[1].

أبي إسحاق الشاطبي (رحمه الله تعالى) بما لا يزيد عليه وكثير من الفقهاء المحدثين والقدماء الذين طرقوا هذا الباب كانوا ضيوفاً على مائدة الشاطبي في الموافقات.

(١) ولقد ورد النص في بيان تعريف هذه المراتب وأركانها في حديث جبريل عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه حيث قال: (بينما نحن جلوس عند رسول =

=الله صلى الله عليه وسلم إذ أقبل علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر، لايري عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد، حتى جلس إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع

هذا الدين الذي لا يصلح أمر العباد إلا باتباع أحكامه، فلذلك أقره الحق سبحانه وأوجب على المسلمين الدعوة إليه، وتأمين تلك الدعوة والدعاة إليها من الاعتداء، وإزاحة من يقف في سبيلها، والعمل على إيصالها إلى كل من طلعت عليه الشمس بعد مبعث محمد صلى الله عليه وسلم بالحق[1].

ولضمان حفظ الدين فقد شرع الله الجهاد في سبيله لقتال من يتصدى للدعوة أو يعطل انتشارها في العالمين. ولحفظ الدين في أهله قرر عقوبة المرتد عن الإسلام وعقوبة صاحب الفتنة والبدعة، قال صلى الله عليه وسلم فيما روته السيدة عائشة رضي الله عنها: " من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد"[2]. هذا وقد شرع الإسلام النكاح لإيجاد التناسل وبقاء النوع ما رضيه الله لعباده وحث عليه النبي صلى الله عليه وسلم فقال: "تزوجوا الولود فإنني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة" وفي سبيل حفظ النفس وكفالة حياتها فقد حرم الإسلام القتل وجعل قتل النفس موجباً للقصاص، ومن كبائر الذنوب المقرونة بالشرك منزلة وجزاء بنص القرآن، ولأجل الحفاظ على النفس كذلك قررت الشريعة مبدأ التكافل، وأوجبت سد رمق المضطر مخافة هلاكه، وشرعت الصدقة والنفقة على الأقارب، وقررت نصب الحكام والقضاة والملوك لذلك، كما ترتب الأجناد لقتال من رام قتل النفس، وأوجب على المضطر سد رمقه ولو بما حرم من طعام أو شراب خشية هلاكه، ولضمان حياته.

وهكذا فقد شرعت أحكام كثيرة تجل عن الحصر لحماية النفس، كما شرعت

كفيه على فخذيه وقال: "يامحمد أخبرني عن الإسلام، الحديث رواه مسلم النووي: شرح الأربعين النووية – المكتبة التجارية الكبري ١٣٧٥هـ ص١٦ – أما الإيمان فمعناه في اللغة: التصديق، وفي الشرع: إقرار باللسان، وتصديق بالجنان، وعمل بالجوارح، والإحسان: هو أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك" (الشيخ محمد بن عبدالوهاب: الأصول الثلاثة ودلالتها، ص١٧.

(١) الشيخ عبدالوهاب خلاف، علم أصول الفقه، ١٣٩٠هـ، ص٢٠٠-٢٠١، والشيخ محمد أبو زهرة: تنظيم الإسلام للمجتمع، ص٦٢.

(٢) رواه مسلم النووي: المرجع السابق، ص٣٠.

أحكام أخرى لكفالة حياتها ودوام استمرارها[1].

وللحفاظ على العقل: فقد حرم الإسلام شرب الخمر، لأن في شربها تعطيلاً للعقل. قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ ﴾[2]. كما حرم الحشيشة واستعمال كل مسكر[3]. وفي سبيل إقرار الكسب فقد شرع الإسلام العمل، وأقر حرية التجارة والصناعة والزراعة وأوجب السعي لطلب الرزق

﴿ فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦ ﴾[4]. وأتاح المعاملات والمبادلات والعقود، ونظم لها الأسس والأحكام.

وشرع لحفظ المال وحمايته عدداً من الأحكام، منها أحكام الحدود والعقوبات كحد السارق والسارقة، وعقوبة قاطع الطريق، وحَرَّم الغش والخيانة، وأكل أموال الناس بالباطل كما شرع التضمين والحجر على السفية، ودفع الضرر بتحريم الربا.

وهكذا فقد شرع الإسلام أحكاماً في مختلف أبواب العبادات والمعاملات والعقوبات قصد بها كفالة الضروريات الخمس، بتثبيت قواعدها وأركانها وضمان ما يدفع عنها الاختلاف الواقع أو المتوقع فيها، من حيث الإيجاد والحفظ والحماية[5].

وأما المقاصد الحاجية فهي حاجية من حيث إنه يفتقر إليها للتوسعة، ورفع الضيق الذي يؤدي غالباً إلى الحرج والمشقة التي تلحق الناس بفوات المطلوب فإذا لم

---

(١) الشيخ محمد أبو زهرة: المرجع السابق، ص٥٩.

(٢)سورة المائدة الآية ٩٠.

(٣)والحشيشة مادة مصنوعة من ورق القنب، وحكمها أنها محرمة، يجلد عليها كالخمر. شيخ الإسلام ابن تيمية: السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية١٣٨٧هـ، ص٥٩. والشيخ أبو زهرة: المرجع السابق، ص٦٠

(٤) سورة الملك الآية ١٥.

(٥) الشاطبي: الجزء الثاني، ص٤-٥، والشيخ عبدالوهاب خلاف: علم أصول الفقه، الطبعة التاسعة، ص٢٠٢، وما بعدها.

تراع دخل على المكلفين الحرج والمشقة، وإن كان الفساد فيها لا يبلغ مبلغ الضرر المتوقع في المصالح العامة.

والمقاصد الحاجية في كل العبادات والمعاملات والجنايات والعادات، ففي العبادات شرع الإسلام الرُّخَص تخفيفاً على المكلفين،فيما إذا ترتب على العزيمة مشقة وعنت، فأباح الفطر في رمضان لمن كان مريضاً أو على سفر كما أباح القصر والجمع في السفر، والتيمم عند العجز عن استعمال الماء وغيرها من الرخص.

وفي العقوبات قرر الإسلام بعض الأحكام تخفيفاً على المكلفين، كضرب الدية على العاقلة (أقرباء الجاني) تيسيراً على من قتل خطأ يدفعها، وقاعدة درء الحدود بالشبهات، وإباحة العفو لولي المقتول. وفي العادات كإباحة الصيد، والتمتع بالطيبات مما حلل أكله وشربه ولبسه وركوبه وسكناه.

وأما المقاصد التحسينية وهي المتممة لمكارم الأخلاق، وضبط الالتزام السلوكي، بتقرير كل ما يحسن من حال المكلف، ويتوافق مع مقتضيات المروءة والخلق الكريم وتجنب الأحوال التي تأنفها العقول السليمة.

وهي جارية فيما جرت فيه سابقتها من أحكام العبادات والمعاملات والعقوبات.

ففي العبادات شرع الطهارة للبدن، والمكان، وستر العورة، وأخذ الزينة عند كل مسجد والتقرب بفواضل الخيرات من الصدقات والقربات وأشباه ذلك من الآداب التي شرعت لتهذيب العباد، وتعويدهم أحسن العبادات.

وفي المعاملات أيضاً حرم الغش والتدليس والإسراف والبخل، ومهر البغي، وثمن الكلب، وبيع فضل الماء والكلأ، ونهي عن تلقي الركبان، وبيع النجش (وهو إضرار المشتري بأخيه بزيادته على ثمن سلعة لا يريد شراءها) وغير ذلك من الأحكام التي تمنع الفرقة والتباغض بين الناس وتعودهم على أحسن الخلال وأرقى ضروب التعامل.

وفي العقوبات كتحريم قتل الرهبان، والنساء والصبيان في الجهاد، وقتل الأعزل والمثلة وإحراق ميت أو حي من الناس، وسن الشفرة عند الذبح.

وفي العادات كآداب الأكل والشرب واللبس، ومجانبة المستخبثات والمستقذرات.

وهكذا فقد قرر الإسلام كل ما يهذب الفرد والمجتمع، ويقوم منهج السلوك الشخصي والاجتماعي، فهذه الأمور – التحسينية–راجعة إلى محاسن زائدة على أصل المصالح الضرورية والحاجية، وهي لذلك تخل عند فقدانها بأمر ضروري أو حاجي، وإذا كان فيها إخلال بأحدهما فلا تراعى، ولا يراعى حاجي إذا كان اعتباره مخلاً بضروري؛ لأن المقاصد ليست على درجة واحدة، فأهمها الضروري الذي يترتب على فقده الإخلال بأمر ضروري لازم لنظام الحياة، تترتب عليه مصلحة حقيقية أجل عن التغاضي والمساومة.

ثم تلي الضرورة الحاجية: والتي يترتب على فقدها العسر والمشقة.

ثم تلي الحاجية التحسينية: والتي لا تبلغ في الأهمية مبلغ المقاصد الحاجية ولا الضرورية، ولكن يترتب على فقدها الكمال في الأمور وما تستحسنه العقول. وهناك أمور تكميلية تدخل على الأنواع الثلاثة من المقاصد:

فمما يكمل الضروري: كالمماثلة في القصاص فإنه لا تدعو إليه ضرورة، ولا تبلغ المماثلة في الأهمية مبلغ عقوبة القصاص نفسها. فحكم المماثلة تكميلي، ومثله حكم زكاة الفطر فهو ضروري، ودفعها طعاماً –عند من قال بأفضليته – تكميلي.

وما يكمل الحاجي: كمهر المثل في الصغيرة، فالمماثلة مما لا تدعو إليه حاجة ولا يبلغ مبلغ الحاجة إلى أصل النكاح.

وما يكمل التحسيني: فكمندوبات الطهارات، واختيار غير ذات عيب من الأضاحي والعقيقة وغيرها.

ومثل هذه الأمور التكميلية والتي تدخل على المقاصد الثلاثة هي من باب التتمة والتكملة تماماً كوضع الحاجيات مع الضروريات، فإن الحاجيات كالتتمة للضروريات، والتحسينات كالتتمة للحاجيات.

فكل تكملة من حيث إنها تتمة لما قبلها ليست شرطاً في أصل وضعها، بحيث تبطل ببطلان ذلك الشرط (بمعنى ألا يفضي اعتبار التكملة إلى رفض الأصل) فإذا أدت التتمة إلى بطلان ضروري أو حاجي من المقاصد بطلت.

مثاله: حفظ النفس ضروري، وحفظ المروءة تكميلي مستحسن فحرمت النجاسات حفظاً للمروءات وتعويداً لأهلها على محاسن العادات، فإذا دعت ضرورة لإحياء نفس بتناول النجس كان تناوله أولي، حفظاً للنفس من الهلاك،فلو ترك تناوله حفظاً للمروءة ومحاسن الصفات مع تعرضه لبطلان الأصل الضروري كالموت جوعاً لم يصح اعتبار التكميلي، لأن اعتباره أدى إلى بطلان الأصل الضروري وهو حفظ النفس.

تعليل ذلك بأمرين:

أ-أن إبطال الأصل للتكملة، لأن التكملة مع الأصل كالصفة مع الموصوف، فإذا سقط الموصوف سقطت الصفة، وإذا أدى اعتبار التكملة إلى إبطال الأصل ألغيت التكملة واعتبر الأصل من غير مزيد.

ب-أننا لو فرضنا أن المصلحة التكميلية يمكن حصولها مع فوات الأصل –وهي المصلحة الضرورية – لكان حصول الضروري الأصلى أولي من التكميلي لما بينهما من التفاوت(١).

ويترتب على ذلك أن الضروري من المقاصد أصل للحاجي والتحسيني، فلا يجوز لذلك أن يراعي حكم حاجي أو تكميلي مع إخلال في حكم ضروري.

والأحكام الشرعية بما ورد فيها من أمور العبادات والمعاملات والعقوبات، وما شرع فيها من قواعد الأخلاق، وضبط المسلك الفردي والجماعي، إنما جاءت

---

(١) الشاطبي: الموافقات: الجزء الثاني، ص٦-٨، والشيخ عبدالوهاب خلاف، المرجع السابق، ص٢٠٣ وما بعدها.

تستهدف الحفاظ على المقاصد الشرعية بأنواعها الثلاثة: الضرورية والحاجية أو التكميلية، وأن هذه المقاصد هي مما اتفقت مدارك العقلاء على وجوب حفظها تحقيقاً لذات الإنسان وحريته وسعادته، فكل مقصد من تلك المقاصد يتضمن أنواعاً من الحريات التي شقيت البشرية وما زالت تشقى للوصول إلى إقرارها.

وشريعة الإسلام قد أقرت تلك المقاصد، ووضعت الأحكام الكفيلة بضمان تقريرها وضمان ثباتها، وضمان حمايتها، وبذلك تكون شريعة الإسلام هي شريعة الحريات وأحكامها هي قواعد للحريات، ومن تطبق فيهم أحرار بمعني الكلمة.

وما الأحكام الشرعية وما تضمنته من عقوبات كالحدود والقصاص والتعزير إلا ضمانات حقيقية تكفل تمتع الأفراد بالحريات، وتضمن عدم التناقض معها لا على مستوى الفرد ولا على مستوى السلطة، لأن التزام الأفراد بتلك الأحكام التزام تمليه العقيدة والتزام السلطة بها التزام تمليه العقيدة أيضاً، مما يكفل حمايتها بالوازع.

وعلى ذلك فإن منطق الحرية في الإسلام يأخذ الاعتبار الآتي: إن الإنسان المسلم له الحرية في فعل ما يشاء على ألا يصطدم بأحد تلك الضوابط التي يمكن حصرها في كلمتين (الحق) و(الحد) أو في قول النبي صلى الله عليه وسلم: "لا ضرر ولا ضرار" (١)

يثبت للطفل حقوق مالية في الإسلام وهي:

(١) الميراث: ويستحقه إذا كان موجوداً حال موت مورثه، ويشترط أن ينفصل عن أمه حياً بأي علامة من علامات الحياة كالعطاس أو البكاء أو الرضاع وغيرها، فإن مات بعد ذلك ورث وورث، وإن بقي حياً وكان وارثاً حفظ ماله حتى يبلغ الرشد، والأولى ألا يقسم الإرث إلا بعد الوضع ليعلم هل هو ذكر أم أنثى، وهل هو

(١) عن أبي سعيد سيد بن مالك بن سنان الخدري رضي الله عنه، رواه ابن ماجه والدارقطني مسنداً، ورواه مالك في الموطأ مرسلاً، وله طرق يقوي بعضها بعضا. النووي (المتوفي عام ٦٧٦هـ): شرح الأربعين، ص ٨٧.

واحد أو أكثر[1].

(٢) النفقة: وتجب للطفل وهو حمل في بطن أمه، فالمطلقة الحامل ينفق عليها حتى تضع حملها. ويستمر وجوب النفقة على الطفل حتى يبلغ الصبي ويستغني بقدرته على الكسب، وأما الجارية فلا تسقط النفقة عليها حتى تتزوج ويدخل بها الزوج، وإذا طلقت أو ترملت عادت نفقتها على وليها[2].

ويجب على المربي العدل في النفقة بين الأولاد، والعدل يعني أن يعطي كل واحد ما يحتاجه فالطفل الذي يدرس يحتاج إلى أدوات مدرسية بخلاف من لم يدخل المدرسة، والبالغ المحتاج إلى الزواج يزوجه أبوه ولا يعطي إخوانه مثله إلا إذا بلغوا واحتاجوا الزواج، لأن النفقة حسب الحاجة[3].

(٣) الهبة: ويشترط أن يعدل بين الأولاد في الهبة ويقسم بينهم كما قسم الله ذلك بأن للذكر مثل حظ الأنثيين، ويجوز للأب أن يعود في عطيته دون غيره[4].

(٤) الوقف: ينال الطفل نصيبه من الوقف إذا كان موجوداً حال تخصيص الوقف[5].

(٥) الوصية: تصح الوصية للطفل وهو حمل في بطن أمه بشرط أن يولد حياً وأن يكون موجوداً حال موت الموصي، وأما الوصية من الصبي فتصح إذا بلغ عشر سنين، وأما من له سبع سنين ففيه خلاف[6].

يسن أن يحلق شعر رأس المولود في إلىوم السابع، ويتصدق بوزنه ورقاً (فضة)،

---

(١) انظر: الطفل في الشريعة الإسلامية، محمد الصالح، ص٧٦.

(٢) انظر: المغني، ابن قدامة، ٩/٢٦٠.

(٣) استمع إلى برنامج: (سؤال على الهاتف): إذاعة القرآن الكريم، الحلقة المذاعة يوم الثلاثاء ١٤١٩/٦/٢٣هـ الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين.

(٤) انظر: المغني، ابن قدامة، ٦/٢٦٢.

(٥) انظر: المرجع السابق، ٦/٢٠٥.

(٦) انظر: المرجع السابق، ٦/٤٧٤-٤٧٧.

وفي ذلك تقوية للشعر وفتح لمسام الرأس[1]، ومن العلماء من خصه بالصبي دون الجارية، ولكنه يباح لها إذا ثبتت فائدته[2]، ومن العلماء من جعله للجارية والغلام على حد سواء[3].

وأما الختان فهو واجب عند العلماء وسنة مؤكدة عند آخرين، ووجوبه ليس على الفور، ولكن يشترط أن يبلغ الصبي مختوناً لتصح عبادته؛ ويفضل أن يكون الختان في الأيام الأولى سواء في السابع أو بعد ذلك[4]، ليكون أسرع في شفائه وأقل ألماً، وأما الجارية فالختان في حقها مستحب[5]، كما يستحب للجارية أن تثقب أذنها لحاجتها إلى الحلي، وأما الصبي فلا يجوز له ذلك[6].

إن تربية الطفل ليصبح ذا همة عالية تعتمد على عدة أمور منها:

* تقوية إرادة الطفل، وذلك باحترام رأيه واستشارته وعدم تحقيره وإهانته لأن ذلك يجعل الطفل يحتقر نفسه ويتعود الذلة والمهانة، وبتعويده على الصبر وقهر الهوى ومخالفة النفس[7]، لأن النفس بذلك تشعر بالعزة وعلو الهمة.

* تعويده على طلب الكمال وإحسان العمل، ويجب الحذر من أن يكون ذلك في اللباس والطعام والمسكن والمركب؛ لأن هذا حال أكثر الناس، وهذا يدفع الطفل إلى ارتكاب المعاصي لأجل المتاع الزائل، وإنما المقصود تعويده على طلب الكمال في الخلق والدين وطلب محاسن الأعمال، فإذا كان معه طعام أو مال عود على البذل،

---

(١) انظر تربية الأولاد في الإسلام، عبدالله ناصح علوان، ١/٧٨-٧٩، والشرح الممتع: محمد بن صالح بن عثيمين: ٧/٥٤٠-٥٤١.

(٢) انظر: الشرح الممتع: محمد بن صالح بن عثيمين: ٧/٥٤٠.

(٣) انظر: تحفة المودود، ابن القيم، ص٦٩-٧١، والطفل في الشريعة الإسلامية: محمد الصالح، ص١٠٧.

(٤) انظر: تحفة المودود، ابن القيم، ص١٢٤، ١٢٨.

(٥) انظر: تربية الأولاد في الإسلام، عبدالله ناصح علوان، ١/١٠٧-١١٨،١٠٨.

(٦) انظر: تحفة المودود، ابن القيم، ص١٤٨.

(٧) انظر: الطب الروحاني، الرازي: ص٣٧، ومسؤولية الأب المسلم في تربية الولد، عدنان باحارث، ص ٣٣٠-٣٣١.

وإن اعتدى عليه أحد عود على العفو والتسامح.

* تعليقه بالقضايا العالية كحثه على طلب العلم ليصبح عالماً ربانياً يقود الناس إلى الجنة، وتدريبه على الشجاعة ليجاهد في سبيل الله، وكسب المال للإنفاقه في وجوه الخير، والحذر من تعليقه بالتطلعات الأرضية التي يتساوى فيها المسلم والكافر كالأكل والشرب وملذات الدنيا، فهذا الأسلوب يعطل طاقات الإنسان ويجعله مخلداً إلى الشهوات والصَّغار، والرضا بالدون[1].

* ربطه بالقدوات العالية الهمة عن طريق تعليمه المغازي، وسير ذوي الهمة العالية في الالتزام بالعقيدة، والتضحية في سبيلها، وذوي الخلق العالي، فيكنى ويسمى بأسمائهم وكناهم، ويحدث بسيرتهم ليقتدي بهم.

يمكن للمربي أن يحقق هذا الهدف ببذل الأسباب التي سنحاول استقصاءها فيما يلي:

*الإعداد لطلب العلم، ويبدأ منذ المهد حيث يلقن الطفل شهادة التوحيد ويعلم الإجابة على الأسئلة التالية: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟، ثم يعلم قصار السور وأركان الإسلام والسيرة النبوية والمناقب والمغازي وغيرها، كما يتعلم ويرى من والديه حب العلم والإنصات إلى أحاديث العلماء المسموعة والمقروءة، وإجلال الكتب وبخاصة الشرعي منها، واحترام أدوات العلم من ورق وأقلام وكتب، ويحبب في المدرسة ويسمح له بزيارتها مع إخوته الأكبر سناً[2]. ويتحاشى إخوته ذكر ما ينفر من المدرسة كالتضجر من كثرة الدروس والواجبات وتسلط بعض المدرسين والنهوض مبكراً.

*التدريس النظامي، الذي تحول في كثير من الدول إلى قانون ملزم، وهو مفتاح

---

(١) انظر: من أخطائنا في تربية أولادنا، محمد السحيم، ص٢٨-٣٠.

(٢) انظر: دور البيت في تربية الطفل المسلم، خالد الشنتوت، ص١٠٢.

طلب العلم، ولكن يجب العناية باختيار المدرسة ذات المستوى العلمي الراقي، والحذر من المدارس التنصيرية والبحث عن مدارس تضم أفراداً صالحين[١].

وينبغي على المربي تدارك النقص الموجود في المدارس الحديثة بوسائل منها: *
إلحاقه بحلق التحفيظ في المساجد، أو تعيين معلم خاص له يحفظه القرآن الكريم.

*تعويده القراءة في الكتب وسماع الأشرطة المسموعة والمرئية، وتكوين مكتبة علمية تضم ما يناسب سنه وعقله، ويحسن أن تكون في غرفة الجلوس لتكون قريبة التناول، ويراعي حسن تأثيثها وجمال كتبها[٢]، وتنوع موضوعاتها[٣].

* حضور مجالس العلم من ندوات ومحاضرات وخطب ومواعظ في المجالس أو الأندية الثقافية أو المؤسسات.

* إلحاقه بالمشايخ والعلماء الذين يدرسون في المساجد أو البيوت، وليختر المربي أكملهم علماً أو خلقاً وليتأكد من مناسبة الدروس لولده[٤].

وبالإضافة إلى ما سبق ينبغي على المربي أن يجنب ولده المعاصي والذنوب لأنها تعمي البصيرة [٥]، وكذلك التوترات والانفعالات النفسية التي تعوق التعلم[٦]، وليحرص المربي أن يغرس في ولده أن العلم وسيلة للعمل لا لمجرد المباهاة أو الحفظ أو الوظيفة[٧]، ولذا فالأولوية للعلوم الشرعية ثم ما تحتاجه الأمة من العلوم الأخرى

---

(١) انظر: مسئولية الأب المسلم في تربية الولد، عدنان باحارث، ص٣٣٤.

(٢) انظر: كيف نربي أطفالنا، محمود الإستانبولي، ص١٣٣.

(٣) انظر: مسؤولية الأب المسلم في تربية الولد، عدنان باحارث، ص٣٢٠.

(٤) انظر: المرجع السابق.

(٥) انظر: جوانب التربية الإسلامية، مقداد يالجن، ص٩٣-٩٤.

(٦) انظر: مسؤولية الأب المسلم في تربية الولد،عدنان باحارث، ص٣١٥.

(٧) انظر: أصول التربية الإسلامية، عبدالرحمن النحلاوي،ص١٦٨.

تنمية المواهب الإبداعية:

تهدف التربية إلى تنمية مواهب الطفل وقدراته ثم إعداده ليكون عضواً نافعاً في المجتمع انطلاقاً من رغبته وهوايته ليبدع في مجال عمله، ويمكن اكتشاف موهبة الطفل وقدراته من خلال اللعب والأعمال الأخرى، وهذا الاكتشاف المبكر يساعد في توجيهه نحو البرامج التي تصقل قدراته، ويجب على المربي أن يمد الطفل بالأدوات والمواد ويشجعه لكي يكتشف مواهبه الكامنة[١]. وقد دعا ابن القيم – رحمه الله- إلى النظر إلى استعداد الطفل فإن كان سريع الفهم صحيح الإدراك قوي الحفظ وجهه نحو العلم، وإن كان يحب صنعة أخرى مكنه من أسبابها[٢]، ولذا فالإلحاح على الولد ليتابع دراسته النظرية في مجال ما وهو يميل إلى تعلم حرفة أخرى خطأ جسيم، فلابد من إعطائه حرية الاختيار مع نصحه وإرشاده بعد المعرفة الدقيقة لقدراته وإمكانياته العقلية والبدنية[٣].

تتميز التربية الإسلامية باستمرارها طيلة حياة الإنسان، ولأنها تتناسب مع عمر الإنسان وتشمل جوانب شخصيته كان لها أشكال متعددة لا تنفصل بل تتعاون لتربي الطفل المسلم، وقبل ذلك يجب أن نذكر قاعدة جليلة أشار إليها الرسول صلى الله عليه وسلم في حديثه: "رحم الله رجلاً أعان ولده على بره"[٤]، والمراد ألا يأمر ولده بأمر يشق عليه فيجره ذلك إلى العقوق، ولذا على المربي أن يحذر من مناداة الطفل وهو مشغول بالأكل أو يحاول النوم أو وهو مستغرق في اللعب، وقد نادي بذلك بعض المفكرين[٥].

---

(١) انظر: دور الفكر التربوي في رعاية الموهوبين، لطفي بركات، ص٣٩.

(٢) انظر: تحفة المودود، ابن القيم، ص١٩٠.

(٣) انظر: مسؤولية الأب المسلم في تربية الولد، عدنان باحارث، ص٣٣٥.

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه: كتاب الأدب،ما جاء في حق الولد على والده، ٥٤٥/٨، وأورده السيوطي في الجامع الصغير.

(٥) انظر: كيف نربي أطفالنا، محمود الإستانبولي، ص٥٢.

ودعا بعضهم إلى إبعاد الأشياء الثمينة القابلة للكسر[1]، فإذا تنبه الوالدان لذلك قلت أخطاء الطفل.

للتربية خمسة أنواع على النحو التإلى:

(أولاً): التربية بالملاحظة:

تعد هذه التربية أساساً جسده النبي صلى الله عليه وسلم في ملاحظته لأفراد المجتمع؛ تلك الملاحظة التي يعقبها التوجيه الرشيد،"والمقصود بالتربية بالملاحظة ملاحقة الولد وملازمته في التكوين العقيدي والأخلاقي، ومراقبته وملاحظته في الإعداد النفسي والاجتماعي، والسؤال المستمر عن وضعه وحاله في تربيته الجسمية وتحصيله العلمي"، وهذا يعني أن الملاحظة لابد أن تكون شاملة لجميع جوانب الشخصية[2].

ويجب الحذر من أن تتحول الملاحظة إلى تجسس، فمن الخطأ أن نفتش غرفة الولد المميز ونحاسبه على هفوة نجدها؛ لأنه لن يثق بعد ذلك بالمربي، وسيشعر أنه شخص غير موثوق به، وقد يلجأ إلى إخفاء كثير من الأشياء عند أصدقائه أو معارفه، و لم يكن هذا هدي النبي صلى الله عليه وسلم في تربية لأبنائه وأصحابه.

كما ينبغي الحذر من التضييق على الولد ومرافقته في كل مكان وزمان، لأن الطفل وبخاصة المميز والمراهق يحب أن تثق به وتعتمد عليه، ويحب أن يكون رقيباً على نفسه، ومسؤولاً عن تصرفاته، بعيداً عن رقابة المربي، فتتاح له تلك الفرصة باعتدال.

وعند التربية بالملاحظة يجد المربي الأخطاء والتقصير وعندها لابد من المداراة التي تحقق المطلوب دون إثارة أو إساءة إلى الطفل، والمداراة هي الرفق في التعليم وفي الأمر

---

(١) انظر: المشكلات السلوكية، نبيه الغبرة، ص٥٢.

(٢) انظر: تربية الأولاد في الإسلام، عبدالله ناصح علوان، ٢/٦٩١-٦٩٨.

والنهي[1]، بل إن التجاهل أحياناً يعد الأسلوب الأمثل في مواجهة تصرفات الطفل التي يستفز بها المربي، وبخاصة عندما يكون عمر الطفل بين السنة والنصف والسنة الثالثة حيث يميل الطفل إلى جذب الانتباه واستفزاز الوالدين والإخوة، فلابد عندها من التجاهل؛ لأن إثارة الضجة قد تؤدي إلى تشبثه بذلك الخطأ[2]، كما أنه لابد من التسامح أحياناً لأن المحاسبة الشديدة لها أضرارها التربوية والنفسية[3].

(ثانياً): التربية بالعادة:

(المبحث الأول): الأصل في التربية بالعادة حديث النبى صلى الله عليه وسلم في شأن الصلاة؛ لأن التكرار الذي يدوم ثلاث سنوات كفيل بغرس العبادة حتى تصبح عادة راسخة في النفس، وكذلك إرشاد ابن مسعود –رضى الله عنه –حيث

قال: "وعودوهم الخير، فإن الخير عادة"[4] وبهذا تكون التربية بالعادة ليست خاصة بالشعائر التعبدية وحدها، بل تشمل الآداب وأنماط السلوك[5].

(المبحث الثاني): كيفية التربية بالعادة: يبدأ تكوين العادات في سن مبكرة جداً، فالطفل في شهره السادس يبتهج بتكرار الأعمال التي تسعد من حوله، وهذا التكرار يكون العادة، ويظل هذا التكوين حتى السابعة[6]، وعلى الأم أن تبتعد عن الدلال منذ ولادة الطفل، ففي إلىوم الأول يحس الطفل بأنه محمول فيسكت، فإذا حمل دائماً صارت عادته، وكذلك إذا كانت الأم تسارع إلى حمله كلما بكى، ولتحذر الأم كذلك من إيقاظ الرضيع ليرضع؛ لأنها بذلك تنغص عليه نومه وتعوده على طلب الطعام في الليل والاستيقاظ له وإن لم يكن الجوع شديداً، وقد تستمر هذه العادة حتى

---

(١) انظر: التوجيه غير المباشر،عبدالله بن حميد، ص ٢٣-٢٤.

(٢) انظر: المشكلات السلوكية، نبيه الغبرة، ص٢٢.

(٣) انظر: كيف نربي أطفالنا، محمود الإستانبولي، ص٢٧.

(٤) انظر: منهج التربية النبوية، محمد نور سويد، ص٣٥٤.

(٥) انظر: منهج التربية الإسلامية، محمد قطب، ص٣٨١.

(٦) انظر: المشكلات السلوكية، نبيه الغبرة، ص٢٠.

سن متأخرة، فيصعب عليه تركها، ويخطئ بعض المربين إذ تعجبهم بعض الكلمات المحرمة على لسان الطفل فيضحكون منها، وقد تكون كلمة نابية، وقد يفرحون بسلوك غير حميد لكونه يحصل من الطفل الصغير وهذا الإعجاب يكون العادة من حيث لا يشعرون

وترجع أهمية التربية بالعادة إلى أن حسن الخلق بمعناه الواسع يتحقق من وجهين، (الأول): الطبع والفطرة، و(الثاني): التعود والمجاهدة، ولما كان الإنسان مجبولاً على الدين والخلق الفاضل كان تعويده عليه يرسخه ويزيده[1].

ولكى نعود الطفل على العبادات والعادات الحسنة يجب أن نبذل الجهود المختلفة ليتم تكرار الأعمال والمواظبة عليها بالترغيب والترهيب والقدوة والمتابعة وغيرها من الوسائل التربوية[2].

(ثالثاً): التربية بالإشارة:

تستخدم التربية بالإشارة في بعض المواقف كأن يخطئ الطفل خطأ أمام بعض الضيوف أو في مجمع كبير، أو أن يكون أول مرة يصدر منه ذلك، فعندها تصبح نظرة الغضب كافية أو الإشارة خفية بإلىد، لأن إيقاع العقوبة قد يجعل الطفل معانداً لأن الناس ينظرون إلىه، ولأن بعض الأطفال يخجل من الناس فتكفيه الإشارة، ويستخدم كذلك مع الطفل الأديب المرهف الحس.

ويدخل ضمنه التعريض بالكلام فيقال: إن طفلاً صنع كذا وكذا وعمله عمل ذميم، ولو كرر ذلك لعاقبته، وهذا الأسلوب يحفظ كرامة الطفل ويؤدب بقية أهل البيت ممن يفعل الفعل نفسه دون علم المربي[3].

(رابعاً): التربية بالموعظة وهدي السلف فيها:

---

(١) انظر: إحياء علوم الدين، الغزإلى، ٣/٥٨-٥٩.

(٢) انظر: منهج التربية الإسلامية، محمد قطب، ص٣٨١.

(٣) انظر: من أسإلىب الرسول صلى الله عليه وسلم في التربية: نجيب العامر، ص٣٠.

تعتمد الموعظة على جانبين الأول بيان الحق وتعرية المنكر، والثاني إثارة الوجدان، فيتأثر الطفل بتصحيح الخطأ وبيان الحق وتقل أخطاؤه[1]. وأما إثارة الوجدان فتعمل عملها لأن النفس فيها استعداد للتأثر بما يلقى إليها[2] والموعظة تدفع الطفل إلى العمل المرغب فيه

ومن أنواع الموعظة:

١-الموعظة بالقصة، وكلما كان القاص ذا أسلوب متميز جذاب استطاع شد انتباه الطفل والتأثر فيه، وهو أكثر الأساليب نجاحاً[3].

٢-الموعظة بالحوار تشد الانتباه وتدفع الملل إذا كان العرض حيوياً[4]. وتتيح للمربي أن يعرف الشبهات التي تقع في نفس الطفل فيعالجها بالحكمة.

٣-الموعظة بضرب المثل الذي يقرب المعنى ويعين على الفهم.

٤-الموعظة بالحدث فكلما حدث شئ معين وجب على المربي أن يستغله تربوياً، كالتعليق على مشاهد الدمار الناتج عن الحروب والمجاعات ليذكر الطفل بنعم الله، ويؤثر هذا في النفس لأنه في لحظة انفعال ورقّة فيكون لهذا التوجيه أثره البعيد[5].

وهدي السلف في الموعظة: الإخلاص والمتابعة، فإن لم يكن المربي عاملاً بموعظته أو غير مخلص فيها فلن تفتح له القلوب[6].

ومن هديهم مخاطبة الطفل على قدر عقله والتلطف في مخاطبته ليكون أدعى

---

(١) انظر: تربية الأولاد في الإسلام، عبدالله ناصح علوان،٢/٦٤٥.

(٢) انظر: منهج التربية الإسلامية، محمد قطب: ص١٨٧.

(٣) انظر: أساليب التربية الإسلامية، عبدالوهاب البابطين، ص٤٨.

(٤) انظر: أصول التربية، عبدالرحمن النحلاوي، ص٢٠٦.

(٥) انظر: منهج التربية الإسلامية، محمد قطب: ص٣٨٧.

(٦) انظر: تربية الأولاد في الإسلام، عبدالله ناصح علوان، ٢/٦٨٦.

للقبول والرسوخ في نفسه[1]. كما أنه يحسن اختيار الوقت المناسب فيراعي حالة الطفل النفسية ووقت انشراح صدره وانفراده عن الناس، وله أن يستغل وقت مرض الطفل لأنه في تلك الحال يجمع بين رقة القلب وصفاء الفطرة[2]. وأما وعظه وقت لعبه أو أماما الأباعد فلا يحقق الفائدة.

ويجب أن يحذر المربي من كثرة الوعظ فيتخول بالموعظة ويراعي الطفل حتى لا يمل،ولأن تأثير الموعظةمؤقت فيحسن تكرارها، مع تباعد الأوقات

(خامساً): التربية بالترهيب والترغيب وضوابطها:

الترهيب والترغيب من العوامل الأساسية لتنمية السلوك وتهذيب الأخلاق وتعزيز القيم الاجتماعية[3].

المبحث الأول: الترغيب

ويمثل دوراً مهماً وضرورياً في المرحلة الأولى من حياة الطفل؛ لأن الأعمال التي يقوم بها لأول مرة شاقة تحتاج إلى حافز يدفعه إلى القيام بها حتى تصبح سهلة[4]، كما أن الترغيب يعلمه عادات وسلوكيات تستمر معه ويصعب عليه تركها.

---

(١) انظر: منهج التربية الإسلامية، محمد نور سويد، ص٣٣٥-٣٣٦.

(٢) انظر: منهج التربية الإسلامية، محمد قطب: ص١٨٧.

(٣) انظر: الثواب والعقاب، أحمد على بديوي، ص٦١.

(٤) انظر: منهج التربية الإسلامية، محمد قطب: ص١٨٧.

والترغيب نوعان: معنوي ومادي، ولكل درجاته فابتسامة الرضا والقبول، والتقبيل والضم والثناء جميع الأعمال التي تبهج الطفل هي ترغيب في العمل ويرى بعض التربويين أن تقديم الإثابة المعنوية على المادية أولي؛ حتى نرتقي بالطفل عن حب المادة[1]، وبعضهم يرى أن تكون الإثابة من جنس العمل؛ فإن كان العمل مادياً نكافئه مادياً والعكس[2].

وهناك ضوابط خاصة تكفل للمربي نجاحه ومنها:

*أن يكون الترغيب خطوة أولى يتدرج الطفل بعدها إلى الترغيب فيما عند الله من ثواب دنيوي وأخروي، فمثلاً يرغب الطفل في حسن الخلق بالمكافأة ثم يقال له: أحسن خلقك لأجل أن يحبك والدك وأمك، ثم يقال ليحبك الله ويرضى عنك، وهذا التدرج يناسب عقلية الطفل[3].

*ألا تتحول المكافأة إلى شرط للعمل، ويتحقق ذلك بألا يثاب الطفل على عمل واجب كأكله وطعامه أو ترتيبه غرفته، بل تقتصر المكافأة على السلوك الجديد الصحيح[4]. وأن تكون المكافأة دون وعد مسبق، لأن الوعد المسبق إذا كثر أصبح شرطاً للقيام بالعمل.

*أن تكون بعد العمل مباشرة[5]، في مرحلة الطفولة المبكرة، وإنجاز الوعد حتى لا يتعلم الكذب وإخلاف الوعد، وفي المرحلة المتأخرة يحسن أن نؤخر المكافأة بعد وعده ليتعلم العمل للآخرة ولأنه ينسى تعب العمل فيفرح بالمكافأة.

---

(١) انظر: الثواب والعقاب، أحمد على بديوي، ص٣٧٤.

(٢) انظر: أخطاء شائعة، أم حسان الحلو، ص٦٤.

(٣) انظر: منهج التربية الإسلامية، محمد قطب:ص ٣٧٧-٣٧٨.

(٤)انظر: الثواب والعقاب، أحمد على بديوي، ص ٦١-٦٢.

(٥) انظر: أخطاء تربوية شائعة، أم حسان الحلو، ص٦٧، والمشكلات السلوكية، نبيه الغبرة ص ١٣.

المبحث الثاني: الترهيب

أثبتت الدراسات الحديثة حاجة المربي إلى الترهيب، وأن الطفل الذي يتسامح معه والده يستمر في إزعاجهما[1]. والعقاب يصحح السلوك والأخلاق، والترهيب له درجات تبدأ بتقطيب الوجه ونظرة الغضب والعتاب وتمتد إلى المقاطعة والهجر والحبس والحرمان من الجماعة أو الحرمان المادي والضرب وهو آخر درجاتها.

ويجدر بالمربي أن يتجنب ضرب الطفل قدر الإمكان، وإن كان لابد منه ففي السن التي يميز فيها ويعرف مغزى العقاب وسببه [2].

وللترهيب ضوابط منها:

*أن الخطأ إذا حدث أول مرة فلا يعاقب الطفل بل يعلم ويوجه[3].

*يجب إيقاع العقوبة بعد الخطأ مباشرة مع بيان سببها وإفهام الطفل خطأ سلوكه؛ لأنه ربما ينسى ما فعل إذا تأخرت العقوبة[4].

*إذا كان خطأ الطفل ظاهراً أمام إخوانه وأهل البيت فتكون معاقبته أمامهم؛ لأن ذلك سيحقق وظيفة تربوية للأسرة كلها[5].

*إذا كانت العقوية هي الضرب فينبغي أن يسبقها التحذير والوعيد، وأن يتجنب

---

(١) انظر: حديث الأمهات، سبوك، ص٢٥-٢٦.

(٢) انظر: مسؤولية الأب المسلم في تربية الولد، عدنان باحارث، ص٨٦.

(٣) انظر: كيف نربي طفلاً، محمد زياد حمدان، ص٣٢-٣٦.

(٤) انظر: الثواب والعقاب، أحمد على بديوي، ص٦٣-٦٤.

(٥) انظر: أسإلىب الرسول(صلى اللع عليه وسلم) في التربية، نجيب العامر، ٣٣.

الضرب على الرأس أو الصدر أو الوجه أو البطن، وأن تكون العصا غير غليظة[1]. ومعتدلة الرطوبة، وأن يكون الضرب من واحدة إلى ثلاث إذا كان دون البلوغ، ويفرقها فلا تكون في محل واحد، وإذا ذكر الطفل ربه واستغاث به فيجب إيقاف الضرب[2]، لأنه بذلك يغرس في نفس الطفل تعظيم الله.

*ويجب أن يتولى المربي الضرب بنفسه حتى لا يحقد بعضهم على بعض[3].

*ألا يعاقبه حال الغضب لأنه قد يزيد في العقاب[4].

*أن يترك معاقبته إذا أصابه ألم بسبب الخطأ ويكفي بيان ذلك[5].

المبحث الثالث: ضوابط التربية بالترغيب والترهيب:

وهذه الضوابط –بإذن الله –تحمي الطفل من الأمراض النفسية والانحرافات الأخلاقية والاختلالات الاجتماعية، وأهم هذه الضوابط:

١ـ الاعتدال في الترغيب والترهيب:

لعل أكثر ما تعانيه الأجيال كثرة الترهيب والتركيز على العقاب البدني، وهذا يجعل الطفل قاسياً في حياته فيما بعد أو ذليلاً ينقاد لكل أحد[6]. ولذا ينبغي أن يتدرج في العقوبة؛ لأن أمد التربية طويل وسلم العقاب قد ينتهي بسرعة إذا بدأ المربي بآخره وهو الضرب[7]، وينبغي للمربي أن يتيح للشفعاء فرصة الشفاعة والتوسط للعفو عن الطفل ويسمح له بالتوبة ويقبل منه[8]، كما أن الإكثار من الترهيب قد

---

(١) انظر: تربية الأولاد في الإسلام، عبدالله ناصح علوان، ٢/٧٢٧-٧٢٨.

(٢) انظر: التربية، للأهواني، ١٣٥، نقلاً عن منهج التربية النبوية، محمد نور سويد، ٣٢٧.

(٣) انظر: تربية الأولاد في الإسلام، عبدالله ناصح علوان، ٢/٧٢٧-٧٢٨.

(٤) انظر: كيف نربي طفلاً، محمد زياد حمدان، ص٣٢-٣٦.

(٥) انظر: المرجع السابق.

(٦) انظر: مقدمة ابن خلدون، ص٥٠٨.

(٧) انظر: منهج التربية الإسلامية، محمد قطب: ص٣٧٩.

(٨) انظر: تربية الأولاد في الإسلام، عبدالله ناصح علوان، ٢/٧٢٧-٧٢٨.

يكون سبباً في تهوين الأخطاء والاعتياد على الضرب[١]، ولذا ينبغي الحذر من تكرار عقاب واحد بشكل مستمر وكذلك إذا كان أقل من اللازم.

وعلى المربي ألا يكثر من التهديد دون العقاب؛ لأن ذلك سيؤدي إلى استهتاره بالتهديد فإذا أحس المربي بذلك فعليه أن ينفذ العقوبة ولو مرة واحدة ليكون مهيباً[٢].

والخروج عن الاعتدال في الإثابة يعود على الطمع ويؤدي إلى عدم قناعة الطفل إلا بمقدار أكثر من السابق[٣].

كما يجب على المربي أن يبتعد عن السب والشتم والتوبيخ أثناء معاقبته للطفل[٤]، لأن ذلك يفسده ويشعره بالذلة والمهانة[٥]، وقد يولد الكراهية[٦]. كما أن على المربي أن يبين للطفل أن العقاب لمصلحته لا حقداً عليه[٧].

وليحذر المربي من أن يترتب على الترهيب والترغيب الخوف من المخلوقين خوفاً يطغى على الخوف من الخالق سبحانه، فيخوف الطفل من الله قبل كل شئ، ومن عقابه في الدنيا والآخرة، وليحذر أن يغرس في نفسه مراعاة نظر الخلق والخوف منهم دون مراقبة الخالق والخوف من غضبه[٨]. وليحذر كذلك من تخويف الطفل بالشرطي أو الطبيب أو الظلام أو غيرها؛ لأنه يحتاج إلى هؤلاء؛ ولأن خوفه منهم يجعله جباناً.

وبعض المربين يكثر من تخويف الطفل بأن الله سيعذبه ويدخله النار ولا يذكر أن الله يرزق ويشفي ويدخل الجنة فيكون التخويف أكثر مما يجعل الطفل لا يبالي بذكره

---

(١) انظر: منهج التربية النبوية، محمد نور سويد، ص٢٧.

(٢) انظر: منهج التربية الإسلامية، محمد قطب، ص ٣٨٠.

(٣) انظر: كيف نجعل من الطفل رجل المستقبل، بهية أبو سبيت، ص٢٠.

(٤) انظر: مشكلات تربوية، محمد رشيد العويد، ص٣٢-٣٦.

(٥) انظر: كيف نربي طفلاً، محمد زياد حمدان، ص٣٤.

(٦) انظر: التربية الإسلامية، سليمان الحقيل، ص٦١.

(٧) انظر: تربية الأولاد في الإسلام، عبدالله ناصح علوان، ٢/٧٢٧-٧٢٨.

(٨) انظر: من أخطائنا في تربية أولادنا، محمد السحيم، ١٢-١٧، ٧٢-٧٦.

النار لكثرة ترديد الأهل "ستدخل النار" أو "سيعذبك الله لأنك فعلت ذلك"، ولـــذا يحسن أن نوازن بين ذكر الجنة والنار، ولا نحكم على أحد بجنة أو نار، بل نقـــول إن الذي لا يصلى لا يدخل الجنة ويعذب بالنار

٢ـمراعاة الفروق الفردية:

تتجلى حكمة المربي في اختياره للأسلوب التربوي المناسب من أوجه عدة منها:

*أن يتناسب الترهيب والترغيب مع عمر الطفل، ففي السنتين الأولى والثانيـــة يكون تقطيب الوجه كافياً عادة أو حرمانه من شئ يحبه، وفي السنة الثالثة حرمانه من ألعابه التي يحبها أو من الخروج إلى الملعب[١].

*أن يتناسب مع الخطأ، فإذا أفسد لعبته أو أهملها يحرم منها، وإذا عبث في المنزل عبثاً يصلح بالترتيب كلف بذلك، ويختلف عن العبث الذي لا مجال لإصلاحه[٢].

*أن يتناسب مع شخصية الطفل، فمن الأطفال من يكون حساساً ليناً ذا حيـــاء يكفيه العتاب، ومنهم من يكون عنيداً فلا ينفع معه إلا العقاب[٣]. ومنهم من حرمانه من لعبة أشد من ضربه ومنهم من حرمانه من أصدقائه أشد من حرمانه من النقود أو الحلوى.

*أن يتناسب مع المواقف، فأحياناً يكون الطفل مستخفياً بالخطأ فيكون التجاهل والعلاج غير المباشر هو الحل الأمثل، وإن عاد إليه عوقب سراً؛ لأنه إن هتك ستره نزع عنه الحياء فأعلن ما كان يسر[٤].

وقد يخطئ الطفل أمام أقاربه أو الغرباء فينبغي أن يكون العقاب بعـــد انفـــراد

---

(١) انظر: المشكلات السلوكية، نبيه الغبرة، ص٦٥.

(٢) انظر: المرجع السابق، ص٦٣.

(٣) انظر: منهج التربية الإسلامية، محمد قطب: ص٣٧٢.

(٤) انظر: إحياء علوم الدين، الغزالي، ٣/٧٠.

الطفل عنهم؛ لأن عقابه أمامهم يكسر نفسه فيحس بالنقص[1]. وقد يعاند ويزول حياؤه من الناس.

*المراوحة بين أنواع الثواب والعقاب؛ لأن التكرار يفقد الوسيلة أثرها[2].

*مراعاة الفروق الفردية في التربية فالولد البالغ أو المراهق يكون عقابه على انفراد؛ لأنه أصبح كبيراً ويجب أن يحترمه إخوانه الصغار، ويعاتب أمامهم عتاباً إذا كان الخطأ معلناً؛ لأن تأنيبه والقسوة عليه في الكلام يحدثان خللاً في العلاقة بين المراهق والمربي[3]. ويكون ذلك أوجب في حق الولد البكر من الذكور؛ لأنه قدوة، وهو رجل البيت إذا غاب والده أو مرض أو مات.

*ومن الفروق الفردية جنس الطفل، فالبنت يكفيها من العقاب مالا يكفي الذكر عادة لأن جسدها ضعيف وهي تخاف أكثر وتنقاد بسهولة

تتعدد وسائل التربية وتشمل جميع المؤثرات في سلوك الطفل، وتجتمع كل هذه الجداول وتلتقي لتربي الطفل[4]. وقد مر ذكر بعض هذه الوسائل ضمن ما سبق، ولذا سنعرض أهمها مفصلة وهي:

أولاً: التربية بالقدوة وكيف نربط الطفل بها:

يحس الطفل بالحاجة إلى الانضواء تحت راية كائن مرموق، فيتجه إلى الاقتداء بالوالدين أو الإخوة أو المعلمين أو الأصدقاء، ثم يتحول الاقتداء إلى عملية فكرية يمتزج فيها الوعي والانتماء بالمحاكاة والاعتزاز، ويظل محتاجاً إلى القدوة في كل

---

(١) انظر: تذكرة الآباء، عمر بن أحمد الحلبي، ص٦٢، وكيف يربي المسلم ولده، محمد مولوي ص٢٤٧-٢٤٨.

(٢) انظر: منهج التربية الإسلامية، محمد قطب: ص٣٧٨.

(٣) انظر: تذكرة الآباء، عمر بن أحمد الحلبي، ص٦٢، وكيف يربي المسلم ولده: محمد مولوي ص٢٤٧-٢٤٨.

(٤) انظر: التوجيه غير المباشر، عبدالله بن حميد، ص٨٠.

مراحل حياته[1].

والاقتداء من أعظم عوامل الإصلاح إضافة إلى أنه يشبع الحاجة الغريزية المذكورة آنفاً[2]؛ لأن الطفل لديه قدرة عجيبة على المحاكاة بوعي أو بغير وعي[3]، وهو يعتقد أن كل مايفعله الكبار صحيح من آباء وأمهات وأجداد وجدات وإخوة كبار، إذ هم أكمل الناس عنده.

ويوصي علماء التربية بالاهتمام بتربية الولد البكر ذكراً كان أم أنثي، لأن إخوته يقلدونه ويتأثرون به[4].

وعلى الوالدين أن يحققا إسلامهما في كل صغيرة وكبيرة ليتربى ولدهما تربية إسلامية[5]. وإذا كان أحدهما مبتلى بمعصية أو بدعة فعليه أن يستخفي بها عن أولاده كالتدخين وشرب المسكر وترك الصلاة وغيرها.

وكلما كبر الطفل تعدد الأشخاص الذين ينالون إعجابه ويقتدي بهم كالرفقة والمعلم والجار، وقد تكون بيئة الطفل واسعة، فيها الجد والجدة والذين يؤثران في سلوك الطفل لعلاقتهما الحميمة به، كما أن وجود الخدم والمربيات واهتمامهم بالطفل يجعله مقتدياً بهم، يقتبس من سلوكهم حسب محبته لهم واختلاطه بهم[6].

ولا بد أن يربط المربي ولده بالقدوة الأول صلى الله عليه وسلم وصحبه فيعلمه اليسر والمغازي وما تتضمنه من قصص نبوي، ويعلمه السنن والأخلاق[7]. وإذا

---

(١) انظر: أصول التربية الإسلامية، عبدالرحمن النحلاوي، ص٢٥٧.

(٢) انظر: تربية الأولاد في الإسلام، عبدالله علوان، ٦٣٢/٢.

(٣) انظر: منهج التربية الإسلامية، محمد قطب: ص٣٥٣.

(٤) انظر: تربية الأولاد في الإسلام، عبدالله علوان. ٦٣٢/٢، وأخلاق المسلم: محمد سعيد مبيض، ص١١. ص١١.

(٥) انظر: منهج التربية النبوية، محمد نور سويد، ص٣١٣.

(٦) انظر: دور البيت المسلم في تربية الطفل المسلم، خالد الشنتوت، ص٤٢-٤٣.

(٧) انظر: تربية الأولاد في الإسلام، عبدالله علوان، ٦٣٠/٢-٦٣١.

أرشده إلى خلق ذكره بأنه خلق نبوي، ليرتبط به وجدانياً وسلوكياً.

ومن الخطأ أن يعجب الوالدان بتقليد ولدهما للاعب أو ممثل أو مغن ولو كان ذلك التقليد طريفاً؛ لأن هذا يغرس محبة القدوة السيئة في نفس الطفل دون شعور الوالدين، ومن الخطأ كذلك شراء الملابس أو الأدوات التي تحمل صور المنحرفين أو أسماءهم أو ألبستهم الخاصة لأن هذا يورث الاقتداء بهم[1].

ثانياً: الجليس الصالح ومسئولية المربي نحو الاختيار الصحيح:

يحقق الجليس حاجة اجتماعية ونفسية فالطفل يميل إلى رفقة يلعب كل منهم منفرداً في منتصف السنة الرابعة وبعدها يميل كل منهم إلى اللعب الجماعي[2]. وكلما كبر الطفل احتاج إلى وقت أطول يقضيه مع رفقته ليبدأ استقلاله عن والديه، وأما في المراهقة فالرفقة من أهم الحاجات النفسية والاجتماعية التي لا يستغني عنها المراهق[3].

وأهم الشروط أن تكون مجموعة الرفاق مناسبة لسن الطفل العقلية والجسدية لأن الطفل إذا كان أصغر منهم يتحول إلى تابع مقلد وإذا كان أكبر أحس بالمسؤولية عنهم وعن حمايتهم وليس معني هذا ألا يلعب إلا مع رفقة في سنه، ولكن لا يقحم دائماً في مجموعات أصغر أو أكبر منه[4]. ومن شروط الرفقة أن تكون صالحة فيعمل المربي على تحبيب ولده في الأخيار ويختار السكن حول جيران مستقيمين، ويربط ولده بحلق التحفيظ والمراكز الصيفية والمكتبات[5]. ويوثق علاقته بالصالحين من أقاربه وأصدقائه[6]. وبذلك يتيح لولده فرصة اختيار رفاق صالحين.

---

(١) انظر: من أخطائنا في تربية أولادنا، محمد السحيم، ص٨٨-٨٩.

(٢) انظر: نمو الطفل وتنشئته، فوزية دياب، ص١٠٤-١٠٦.

(٣) انظر: المراهقون: عبدالعزيز النغيمشي، ص٦٢.

(٤) انظر: نمو الطفل وتنشئته، فوزية دياب، ص١٠٤-١٠٦.

(٥) انظر: المراهقون: عبدالعزيز النغيمشي، ص٧٥-٨١.

(٦) انظر: تربية الأولاد في الإسلام، عبدالله ناصح علوان، ٨١١/٢.

وليحذر المربي من الوقوف موقف العداء من صديق يميل إليه ولده؛ لأن الطفل يتمسك به أكثر، فإن كان صالحاً أو من عائلة صالحة فعليه أن يوثق هذه العلاقة بالترحيب به في بيته وزيارة أهله والاشتراك في نزهة أو رحلة[1]. والسماح لهما بتبادل الزيارات والرسائل والمكالمات الهاتفية، وأما إن كان سيئاً فعلى المربي أن يبين سوء سلوكه ويتيح لولده فرصة عقد صداقات جديدة دون أن يشعر حتى يتخلص من صديق السوء أو يقل تأثيره على الأقل.

ويخطئ بعض المربين حين يمنع ولده من أي صداقة حتى إذا كبر عقد صداقات سيئة كان يمكن للمربي أن ينأى بولده عنها لو أتاح له فرصة عقده صداقات صالحة في سن مبكرة.

ثالثاً: الإفادة من العلم الحديث ومخترعاته:

أصبحت مخترعات العلم الحديث تشارك في تربية الصغار والكبار، ويكمن خطرها في أنها تنقل للبيوت عادات وتقاليد وعقائد مخالفة للإسلام وعادات المجتمع المسلم[2]. وتؤثر في الصغار؛ لأنهم يجلسون أمامها مدة طويلة وهم في حالة نفسية مناسبة لتلقي ما يعرض عليهم[3].

ومن أهم هذه المخترعات التلفاز وواقعة اليوم وما يعرض فيه يجعل المربي يبعده عن بيته، فإن لم يكن موجوداً أصلاً في البيت فلا يدخله، وإن كان موجوداً والأبناء متعلقون به فلابد من إيجاد بدائل كالرحلات أو المسابح الصغيرة أو الألعاب والدراجات، إذا وجد مكان للعب، وإلحاقهم بحلق التحفيظ، ثم على المربي أن يحول التلفاز إلى وسيلة بناءة عن طريق ربطه بالفيديو أو الحاسوب مع الضبط والحزم في

---

(١) انظر: أولادنا في ضوء التربية الإسلامية، محمد على قطب، ص١٠٠.

(٢) انظر: أخلاق المسلم، محمد سعيد مبيض، ص٩.

(٣) انظر: أبناؤنا بين وسائل الإعلام وأخلاق الإسلام، مني حداد، ص١٠٨.

تنظيم الوقت واختيار الأشرطة[١].

(١) الحاسوب: ويمتاز عن بقية الوسائل بأنه ينشط الفكر ويقوي الثقة بالنفس والاعتماد على النفس، والمنافسة، فالطفل يشارك مشاركة إيجابية ويقوده ولا يسايره مثل التلفاز أو الفيديو[٢]. ويشترط فيه أن يكون الاستخدام التعليمي والتربوي في المقام الأول، فيتعلم الكتابة والتخزين ويشاهد المسابقات العلمية والموسوعات، والرسم والتصميم وغيرها. ولكن ينبغي الحذر من الإفراط في التعامل مع الحاسوب حفاظاً على صحة الطفل[٣]. وتجنب اللعب لمجرد الإثارة وإضاعة الوقت والجهد[٤].

(٢) الفيديو: وهو أوسع مجالاً من التلفاز ويمكن التحكم في مواده وفي أوقات العرض، ويصبح خطراً جسيماً إذا لم يخضع لرقابة صارمة أو كان استخدامه بإفراط، ولذا فإن على المربي أن يختار الأشرطة العلمية والتربوية اختياراً دقيقاً ويحزم في ضبط وقت المشاهدة[٥]. وكذلك يضمن أن الأهل لن يروا شيئاً سيئاً.

(٣) المسجل: أهم ما يربي الطفل على سماع القرآن الكريم فيتأثر بمعانيه ويحفظ شيئاً منه، وكذلك الأشرطة والأناشيد والقصص وغيرها[٦].

(٤) الوسائل التعليمية: ويكثر استخدامها في عملية التعلم ويمكن أن تسهم في التربية، ولذا فلابد من الاطلاع على ما يستجد منها عن طريق المجلات والكتب والهيئات[٧]. ويشترط فيها التنوع والوضوح والإثارة والتشويق ومناسبتها لسن

---

(١) انظر: دور البيت في تربية المسلم، خالد الشنتوت، ص١٢٤-١٢٥، ومسؤولية الأب المسلم في تربية الولد، عدنان باحارث، ص٥٠٥-٥٠٧.

(٢) انظر: دور البيت في تربية الطفل المسلم، خالد الشنتوت، ص١٧١-١٧٢.

(٣) انظر: مسؤولية الأب المسلم في تربية الولد، عدنان باحارث، ص٥٠٥-٥٠٧.

(٤) انظر: برنامج عملي لتربية الأسرة المسلمة، آمنة إلىحيي، ص٢٤.

(٥) انظر: الأطفال والشاشة الصغيرة، عدنان باحارث، ص٣١-٣٢.

(٦) انظر: ٤٠ نصيحة لإصلاح البيوت، محمد المنجد، ص٢٥-٢٨.

(٧) انظر: كيف نستخدم الوسائل التعليمية، جمعية تعلىم الكبار، ص٥٨.

الطفل[1]. وهذه الوسائل منها البصرية كاللوحات الموحية بالمبادئ والمثل، وصور الأماكن المقدسة، والمتاحف التي تعرض أمجاد الأمة ومجلات الأطفال الهادفة والقصص المصورة، هذا بالإضافة إلى ماسبق من وسائل سمعية، وبصرية وسمعية في آن واحد.

رابعاً: الإفادة من البيئة وعلم الوراثة والاستعانة بها في اختيار الزوجة:

تلعب الوراثة دوراً مهماً في تكوين شخصية الطفل قبل ميلاده[2]. والوراثة تشمل النواحي الجسدية والصحية والنفسية، وهذا يعني أنها ذات أثر في نقل وتوارث السجايا والطبائع، ولذا أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم أن النساء يلدن أشباه آبائهم وإخوانهم، وحذر من المرأة الحسناء في المنبت السوء.

وقد شاع بين الناس الحديث الذي ينهي عن زواج الأقارب، وعند التحقيق وجد أن الحديث من كلام عمر – رضي الله عنه–[3]. وفي حالة خاصة عند قوم رآهم ضعافاً. وبعض الأطباء قرر أن زواج الأقارب يؤدي إلى الضعف وظهور الأمراض الوراثية[4]. ولكن الكشف الصحي على الزوجين يبين مدى صلاحية كل منهم للآخر.

ويستطيع المربي تدارك آثار الوراثة السلبية بالتوجيه والتقويم أو التخفيف من هذه الآثار[5]. بل ويستطيع تحويل الطبيعة السيئة إلى خلق حسن، فالوقاحة يمكن أن تتحول إلى جرأة في الحلق، وغير ذلك.

أما البيئة فتشمل البيت والمدرسة والشارع والمجتمع كله، وإذا أردنا أن ينشأ

---

(١) انظر: الوسائل التعليمية، عند المحسن أبانمي، ص٧٧–٧٨.

(٢) انظر: منهج التربية الإسلامية، محمد قطب، ص٣٢٥.

(٣) انظر: تربية الأولاد في الإسلام، عبدالله ناصح علوان، ٤٤/١.

(٤) انظر: كيف يربي المسلم ولده، محمد سعيد مولوي، ص٩٤، وكيف نربي أولادنا إسلامياً، محي الدين عبدالحميد، ص٣٠.

(٥) انظر: منهج التربية الإسلامية، محمد قطب، ص٣٢٦.

الطفل نشأة إسلامية فعلىنا أن نهيئ له البيئة الصالحة التي تظهر شعائر الدين[١]. ولذا ورد النهي عن الإقامة بين المشركين، وننصح من ابتلي بالعمل أو الدراسة في بلاد الكفر أن يسكن ضمن تجمعات سكنية مسلمة، تظهر فيها شعائر الإسلام ويحافظ فيها على الحشمة والحياء، وهذا يساعد البيت على أداء رسالته في التربية.

خامساً: الإفادة من الدوافع الفطرية:

تسهم الدوافع الفطرية في تربية الطفل إذا أحسن المربي استخدامها وراعى فيها التوازن والاعتدال ومنها:

(١) الاستهواء: ويشترط أن يكون لصالح الطفل فلا يوحي إليه المربي بما يجعله جباناً كالوحوش والأشباح وغيرها، مع الاعتدال؛ لأن كثرة الإيحاء للطفل يجعله تابعاً لغيره، منقاداً، ويقضي على استقلاليته[٢]. ولكي ينجح المربي في الإيحاء لابد من الصدق وأن يكون متصفاً بما يدعو إليه كالشجاعة أو الصبر، وأن يكون ماهراً في عرض الفكرة وأن تكون رنة الصوت مؤثرة [٣]. وعلى المربي أن يحذر من وقوع طفله تحت مظلة الفسق عن طريق إعجابه بالمغنين والممثلين، ولذا عليه أن ينفره منهم ويزرع في نفسه كراهيتهم[٤].

(٢) اللعب: ومنه يتعلم القدرة على التفكير والمهارات المختلفة[٥]. أما اللعب الجماعي فيشكل مدرسة يتعلم منها فن القيادة والطاعة والالتزام والمعايير السلوكية[٦].

---

(١) انظر: المرجع السابق ٣٣٠.

(٢) انظر: كيف نربي أطفالنا، محمود الأستانبولي، ص١٤٧-١٤٨.

(٣) انظر: المرجع السابق.

(٤) انظر: منهج التربية الإسلامية، محمد قطب، ص ٤٨٠.

(٥) انظر: برنامج عملي لتربية الأسرة، آمنة إلىحيي، ص٢٣.

(٦) انظر: الأسرة والطفولة، زيدان عبدالباقي، ص٢٥٠-٢٥٥.

كما يتدرب على أداء دوره المستقبلي[١]. فالذكر يمثل الأب أو المدرس أو الطبيب أو غيرهم، والفتاة تمثل دور الأم أو أي مهنة تناسبها، ولكن يجب التوازن بين اللعب الجماعي والفردي حتى يبعد الطفل عن الانطواء، ويتعلم أسلوب التعامل مع الآخرين واحتمال الأذى[٢].

(٣) التقليد: ويعد من وسائل تكوين العادات والآداب الاجتماعية، وذلك بوجود القدوة التي يقلدها الطفل[٣]. ويسهل تعليم الطفل الآداب الاجتماعية إذا كان المربي نفسه متحلياً بهذه الآداب بشكل دائم وإذا عود الطفل على الجرأة[٤]. ويبدأ التقليد عند الطفل في آخر السنة الأولى[٥]. ويكون تقليداً غير واع ثم يصبح اقتداء يمتزج فيه الوعي بالانتماء والمحاكاة والاعتزاز[٦]. ويمكن أن يكون علاجاً للخوف إذا وجد المربي الشجاع واختلط بأقران لا يخافون[٧]. ويستفاد من التقليد في تناول الدواء والطعام وفي علاج الكسل وكثير من السلبيات.

(٤) التنافس البناء: يحرك في الطفل مشاعر وطاقات لا تظهر إلا بالتنافس[٨]. ويستطيع المربي أن يحول المنافسة إلى وسيلة تربوية إذا راعى فيها أن يكون الأطفال المتنافسون بينهم فروق يسيرة، وأن يعودهم على احترام بعضهم وتهنئة الفائزين منهم[٩]. وليحذر من المقارنة التي تحط من قدر الطفل أو أن يستخدمها كعقاب فيزرع المرارة في نفسه، وعند استخدام المقارنة يجب أن يكون لتذكير الطفل من هو

---

(١) انظر: المرجع السابق، ومسئولية الأب في تربية الولد، عدنان باحارث، ص٤٢٢.

(٢) انظر: تربية الأطفال في رحاب الإسلام، محمد الناصر وخولة درويش، ص١٤٨.

(٣) انظر: المشكلات السلوكية، نبيه الغبرة، ص١٥١-٢٧.

(٤) انظر: حديث إلى الأمهات: سبوك، ص٧٢.

(٥) انظر: المشكلات السلوكية، نبيه الغبرة، ص٢٦.

(٦) انظر: أصول التربية الإسلامية، عبدالرحمن النحلاوي، ص٢٥٨-٢٦٠.

(٧) انظر: المشكلات السلوكية، نبيه الغبرة، ص١٥١.

(٨) انظر: منهج التربية النبوية، محمد نور سويد، ص٣٤٧.

(٩) انظر: كيف نربي أطفالنا، محمود زياد الإستانبولي، ص١٤٣.

أفضل منه وفي نفس الوقت تزرع الثقة بأن نقارنه بمن هو أدنى منه[1]. وكل ذلك باعتدال واتزان.

(٥) التعاون: يميل الطفل إلى اللعب الجماعي في عامه الرابع[2]. فيحسن بالوالدين استغلال هذا الميل الفطري، وذلك في عدة أمور كالأكل الجماعي والتعاون على حمل الأغراض أو الترتيب، ويتعلم من خلال العمل الجماعي قيماً عليا كالرحمة بالصغير وتكليفه بما يناسبه من العمل، والجد والمسابقة للعمل، والإيثار والمحبة، والتعاون له آثاره المشاهدة كسرعة إنجاز العمل وسهولته، ومن ذلك حمل الأواني وترتيب الألعاب والغرف ومساعدة الوالدة.

(١) انظر: كيف نربي طفلاً، محمد زياد حمدان، ص٣٦-٣٩.

(٢) انظر: المشكلات السلوكية، نبيه الغبرة، ص١٨٨-١٩٢.

المجتمع الإسلامي

من أهم القول أن نذكر أن الإسلام يستهدف، في ضوء عقيدة التوحيد لله رب العالمين التي دعا جميع الناس إلىها، إيجاد مجتمع فاضل تتعاون فيه كل القوى بحيث لا يطغى فريق على فريق، وكان أول مظهر للمجتمع الفاضل في الإسلام هو وجود "رأي عام فاضل" يتعاون على الخير ودفع الشر، ولأجل تكوين رأي عام فاضل حث الإسلام على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فأوجب الإرشاد العام ليمتنع عن ضرره ويسير الخير في طريقه؛ وذلك بإرشاد الفضلاء فتكون الجماعة في فضيلة ظاهرة تتعاون على الخير ولا تتعاون على الشر فقط.

والقرآن الكريم جعل الوصف الخاص الذي تعلو به أمة الشريعة الإسلامية هو "الأمر بالمعرف والنهي عن المنكر"؛ فالجماعة في القرآن تعد خير أمة أخرجت للناس إذا تمسكت بهذا المبدأ الذي يكون مجتمعاً فاضلاً، وفي هذا يقول الله تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾[1]. وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يؤدي إلى فساد الجماعة فقط بل يؤدي إلى تفرقها وتنابذها وبذلك ينحل "البناء الاجتماعي".

والإسلام في سبيل إيجاد المجتمع الفاضل الذي تختفي فيه الرذيلة ولا يظهر فيه إلا ما هو فاضل قد حث على أمرين:

الأول: "الحياء"، وهو أساس الائتلاف في المجتمعات، إذ الحياء يحمل المرء على ألا يظهر منه ما ينفر منه الذوق السليم، ولقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لكل دين خلق، وخلق الإسلام الحياء"، كما قال أيضاً: "الحياء خير كله"، وقال أيضاً: "إذا لم تستح فاصنع ما شئت". أي أن الحياء "قيد اجتماعي نفسي" إذا لم

(١) سورة آل عمران الآية ١١٠.

يوجد انطلقت الغرائز الإنسانية معلنة شرها لا يستتر منها ما ينبغي استناره، وأنه إذا ساد الحياء وانضبطت النفوس بضوابط من اللياقة الاجتماعية كان التآلف بين الآحاد وعدم التنافر فيكون الشخص ممن يألف ويؤلف، وأن هذه صفة المؤمن ولذلك يقول الرسول الكريم: "المؤمن ما ألف فلا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف"

ولايقوم البناء الاجتماعي إلا إذا كانت كل لبناته متآلفة يتماسك بعضها مع بعض.

الثاني: أن يكون "المجتمع نظيفاً" في مظهره فلا تظهر فيه إلا الفضائل وتستتر الجرائم، فلا تكشف أستار الجرائم أمام الناس، وقد تكون العقوبة علنية ولكن الجريمة يجب ألا يعلم أمرها إلا مع عقوبتها؛ لأن إعلانها يفسد الجو الخلقي للمجتمع ويجعل الشر ظاهراً، وظهوره يغري باتباعه ويشيع الفساد إذ الرذيلة إذا أعلنت اتبعت وكل نفس تميل إليها حين تجد ما ينمي ذلك الميل. ولذلك اعتبر الإسلام من يرتكب جريمة ويعلنها قد ارتكب جريمتين: "جريمة الارتكاب" و"جريمة الإعلان"، ومن أعلن جريمة غيره فقد شاركه في إثم ما ارتكب بمقدار ما أعلن. ولقد صرح نبي الإسلام فيما رواه "الشافعي" في مسنده: "أيها الناس من ارتكب شيئاً من هذه القاذورات فاستتر فهو في ستر الله تعالى، وإن أبدى صفحته أقمنا عليه الحد"، فالعقوبات الشديدة الغليظة في الإسلام تكاد تكون للإعلان لا لأصل الارتكاب فقط.

وعلى ذلك فإن واجب المؤمنين أن يتضافروا في إيجاد مجتمع فاضل، ولا يسكت مؤمن منهم عن الدعوة إلى الحق، بل إن التكافل الاجتماعي الخلقي يوجب عليه أن يسهم في بناء المجتمع الفاضل فيمنع شره ويدفعه إلى الخير، ولقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم المؤمن عن أن يقف على الحياد في معركة الشر والخير، بل أن عليه أن يكون عنصراً إيجابياً عاملاً.

والإسلام يحرص كل الحرص على "صيانة الدماء والأعراض والأموال" ويحقق لأهله ولمن يعيش في كنفه الأمن على هذه الضروريات ويحيطها بسياج من الرعاية

الفائقة، وحرمة الأموال في الإسلام كحرمة الدين والأعراض والدماء، والإسلام في فطرته هذه يتمشي مع الفطرة التي فطر الله الناس عليها، فحب المال غريزة أصيلة في الإنسان ومبدأ "صيانة الملكية الفردية" الملتزمة بأداء الحقوق المفروضة فيها مبدأ يقدره الإسلام بل يجعل الدفاع عنه كالدفاع عن الدين والعرض، وترك الضعيف للظالم يأخذ ماله يشجع الظلمة والبغاة على ترويع الآمنين وسلب ممتلكاتهم؛ فيشيع الرعب وتنتشر الفوضى ويعم الفساد وعقوبة الباغي وقاطع الطريق في الإسلام حاسمة لأمر البغي قاطعة لأسبابه لقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ٣٣ ﴾ [1].

وعلى الإنسان المسلم أن يقاتل دفاعاً عن ماله، فالجبن ليس من شيم المسلمين، والذلة لا يتصف بها من يؤمن بالله العزيز، والمسلم بقتاله للباغي إنما ينفذ شرع الله، ويقول الرسول الكريم: "من قتل دون ماله فهو شهيد" ذلك لأن إسقاط حق المعتدي عليه يجرئ الظالم على إشاعة الفساد والفوضى[2]. ولكي تستقيم أمور الناس في حياتهم لابد من قيام "النظام المشتمل على الأوامر والنواهي" التي تضبط سلوك الأفراد على نحو يحقق مصالحهم ويكفل سعادتهم، وهذه الأوامر والنواهي إذا قوبلت من المخاطبين بها بالطاعة العمياء ربما خضعت لأهواء الذين يصدرونها، ولذلك فقد وضع الإسلام "مواصفات وضوابط" تحدد موضع الطاعة التي أرادها الإسلام لأهله حين أوجب بعد "طاعة الله ورسوله" طاعة "ولي الأمر" والطاعة التي أوجبها الإسلام لا تقتصر على ما تميل إليه النفوس وتقبله، فقد تكون هذه الطاعة محببة توافق هوى

---

(١) سورة المائدة الآية ٣٣.

(٢) الشيخ محمود شلتوت: الإسلام عقيدة وشريعة، دار الشروق، القاهرة، الطبعة العاشرة ١٩٨٠، ص٣٢.

النفس، وقد تكون طاعة الأمر ثقيلة على النفس باهظة التكاليف لا تخلو من مشقة، وهنا موضع "الابتلاء"، والمؤمن حقاً يسارع إلى تلبية الأمر؛ لعلمه أن مصلحة عظمى تتعلق به، أدركها أو لم يدركها وليس من حقه بعد أن رضي بعقيدة الإسلام أن يتأخر في التنفيذ، ويضيع وقت القائد بالجدل العقيم، وأمر الآمر إذا بني على أصل شرعي لابد أن ينطوي على مصلحة للفرد وللجماعة وللمجتمع، فالطاعة هنا خير ورحمة ونظام وقوة، والقاعدة التي تميز الإسلام "كنظام سياسي" عن كل الأنظمة التي تؤله الأشخاص وتجعل البشر بعضهم لبعض أرباباً مؤداها: "لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق"، وقد نجد ولاة الأمور ليس لأهوائهم حد، ولربما أمروا الناس بأكل الربا أو شرب الخمر أو تعاطي القمار، والأمة المسلمة التي تتربى على هدي كتاب الله وسنة رسوله لاتسلس قيادها لأمر قبل أن تعرف معارضته الكتاب والسنة من موافقته، فإن وافقهما الأمر أخذت به ونفذته وإن خالفهما فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق كما أسلفنا، وإنما الطاعة في المعروف، ولا يظن مسلم أو مسلمة أن هذه القاعدة مقصورة على الحاكم أو رئيس الدولة، بل هي تشمل الوالدين والأكابر من كل من له ولاية عليهما أو سلطان. ففي شأن الوالدين يقول المولى عز وجل: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَاۖ وَصَاحِبۡهُمَا فِي ٱلدُّنۡيَا مَعۡرُوفٗا﴾[1]. ولا يقتصر الأمر على الصيغة المعروفة بـ "افعل أو لا تفعل" بل قد يأتي على هيئة تشريع أو قانون يناهض كتاب الله وسنة رسوله أو حكم قضائي على غير مقتضى الشرع وكل هذه الأنواع تحرم طاعتها وقبولها ويجب معارضتها وإزالتها ليكون الدين لله وتسعد الأمة في ظل شرعه؛ ذلك أن النظام ضروري لحياة الناس، وبطاعته والخضوع له تنهض الأمة وتبني كيانها، ومن هنا فإنه لا يجوز لأي شخص كائناً من كان أن يصدر أمراً أو يشرع قانوناً يخالف الشرعية كما تحرم طاعة أي أمر اصطدم بآية أو حديث صحيح، وليس للمسلم أو المسلمة حق التمرد على

(١) سورة لقمان الآية ١٥.

الأوامر والنواهي التي اشتمل عليها النظام ما دامت موافقة للكتاب والسنة[1].

وشريعة الإسلام السماوية تختلف عن القوانين الوضعية التي هي من صنع البشر، فالبون بينهما شاسع والفرق كبير، لأن القانون الوضعي يضعه للجماعة واحد من أفرادها، وإن كانت متخلفة يضعه من يتسلط عليها، أو تستعين الجماعة بمن يضعه لها، أو تأخذ عن غيرها ما يتناسب مع ظروفها، ويبدأ القانون الوضعي ضئيلاً محدداً ثم يتطور بتطور الجماعة ورقيها فتزداد قواعده وتتسامى نظرياً كلما ازدادت حاجات الجماعة وتنوعت وكلما تقدمت في تفكيرها وارتفع مستوى علومها وآدابها وفنونها، ويرى "بعض علماء القانون" أن القانون الوضعي بدأ مع تكون الأسرة أو القبيلة أو الجماعة، وكان رب الأسرة أو شيخ القبيلة رمز هذا القانون وحاميه ومنفذه، وظل القانون يتطور مع الجماعة حتى تكونت الدولة، ونظراً لاختلاف عادات وتقاليد القبائل باختلاف ظروفها فإن الدولة حين تقوم فإنها تجعل من تلك القوانين قانوناً واحداً ملزماً للجميع وتنضوي تحته كل القبائل والأسر والأفراد الذين تشملهم هذه الدولة وكذلك كل دولة لم يكن يتفق قانونها غالباً مع قانون الدول الأخرى، ثم بدأت مرحلة تطور القانون الوضعي الأخيرة في القرن الثامن عشر حيث تطور هذا القانون من ذلك الوقت حتى الآن تطوراً عظيماً وقام على نظريات أساسها: "العدالة والمساواة والرحمة الإنسانية" وقد أدى شيوع هذه النظريات في العالم إلى توحيد معظم القوانين الوضعية في كثير من دول العالم، ولكن بقي قانون كل دولة يختلف عن غيره في كثير من الدقائق والتفاصيل[2].

وتختلف الشريعة الإسلامية كل الاختلاف عن غيرها من القوانين، فشريعة الإسلام لم تتكاثر بعد قلة، ولم تتجمع بعد تفرق، ولم تتسع بعد ضيق، ولم تنعقد بعد

---

(١) د. محمد يوسف موسي: الإسلام وحاجة الإنسانية إليه – مكتبة الفلاح، الكويت – الطبعة الثالثة، ١٨٧٨، ص٩٤.

(٢) د. محمد أحمد خلف: دراسات في النظم والتشريعات الإسلامية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٧

سهولة، و لم تنم بنمو الجماعة الإسلامية، ولكن شريعة الإسلام ولدت ناضجة متكاملة وأنزلت من عند الله كاملة وافية الكمال شاملة جامعة مانعة لا ترى فيها عوجاً ولا تلمس فيها نقصاً. أنزلها الله تعالى على قلب رسوله محمد صلى الله عليه وسلم في فترة رسالته، فبدأت يوم بعثه رحمة للعالمين وانتهت يوم أنزل الله عليه قوله تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾[1]. و لم تأت الشريعة لجماعة دون جماعة ولا لجيل دون جيل ولا لزمن دون زمن، وإنما شريعة كل وقت وشريعة كل جيل وشريعة كل زمن. و لم تختص شريعة الإسلام بحادثة معينة ولا بحالة خاصة، وإنما هي كاملة لا نقص فيها وجامعة لكل الأحوال لا يخرج عن إطارها حادث، فهي تتناول حاجات الأفراد كما تتناول حاجات الجماعات والدول، والشريعة الإسلامية تتناول الأحوال الشخصية والمعاملات وكل ما يتعلق بحاجات الأفراد والأسر، كما تشمل شؤون الحكم والإدارة والسياسة وغيرها، كذلك تشمل علاقات الدول ببعضها في حالتي الحرب والسلم.

وأساس الفرق بين الشريعة الإسلامية والقوانين الوضعية أن الشريعة من عند الله القادر على أن يضع للناس من التشريع "نصوصاً" تصلح لكل مكان وتبقى على مر الزمان، والله جل شأنه يقول: ﴿ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ﴾[2]. أما القوانين فهي من وضع البشر ولذلك تأتي قاصرة عن معالجة ما لم يكونوا يتوقعونه بعكس الشريعة التي جاءت كاملة من يوم نزولها وافية بأكثر مما وصلت إليه القوانين الوضعية على مر الزمان[3]. و لم تحقق هذه القوانين ما وصلت إليه من سمو ورقي في المبادئ ما وصلت إليه الشريعة الإسلامية من يوم نزولها.

هذا ومما يجدر ذكره في هذا المقام أن نشير إلى أن الشريعة الإسلامية التي تختلف عن القوانين الوضعية وتتميز عليها بشموليتها تستهدف من إيجاد المجتمع الفاضل تحقيق

---

(١) سورة المائدة الآية ٣.

(٢) سورة يونس الآية ٦٤.

(٣) الشيخ محمود شلتوت: الإسلام عقيدة وشريعة، مرجع سابق، ص٥٣.

المساواة والعدالة الاجتماعية وفق منهج الله الذي امتلأت بأسإلىبه وتطبيقاته آيات الذكر الحكيم والسنة النبوية ذلك أنه من البداهة أو فلنقل من الفطرة الشعوب الحقة تقاس دائماً أبداً على أساس المساواة والعدالة الاجتماعية بين أفرادها، فأفراد الشعوب التي لا يتساوى فيها الأفراد في الحقوق والواجبات ليست بيئة صالحة لنمو الكفايات والابتكار و الإبداع التي لا تنبثق إلا من عقول قد توافرت لها الطمأنينة النفسية الناشئة عن الأفراد بعدالة مجتمعهم، وأنه لا يفضل بين فرد وآخر إلا بما يقدمه لمجتمعه من الأعمال الصالحة.

والرعاية الاجتماعية تعتمد أول ما تعتمد على المساواة بين الأفراد في الأحكام العامة وصيانة الحقوق وتحديد المسؤوليات الاجتماعية بقدر ما يستطيع كل فرد دون تمييز ضماناً للأمن النفسي. والإسلام يعبر عن هذه المساواة إذ يقول الحق تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾[1]. كما يقول في محكم التنزيل: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾[2]. ومن هذه الآيات البينات يتبين حرص الإسلام على أن يؤكد في جلاء واضح المساواة التامة بين جميع البشر في المسؤوليات والحقوق العامة وأن التفضيل لا يكون إلا بالأعمال؛ فيثاب الإنسان على عمله بقدر ما يحافظ به على حقوق غيره، وبقدر ما يبذل في المسؤولية الملقاة على عاتقه، وحتى تكون هذه المساواة واضحة في الحياة العامة؛ فقد جعل الإسلام الوقوف في صلاة الجماعة عامة لا يتقدم الصفوف إلا إمام الصلاة وهو في الأصل تختاره جماعة المصلين من بينهم ويكون أفضلهم علماً وأكبرهم سناً والناس سواسية كأسنان المشط.

والإسلام دين غير محصور في بيئة معينة أو لمرحلة معينة، بل الإسلام دين صالح لكل زمان ومكان، فهو دين للعالمية والإنسانية جمعاء، فالإسلام دين ودولة. وكانت رسالة "محمد بن عبدالله" صلى الله عليه وسلم ذات نمط خاص في الدعوة فلم تكن

---

(١) سورة الحجرات الآية ١٠.

(٢) سورة الحجرات الآية ١٣.

دعوة إلى التوحيد فحسب، ولم تكن دعوة إلى التبشير للمستضعفين والمساكين إلى سبيل الأمان الاجتماعي وكفى، ولم تكن دعوة إلى الهداية والتوفيق لقوم يقتصر عليهم مناط الرسالة وحدهم دون غيرهم، وإنما كان الإسلام أساساً لحياة إنسان الإسلام يقوم على الحق ويهدي الناس جميعاً. وبهذا أقامت دعوة الإسلام للإنسانية كلها حقوقاً واحدة وهداية واحدة وإيماناً بإله واحد لا إله إلا هو ولا رب لكل البشر سواه يتساوى الناس جميعاً بين يديه ولا يتمايزون إلا بمقدار قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾.

وقف الإسلام من المساواة موقفاً فريداً بين الاتجاهات القديمة والاتجاهات الحديثة، فالهندوسية: قسمت أتباعها أقساماً متميزة وجعلت الحقوق تتفاوت بتفاوت هذه الأقسام وجاءت البوذية بالهند أيضاً: فألغت الطبقات ولكن بشرط الدخول فيها، فلم توجد البوذية المساواة لذات المساواة ولكنها جعلت كل البوذيين لا كل البشر متساويين. وفي بلاد فارس: وجدت نظرية "الحق الإلهي المقدس" التي جعلت الملوك آلهة أو ممثلين للآلهة وتقول بأن دماً إلهياً يجري في عروقهم دون سائر البشر، وجاءت اليهودية: فجعلت اليهود شعباً مختاراً يفوق كل الشعوب ثم راح اليهود داخل الشعب نفسه يكونون الطبقات فباركوا أبناء يعقوب ولعنوا أبناء أخيه الأكبر، وسار اليهود على مبدأ التفريق بين البشر إلى أبعد الشوط، فجعلوا الرحمة والعطف والإخاء والمودة، وقفاً على فقراء اليهود ومحرمة على سواهم، وحرموا الربا مع اليهود وأباحوه مع غيرهم وورد بالعهد القديم عن ذلك: "للأجنبي تقرض بالربا، ولكن لأخيك لا تقرض بربا لكي يباركك الرب إلهك في كل ما تمد إليه يدك" وجاءت المسيحية: لترد اليهود عن جشعهم وتعلقهم وانغماسهم في الماديات فحثت على إطعام الفقير ورعاية البائس، ولكن سرعان ما تحولت المسيحية بفعل رجال الدين المسيحيين إلى خلق الطبقات والتفريق بين شعب وشعب، وكذلك إلى عزل الكنيسة عن المجتمع وعزل الدين عن الحياة، وطالما ناصرت الكنيسة الباطل ورعت الحكام الجائرين وأباحت لهم الشهوات واللذائذ وجعلتهم طبقة أرفع من طبقات البشر كما فعلت الكنيسة

القيصرية.

هذا هو الاتجاه القديم، أما الاتجاه الحديث حيال المساواة فلنا أن نجيب على هذا السؤال: كيف اتجهت المدنية الحديثة حيال المساواة؟ إن الإجابة على هذا السؤال لا تحتاج إلى كثير عناء، فالتفرقة العنصرية التي يعامل بها البيض سكان المستعمرات تدل دلالة واضحة على الطبقية المسعورة التي خلقتها هذه المدنية الزائفة، ومن ذلك: ما يعانيه الزنوج بأمريكا من اضطهاد وعسف، وقد دفع "كيندي" حياته ثمناً لموقفه العادل من هؤلاء الزنوج، فما أن نادى بالمساواة وعمل على أن يلزم بها المتعصبين حتى دبرت جريمة لاغتياله من الصهاينة ودعاة التفرقة العنصرية البغيضة.

أما موقف الإسلام حول هذا الموضوع فكان حاسماً، فإذا نظرنا إلى ما شرعه الإسلام من مبدأ المساواة رأينا أنه لم يصل أي تشريع سماوي أو وضعي في مبلغ الحرص على مبدأ المساواة إلى ما وصل إليه الإسلام؛ فقد قرر الإسلام مساواة الناس أمام القانون ومساواتهم في الحقوق العامة والسياسية وغيرها فقد قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾[1]. فلا فرق بين عربي ولا عجمي ولا لأبيض على أسود ولا لغني على فقير ولا لوجيه على صعلوك، وبذلك نجد أن الإسلام قضى على نظام الطوائف وأساليب التفرقة بين الطبقات في الحقوق والواجبات.

وفي الإسلام الناس سواسية كأسنان المشط. كذلك نجد أن السنة النبوية الشريفة حثت على سلوك هذا المبدأ السامي حين انطلق قوله عليه الصلاة والسلام في خطبة الوداع:" أيها الناس إن ربكم واحد وإن أباكم واحد كلكم لآدم وآدم من تراب، ليس لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي ولا لأحمر على أبيض ولا لأبيض على أحمر فضل إلا بالتقوى، ألا هل بلغت؟ اللهم فاشهد". هذا هو مبدأ المساواة الذي ولد قبل أربعة عشر قرناً على يد الإسلام في بلاد العرب التي كانت تعد أشد الأمم

(١) سورة الحجرات الآية ١٣.

تباهياً بالإنسان. كذلك روي أن "أبا ذر الغفاري" كان يناقش عبداً في حضرة المصطفى صلى الله عليه وسلم فاحتد أبو ذر وصاح بالعبد: "يا بن السوداء"، فالتفت له المعلم العظيم صلى الله عليه وسلم بتعبير غاية في الاستنكار هو: "طف الصاع، طف الصاع، ليس لابن البيضاء على ابن السوداء فضل إلا بعمل صالح"، وتدارك أبو ذر من كلام الرسول مدي الخطأ الذي ارتكبه بتفكيره الطبقي فهوى من استعلائه في لحظة قصيرة ووضع خده على الأرض وقال للعبد: "قم فطأ خدي" وهذا دليل بين على عظمة الإسلام وشموله لمبدأ المساواة والعدل بين الناس جميعاً قولاً وفعلاً اقتناعاً وسلوكاً وإن اختلفت الأجناس والطبقات حيث كانت القوانين من قبل تفرق بين الطبقات وقد روي أنه لما سرقت " فاطمة بنت الأسود المخزومية" جاء "أسامة بن زيد" يشفع لها فأنكر الرسول الكريم على أسامة شفاعته لها وقال للناس قوله: "إنما أهلك من كانوا قبلكم، أنهم كانوا إذا سرق الشريف تركوه، وإذا سرق الضعيف أقاموا عليه الحد،وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها" وفي وصايا الخليفة الفاروق "عمر بن الخطاب" لولاته قوله وهو يحثهم على نشر المساواة والعدل حتى يعم الخير المجتمع الإسلامي يقول لهم: "سوِّ بين الناس في وجهك وعدلك ومجلسك حتى لا يطمع شريف في جنبك ويئس ضعيف في عدلك اجعل الناس عندك سواء، لا تبال على من وجب الحق، ثم لا تأخذك في الله لومة لائم، وإياك والأثرة والمحاباة فيما ولاك الله"

وهكذا نجد أن الإسلام قرر المساواة ولا يزال يوصي بها بعد أن شطت الاتجاهات القديمة وبعد أن ضعفت المدنية الحديثة عن التمسك بهذا الخلق القويم[1].

كذلك يرمي الإسلام إلى المحافظة على حقوق الناس ودمائهم وأعراضهم وأموالهم، كما يعني أشد العناية بصيانة حرياتهم وكرامتهم، ويتخذ لذلك جميع الوسائل التي تحفظ هذه الحقوق وتصونها جميعاً، ومن هذه الوسائل التي عني الإسلام

---

(١) د. أحمد شلبي: مقارنة الأديان (الإسلام) مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة الخامسة ١٩٧٧، ص: ١١٤-١١٥.

بها وكان لها أكبر الأثر على حياة البشرية جمعاء، "إقامة العدل بين الناس"، ذلك لأن إقامة هذا الحق والعدل هي التي تشيع الطمأنينة وتنشر الأمن وتشد علاقات الأفراد بعضهم ببعض وتقوي الثقة بين الحاكم والمحكوم وتنمي الثروة وتزيد الرخاء وتدعم الأوضاع فلا تتعرض لخلخلة أو اضطراب ويمضي كل من الحاكم والمحكوم إلى غايته في العمل والإنتاج وخدمة البلاد دون أن يقف في طريقه ما يعطل نشاطه أو يعوقه عن النهوض.

لقد جاءت الآيات والأحاديث داعية إلى العدل ومحذرة من الظلم ومحرمة له. والله سبحانه وتعالى من أسمائه "العدل" وما أنزل كتبه ولا رسله ولا كلف الناس بالشرائع إلا لأجل إقامة العدل، والله جل جلاله يقول في كتابه العزيز: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾﴾[1]. وفي الحديث الشريف: "اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة" ومن مجالات العدل والمساواة في الإسلام العدل في الحكم وفي هذا يقول المولي عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾﴾[2]. والعدل والمساواة واجبان على القاضي حتى يأخذ كل ذي حق حقه وإلا اختل النظام وأهدرت الدماء وأبيحت الأعراض وسلبت الأموال وضاع حق المظلوم دون أن يجد من ينصفه ومن ذلك قال "الرازي": قال: "الشافعي" رضي الله عنه: "ينبغي للقاضي أن يسوي بين الخصمين في خمسة أشياء:

---

(١) سورة الحديد الآية ٢٥.

(٢) سورةالنساء الآية ٥٨.

١-في الدخول عليه.

٢-الجلوس بين يديه.

٣-الإقبال عليهما.

٤- الاستماع لهما.

٥-الحكم عليهما.

وقد أباح الله تعالى تعدد الزوجات وقصره على أربع، وأوجب العدل بينهن في الطعام والسكن والكسوة والمبيت وسائر ماهو مادي من غير تفرقة بين غنية وفقيرة وعظيمة وحقيرة، فإن خاف الرجل من الجور وعدم الوفاء بحقوقهن حرم عليه الجمع بينهن والله تعالى يقول: ﴿فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُواْ فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُواْ ۝٣﴾

(١). كما أوجب الإسلام العدل والمساواة بين الأولاد ونهى عن التفضيل بينهم في الملك والهبة لأن تفضيل بعضهم على البعض الآخر يفضي إلى العقوق ويفسد ذات البين ويقطع الصلات التي أمر الله بها أن توصل حيث قال حبيب الرحمن: "اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم" وإذا وقع بين طوائف المسلمين خصام أدى إلى القتال وجب على طائفة محايدة من المسلمين أن تتدخل لحسم هذا النزاع والقضاء على هذه الخصومة بالصلح فيها على أن يقوم هذا الصلح على أساس من الحق والعدل والمساواة لقوله تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓاْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٩﴾

(٢). كما أقر الإسلام العدل والمساواة بين الناس جميعاً من غير تفرقة بين قوي

---

(١) سورة النساء الآية ٣.

(٢) سورة الحجرات الآية ٩.

وضعيف ولا أبيض ولا أسود ولا بين عجمي ولا عربي ولا بين مسلم وغير مسلم ولا بين حاكم ومحكوم؛ فالعدالة والمساواة في الإسلام لا تفرق بين الألوان والأديان ولا تعترف بالفوارق والفواصل بين الناس حيث يقول جل جلاله: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾

(١). ومن الجدير بالذكر أن الناس إذا شعروا بإقامة العدالة في مجتمعهم وسيادة العدل في حياتهم على المسلمين وغير المسلمين تستقر نفوسهم وتطمئن قلوبهم وتهدأ أحوالهم ويزدهر مجتمعهم ويعم الخير والأمن والأمان والسلامة والسلام، ولنتدبر دائماً قول الرسول الكريم: "لا تزال هذه الأمة بخير ما إذا قالت صدقت، وإذا حكمت عدلت، وإذا استرحمت رحمت"(٢).

إن الإسلام يحمل في طياته أسمى قيم المساواة والعدالة الاجتماعية وينظر إليهم على أنهما ركيزة أساسية وأصيلة لقيام المجتمع الإسلامي وتوفير مناشط الرعاية الاجتماعية للإنسان كفرد وكعضو يحيا في جماعات متعددة وكعضو ينتمي إلى مجتمعات على اختلاف مستوياتها وأشكالها، حيث دعا الناس كافة بأصلهم الأول وهو: آدم وحواء، ومن كان أبوهم واحداً وأمهم واحدة فلا محل لأن يدعي بعضهم السمو على البعض الآخر من ناحية الجنس أو اللون أو القبلية أو المجتمع؛ ذلك أنهم وإن تفرقوا بين البلاد وفي مختلف الأصقاع انتشروا واختلفوا في الأجناس واللغات والألوان؛ فإن تلك لا تزيل عنهم صفة الأخوة في الله.

يحتاج بعض الأطفال إلى تربية خاصة كإليتيم والمريض والذكي... وسنعرض لذلك بشيء من الإيجاز..

---

(١) سورة المائدة الآية ٨.

(٢) د. محمد عبدالمجيد الخالدي: قواعد نظام الحكم في الإسلام، ص ٧٦-٧٨.

تربية الطفل اليتيم
وضرورة الجمع بين الحزم والحنان

الطفل اليتيم يحتاج إلى تربية خاصة ويلحق به من فقد والديه أو أحدهما بمرض مزمن أو طلاق أو سفر أو جهاد أو غيرها.

وأهم احتياجات الطفل اليتيم الإشباع العاطفي والإحساس بالأمن ووجود بديل عن الوالدين أو أحدهما يقوم بالتوجيه والتهذيب، كما يحتاج إلى التوافق الاجتماعي مع البيئة الجديدة وتقبل فكرة المربي البديل.

واليتيم يشعر بالضعف وفقدان عناصر القوة [1]. كما أنه يفقد المصدر الحقيقي للحنان، ولذا حث الإسلام على إشباع حاجاته ورتب الأجر العظيم لكل من يسدي المعروف إليه.

وتختلف حالات اليتيم فهناك اليتيم الوحيد الذي يموت والداه أو أحدهما وهو صغير فيسهل دمجه في بيئة جديدة ويتوافق معها بسرعة، ويمكن للموجود من والديه الزواج ويربي مع إخوته الجدد دون اضطرابات نفسية، بشرط أن يكون المتزوج من أرملة أو مطلقة لها طفل، على قدر من الوعي، وكذلك المتزوجة من أرمل أو مطلق.

وقد يفقد الطفل والديه أو أحدهما وله إخوة كبار راشدون يتولون تربيته، فيحل الأخ الأكبر محل والده بشرط أن يتمتع بشخصية قوية وحازمة، وعلى الأم أن تحترمه وتتعاون معه وتسلم له القيادة ظاهراً؛ لأن ذلك يعود الصغار على الانقياد للأخ الكبير، ويتعود هو على تربيتهم، ولأن الأم مهما كانت قد تكون الآمرة والناهية وتسيطر على الصغار ولكن إذا راهقوا صاروا يحتاجون إلى سلطة موجهة من نوع آخر، هو الأخ الأكبر.

وقريب من ذلك الطفل اليتيم أو فاقد أحد أبويه بالطلاق أو الغياب الدائم أو

---

(١) انظر: منهج التربية النبوية، محمد نور سويد، ص ١٧٨.

المرض، فإذا كان وحيداً وعزفت أمه عن الزواج وبقيت عند أهلها، أو كان لها عدة أطفال، فهنا لابد من سلطة موجهة كالجد أو الخال، ولابد أن تسلم الأم لهذا البديل زمام الأمور؛ حتى إذا كبر الأطفال وانفلتوا من سلطة الأم تبقى سلطة الجد أو الخال، والرجل عادة أكثر حزماً وأتم عقلاً من الأم التي تنساق بفطرتها نحو الدلال والتراخي.

وهناك وسائل تضمن – بإذن الله – سلامة الطفل النفسية والتربوية وهي:

(١) أن يكون المربي البديل على قدر من الوعي وتحمل المسؤلية وأن يفهم مشاعر الأيتام فهماً تاماً، وكذلك أبناء المطلقة[١]. وأن يشبع حاجتهم إلى الحب والحنان، وعدم التفرقة بينهم وبين الأبناء ما أمكن.

(٢) الحزم في التربية؛ لأن اليتيم غالباً يعامل معاملة فيها تساهل وإفساد، والواجب معاملته كالابن تماماً في التربية والتقويم[٢].

(٣) إتاحة الفرصة له ليختلط بالأطفال الآخرين إذا كان وحيداً، وعدم إبداء القلق عليه، وعدم التدخل الدائم في أموره وبهذا تساعده لينضج عقلياً واجتماعياً[٣]. وعلى الأم في فترة المراهقة بالذات أن تشعر الطفل بمسؤولية في الحياة وأنه مَعْقَدٌ آمالها حتى تساعده على النضج والاتزان[٤].

(٤) في حالات الطلاق على الوالدين أن يرتقيا إلى مستوى من النضج النفسي حتى ينشأ الطفل سوياً بلا عقد وأمراض، فيتبادلان الاحترام والتقدير ويرتفعان عن الاتهامات والمشاكل[٥]. وهذا يكفل سعادة الطفل وحبه لوالديه وحفظ حقهما في التربية والإصلاح؛ لأن احترام كل من الوالدين للآخر يحفظ في ذهن الطفل تلك الصورة المثالية التي يراها متمثلة في والده ووالدته، ولكن إذا أقبل كل منهما على

---

(١) انظر: حديث إلى الأمهات، سبوك، ص ٣٦٩.

(٢) انظر: منهج التربية النبوية، محمد نور سويد، ص ١٩٤.

(٣) انظر: المرجع السابق، ص ٣٤٢.

(٤) انظر: حديث إلى الأمهات، سبوك، ص ٣٦٦.

(٥) سورة النساء الآية ٣.

ثلب الآخر وسبّه أمام الطفل اهتزت ثقة الطفل بوالده أو والدته ونقص احترامه لهما أو لأحدهما وعندها لن يقبل توجيهاته وتربيته.

تربية الطفل الذكي بين الأفراد والمؤسسات

التربية الخاصة يحتاجها الطفل الذكي؛ لأن المواهب إذا لم تكتشف مبكرة تموت، إذ لابد من تطويرها، كما أنه قد يعتريه الإحساس بالغربة والوحدة بسبب الفرق بينه وبين أقرانه.[١].

ويمكن اكتشاف ذكاء الطفل من خصائصه فهو أكثر استجابة للأوامر بسبب نضجه العقلي[٢]. ومتعاون، يتعلم بسرعة ويفكر منطقياً ويسأل أسئلة دقيقة، ويميل إلى من أكبر منه ويقلده تقليداً واعياً، ويميل إلى الابتكار ويكره التكرار الرتيب[٣].

وعلى المربي مسؤولية المحافظة على صحة الذكي وتنمية قدراته، ولذلك وسائل منها: التوسط في معاملة مواهبة والتوسط في تقديرها، فالتحدث عن ذكاء الطفل بإسراف يخلق فيه الغرور والتساهل بذكائه يخلق له مشكلات نفسية، فيكون التشجيع مناسباً ويجب أن يوجد لديه بيئة مناسبة لاحتواء مواهبه، وأن يمده بالمواد والوقت ليكتشف ويبتكر[٤]. كاللعب التعليمية والكتب المصورة والأشرطة العلمية المصورة والمسموعة، والألعاب التي تعتمد على ذكاء الطفل ومهاراته.

وأما المؤسسات فكثيرة، منها: المكتبات ومراكز المعلومات والمدارس، وقد أفردت مدارس خاصة للأذكياء، ولكن كثيراً من علماء التربية يرون أن من الخير دمج الأذكياء مع غيرهم في المدارس العامة على أن تخصص لهم فصول مستقلة[٥]. كما

---

(١) انظر: الفكر التربوي في رعاية الموهوبين، لطفي بركات، ص٤٨، ١٤٨-١٥٠.

(٢) انظر: المرجع السابق، والفئات الحائرة: فوزية محمد خضر، ص ١٠٤-١٠٥.

(٣) انظر: المرجع السابق، ص ١٤٨-١٥٠.

(٤) انظر: المرجع السابق، ص ١٤٨-١٥٠.

(٥) انظر: المشكلات السلوكية، نبيه الغبرة ص ١٦٤.

اقترح بعض التربويين إتاحة الفرصة للأذكياء ليدخلوا المدرسة قبل السن المقررة[1]. على أن يتم تزويد فصولهم بالأجهزة والمعامل والكتب وجميع الوسائل الممكنة، ووضع مناهج تقوم على فكرة التنوع وتتميز بالمستوى الرفيع الذي يناسبهم[2].

تربية الطفل المريض أو المعاق وتغيير وسائط التربية بحسب المرض

للمريض تربية خاصة ويختلف المريض مرضاً جسدياً عن المريض مرضاً نفسياً ويختلف المريض مرضاً مزمناً عن المريض مرضاً طارئاً.

(١) الطفل المريض مرضاً طارئاً يؤثر في حياته وبخاصة إذا لزم الأمر وضعه في المستشفى وحرمانه من أسرته، حيث تتأثر شخصيته وطباعه وتطوره العقلي والاجتماعي، ولتفادي الأضرار الجانبية على الطفل ينبغي أن ترافقه أمه أو أحد أقاربه أثناء فترة علاجية[3].

والعامل النفسي أثره في تعويد الطفل على الصبر والشجاعة ومنبع هذا الإيحاء إليه بأن هذا الألم خفيف ولا يضر، وأنه طفل شجاع يتحمل الإبرة والدواء المر[4]. وليتحقق ذلك لابد من الابتعاد عن كثرة سؤال الطفل عن موضع الألم، ومحاولة إخفاء مشاعر الشفقة والبكاء، لأن إظهار هذه المشاعر يضعف الطفل ويقوي إحساسه بالألم، كما يحسن إشغاله باللعب والهوايات التي تناسب وضعه [5].

وأما إعطاء المريض الدواء فيكون بالملاطفة والمسايرة والابتعاد عن القوة[6].

---

(١) انظر: الطفل الموهوب، جيمس جالجر، ص ٥٦.

(٢) انظر: الفكر التربوي في رعاية الموهوبين، لطفي بركات، ص ١٥٠-١٥١.

(٣) انظر: المشكلات السلوكية، نبيه الغبرة ص ١٩٩-٢٠٠.

(٤) استمع إلى شريط: أفكار وتوجيهات في تربية الصغار، محمد الدويش.

(٥) انظر: المشكلات السلوكية، نبيه الغبرة ص ١٩٧.

(٦) انظر: المرجع السابق، ص ١٩٦.

والحذر من الكذب والادعاء أن الدواء حلو وهو بخلاف ذلك [١]. وليحذر المربي من استمرار التساهل والتدليل بعد الشفاء فقد يتعود الطفل عادات سيئة[٢]. أثناء فترة المرض؛ فبعض الأطفال يطلب أشياء أثناء مرضه ويجاب طلبه لأنه مريض، وقد يشتهي نوعاً من الطعام فيسن إعطاؤه إياه لمساعدته في فترة المرض، وإذا تماثل للشفاء فيجب عدم تدليله أو استمرار طلباته الزائدة أو نومه في أحضان والدته أو كثرة حمله وغيرها من العادات السيئة.

(٢) الطفل المريض مرضاً مزمناً أو المعاق؛ إذ يسهم هذا المرض في حرمان الطفل من كثير من فرص التعلم، وقد يشعر باحتقار الذات والدونية، ولذا يحتاج المربي إلى توجيهات منها:

*احترام الطفل والنظر إليه نظر حب ورحمة، وأن يشعره أهله بتميزه عن غيره بالذكاء والمواهب الأخرى، حتى يزول شعوره بالنقص، ويجب أن يعامله كذلك من حوله مبتعدين عن الاستهزاء والتحقير[٣].

*تهوين الضعف الصحي[٤]. وتقديم العلاج اللازم له، وإذا احتاج يلحق بالمراكز التي تحتوي من هو مثله.

* تصحيح السلوك الخطأ ومساعدته على التوافق الاجتماعي[٥]. وهذا يعني أن مرضه لا يمنع من تأديبه والحزم تجاه سلوكه المنحرف.

---

(١) استمع إلى شريط: أفكار وتوجيهات في تربية الصغار، محمد الدويش.

(٢) انظر: المشكلات السلوكية، نبيه الغبرة ص ١٩٥.

(٣) انظر: تربية الأولاد في الإسلام، عبدالله ناصح علوان، ١/٣٣٠.

(٤) انظر: كيف نربي طفلاً، محمد زياد حمدان، ص ١٠-١٢.

(٥) انظر: علم نفس النمو، حامد زهران، ص ٢٦٧، نقلاً عن: كيف تربي ولدك المسلم: حمود شقير، ص ٧٣-٨٤.

* إعداده ليمارس مهنة ليكسب منها قوته، وذلك بالاستفادة من قدراته العقلية والبدنية ومحاولة تنمية مواهبه بالتشجيع والتدرج[1].

وأما المريض مرضاً نفسياً فيحتاج المربي إلى إرشادات الطبيب المعالج بشأن تربيته حسب حالته النفسية.

منهج التربية عند الإمام جعفر الصادق

بالرغم من عدم الاستقرار الذي أحاط بحياة الإمام جعفر الصادق ٨٠-١٤٨ هـ سواء في الفترة التي عاشها في ظل الدولة الأموية، أو تلك الفترة التي عاشها في ظل الدولة العباسية إلا أن من بين التراث الذي ينسب إلى الرجل ما يدل بشكل قاطع على تمكنه وامتلاكه رؤية ثاقبة في الميدان الأخلاقي والتعليمي، وهذه الرؤية التي يمكن التعرف على جوانبها من بين حكمة الرجل وتوجيهاته يمكن أن يتولد معها منهج تربوي مستقيم يعبر عن فكر الرجل الذي يمكن رؤية بعض أهدافه التربوية في الدعوة إلى وجوب:

معرفة الله حق المعرفة، بالوقوف على ما أمر به وما نهي عنه، وما يترتب على ذلك من التزام وإخلاص وتوكل على الله، وإلى ضرورة التربية الخلقية والالتزام بمكارم الأخلاق، وترجمتها في سلوك فعلي في حياة الإنسان، إذ لا معنى للخلق بدون عمل.

التربية العقلية، وتدريب حواس الإنسان وعقله حتى ينمو نمواً متدرجاً وينتقل من الجهل إلى العلم والتصرف، وذلك بدراسة العلوم الشرعية وكذلك العلوم الكونية.

التربية البدنية، وتدريب الجسم حتى ينمو متدرجاً، وينتقل إلى تمام الإدراك، والحركة الفاعلة.

التربية العملية، وتدريب الإنسان في سبيل استغلال الأشياء استغلالاً يتوافق مع طبائعها ومع تحقيق مصلحته.

---

(١) انظر: كيف نربي طفلاً، محمد زياد حمدان، ص١٠-١٢.

التربية على أحكام الشريعة، والالتزام بأوامرها، وتحقيق التقوى والورع، ومداراة الناس.

التربية الاجتماعية، بحيث يتدرب الإنسان على العيش مع غيره من آباء وأقارب، وعلماء ورجال، وسلطان.

التربية على التعايش مع الابتلاء، والتأدب بأدب الله معه، كالصبر.

إن هذه الأهداف هي التي تبرز واضحة في تراث الرجل من خلال توجيهاته، إنه رضي الله عنه، في مجال الاهتمام بتربية الطفل وضرورة رعايته، يولي تربية الأطفال والنشئ أهمية بالغة، خاصة في ضوء معطيات عصره، وفي ظروف كظروف البيت العلوي لابد من الاهتمام بتربية النشء والعناية بهم، ومن أجل هذا نراه يسوق كثيراً من الأقوال المعبرة والنصائح البالغة، وينصح بحب الصبيان ورحمتهم والوفاء بالوعد لهم، ويرى أن سن التعليم هي سبع سنين "الغلام يلعب سبع سنين، ويتعلم الكتاب سبع سنين، ويتعلم الحلال والحرام سبع سنين"[1]. ويقول: "دع ابنك يلعب سبع سنين"[2]. وهذا الذي يقوله ردده كثير من علماء الإسلام، فهو لم يخرج عن الجو الإسلامي العام، ويوصي الآباء بحب أبنائهم "إن الله عز وجل ليرحم الرجل لشدة حبه لولده"[3]. ويوصي بالمبادرة بتنشئة الأولاد تنشئة صالحة، وينصح ابنه قائلاً: "يابني إن تأدبت صغيراً انتفعت كبيراً، ومن عني بالأدب اهتم به، ومن اهتم به تكلف علمه، ومن تكلف علمه اشتد في طلبه، ومن اشتد في طلبه أدرك منفعته"[4]. ومن جملة هذه النصائح والوصايا يتبين ما يأتي:

أهمية تربية الطفل والعمل على تأديبه، وإسداء النصح له.

---

(١) محمد تقي (الطفل بين الوراثة والتربية) تعريب وتعليق فاضل الحسين الميلاني جـ١/ طبعة ثالثة- بيروت – مؤسسة الأعلمي بدون تاريخ صفحة ١٢.

(٢) المرجع السابق صفحة ٧٥.

(٣) المرجع السابق صفحة ١٤٦.

(٤) المرجع السابق صفحة ٢٦١.

أهمية اللعب في حياة الطفل، وترك الطفل ليلعب سبع سنين أمر له أهميته في تنمية قدرات الطفل ومهارته، كذلك يستفاد من توجيه الإمام جعفر الصادق رضي الله عنه:

أهمية توليد الشعور بالمسؤولية الشخصية لدى الطفل، وإحياء روح الاستقلال لديه. وذلك من الأهمية بمكان في فكر الرجل.

تنمية روح الاعتماد على النفس، والجد في أداء الواجبات.

والصادق يلفت النظر إلى أهمية تربية الطفل على مبادئ الإسلام الصحيحة في عصر كان شبيهاً بعصرنا مزدحماً بالأفكار والنظريات والمذاهب الصحيحة وغيرها، ومن ثم لابد من تحصين الطفل ضد المذاهب غير الصحيحة، وبذلك يضمن إيجاد وتكوين رجال أصحاء جسدياً وفكرياً وعقيدياً.

هذا ولا يغفل الإمام الصادق الجانب التعليمي أو ما نسميه بالمنهج الدراسي فمن خلال ما قال الصادق يمكننا أن نذكر رأيه في المنهج الدراسي والذي يقسمه إلى قسمين كبيرين هما:

العلوم الدينية: وتشمل علوم القرآن وعلوم الحديث، فقد كان الصادق صاحب مذهب فقهي اعتمد أصوله من القرآن والسنة، ولذا كان لابد من الإلمام بعلومهما ومعهما علوم اللغة العربية، وكان يروي الحديث والسنن ويتحرى صدقها، ويروض أصحابه على التماس أصلها من القرآن الكريم [1].

العلوم الدنيوية: لقد وضع الإسلام قواعد الانطلاق في العلوم الدينية والدنيوية، وشهد عهد الخليفة عمر بن الخطاب بوادر نقل تلك العلوم، ثم استمر ذلك حتى جاء عصر الصادق فكانت توجيهاته نافعة في الانفتاح على علوم الآخرين، وقد اتسع فهمه حتى إنه قال: "لا يستغني أهل كل بلد عن ثلاثة يفرغ إليهم في أمور دنياهم

(١) محمد أبو زهرة (الإمام الصادق- حياته وعصره) القاهرة- دار الفكر العربي، ص ٢٢.

وآخرهم، فإن عدموا ذلك كانوا همجاً: فقيه عالم ورع، وأمير خير مطاع، وطبيب بصير ثقة"[1].

وانطلاقاً من هذا، اهتم الصادق بالعلوم الكونية والكيمياء ودرسها واستوعبها، ونال فيها شهرة واسعة بين معاصريه، ولعل هذا كان من أهم الدوافع التي حدت بجابر بن حيان أن يتتلمذ عليه[2]. وقد اهتم الصادق بتعليم مادة الكيمياء لما رأي لها من أهمية وفائدة كبيرة، وقد ساعد هذا على تخليصها من الأساطير والأوهام التي علقت بها، وكانت للصادق منهجية في مدرسته التي قادها في العلوم الطبيعية، وتمثلت هذه المناهج في: علوم الفلك، ووظائف الأعضاء والنبات، والفيزياء، والكيمياء، وعلوم الصنائع[3].

واللافت للنظر حقاً هو صيغة التكامل والشمول التي تميز بها الصادق في تناوله العلوم الدينية والعلوم الدنيوية، وعدم الفصل بينهما، حتى إنه يجعل منزلة الأمير والفقيه والطبيب واحدة، ويستخدم نتائج العلوم الطبيعية للاستدلال على عظمة الإله وقدرته، وفي التدليل على صدق التبليغ عنه.

هذا وتستوعب مجالات التربية عند الصادق كثيراً من ميادينها إن لم تكن جميعها ويمكن النظر إلى مجالين عند الإمام الصادق.

الأول: التربية الدينية والخلقية:

تدل أقوال الصادق على حرصه على تربية تلاميذه على أمور الدين، وقد كان الصادق شيخاً لكل من مالك وأبي حنيفة، مما يدل على سعة علمه الديني، وقد اهتم بسلوكيات تلاميذه، مخلصاً إياهم من النزعات الضالة والتطرف والتعصب البغيض،

---

(١) محمد تقي فلسفي (الطفل بين الوراثة والتربية) مرجع سابق، جـ٢/٧٥.

(٢) عبدالله الرافع (إسهام العرب والمسلمين في الكيمياء) مؤسسة الرسالة عام ١٩٨٣، ص١٠٣.

(٣) عبدالقادر محمود (الإمام جعفر الصادق رائد السنة والشيعة) القاهرة- المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية- القاهرة بدون تاريخ، ص ١٣.

ويضرب لهم المثل والقدوة من أخلاقه وفكره، وإلى جانب هذا خاض مناظرات علمية لإثبات وحدانية الله وقدرته وعلمه وحكمته.

ويتضح اهتمامه بالتربية الدينية والخلقية من أقواله ووصاياه، يروى عنه الأصمعي، يقول: "الصلاة قربان كل تقي، والحج جهاد كل ضعيف وزكاة البدن الصيام، والداعي بلا عمل كالرامي بلا وتر، واستنزلوا الرزق بالصدقة وحصنوا أموالكم بالزكاة"[١]. وينصح ابنه قائلاً: "كن للقرآن تإلىاً، وللسلام فاشياً، وللمعروف آمراً، وعن المنكر ناهياً، ولمن قطعك واصلاً، ولمن سكت عنك مبتدئاً، ولمن سألك معطياً، وإياك والنميمة فإنها تزرع الشحناء في القلوب، وإياك والتعرض لعيوب الناس، فمنزلة المتعرض لعيوب الناس كمنزلة الهدف".

وفي هذا المجال ينصح بنصائح غاية في الأهمية تدخل في مجال الأخلاق الإسلامية، منها على سبيل المثال: "ما عال من اقتصد، والتدبير نصف العيش،والتودد نصف العقل، وقلة العيال أحد اليسارين، ومن أحزن والديه فقد عقهما ومن ضرب على فخذيه عند مصيبته فقد حبط أجره، والصنيعة لا تكون صنيعة إلا عند ذي حسب ودين، والله تعالى ينزل الصبر على قدر المصيبة، وينزل الرزق على قدر المؤونة، ومن قدر معيشته رزقه الله تعالى، ومن بذر معيشته حرمه الله تعالى"[٢]. وعنه: "لا زاد أفضل من التقوى، ولا شيء أحسن من الصمت، ولا عدو أضر من الجهل، ولا داء أقوى من الكذب"[٣].

وإلى جانب هذا ينهي عن الخصومة في الدين ويدعو إلى الاعتدال في العبادة ويدعو إلى الالتزام بالأخلاق الحميدة، وألا يذل الإنسان نفسه لأحد.

ومن مجموعة النصوص السابقة يتبين أن الرجل استهدف من بين ما كان يريده

---

(١) الذهبي (سير أعلام النبلاء) جـ٦، ص ٢٦١.

(٢) أبو نعيم (حلية الأولياء) جـ٣، ص ٢٦٣.

(٣) الذهبي (سير أعلام النبلاء) مرجع سابق ص ١٦٣.

اهتمام الرجل بتربية أتباعه تربية دينية، سواء بالتعليم أو بالنصيحة واهتمامه بتربية الوازع الداخلي وتنمية الحرص على أداء الفرائض.

واهتمامه بإبعاد أتباعه بالتربية عن الخصومات الدينية التي تورث النفاق والشقاق.

واهتمامه بالممارسات العملية لشعائر الدين، حتى لا يصبح مجرد شعارات، واهتمامه بتربية الأفراد على مكارم الأخلاق.

واهتمامه بتربية الأفراد ليتمكنوا من سياسة معاشهم، وتقديرها تقديراً سليماً، مع تجنب التبذير فيها.

واهتمامه بتربية الأفراد على احترام الناس، ومخالطة العلماء، وتجنب مداخل السوء، وعدم الدخول فيما لا يعني، وغير ذلك من ألوان التربية السلوكية.

واهتمامه بتربية الإنسان على قول الحق أياً كان، وكذلك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

واهتمامه بتنمية الحرص على كتاب الله ومداومة تلاوته عند الأفراد.

واهتمامه بتنمية الأفراد على خلق إفشاء السلام، والالتزام بالآداب الاجتماعية.

وجماع معالم هذه التربية يتمثل في التقوى، وتنمية الإنسان الصالح، ديناً وخلقاً واجتماعاً ومعاشرة ليعيش حياة دنيوية سعيدة بين الناس، ويتجنب مهاوي الهوى والرذائل، ويستعد لسعادة حقيقية في الآخرة.

الثاني: التربية العلمية والفكرية:

إن ملامح هذا المجال من التربية تتضح من خلال أخباره فيما كتبه جابر بن حيان، ويمكننا تبين هذه الملامح فيما يأتي:

الإيمان بالعلم، وأهميته، وإدراك أهمية التعليم وإدراك أهمية التوجيه العلمي والفكري من الأستاذ المعلم للمتعلم، وكذلك أهمية وجود التعاطف بين الأستاذ

والتلميذ، وأن يكون التلميذ ليناً قابلاً لجميع أقوال أستاذه.

وأهمية إقبال المتعلم على الأستاذ إقبال شغف، وأن يحفظ أستاذه، ويترك الكسل والتشاغل عنه.

أهمية قيام العلم والتفكير العلمي على أساس عقلاني، ومع توافر المعرفة بخواص الأشياء، كذلك لابد من توافر الموضوعية في الدراسة العلمية، ولابد كذلك من تبسيط العلم وتسهيله، وعدم الإغراق في الرمزية، وتجنب الإطناب الذي يفسد الموضوعية، كذلك تتجلى عنده أهمية إجراء التجربة العلمية بموضوعية.

لقد كان الصادق يدرب طلابه على إجراء التجارب إلى جانب ماسبق، وله في ذلك شروط أوضحها جابر في نصوص له، تدل على شمول نظرة الصادق، وتكاملها وربطه بين العلم والدين، وتأكيده على أهمية إخلاص العمل لله، والتوجه له بالدعاء لتحقق الفائدة، ولذا نراه ينصح جابر حين يريد الإقبال على التجربة وتحصيل العلم، بالوضوء والطهارة، والصلاة والاستخارة،والدعاء والتصدق، ويختم نصيحته له بقوله: "فإن الله تعالى يحمدك العاقبة في سائر أمورك، ويزجر الشيطان عن وجهك، واقصد لما تشتهيه؛ فإنك ترى فيه الرشد.. ويرزقك الله قريباً إن شاء الله"[1]

منهج التربية عند الإمام الشافعي

الشافعي هو الإمام: أبو عبدالله محمد بن إدريس بن عباس بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف.

ولد في نهار الجمعة آخر يوم من شهر رجب عن سنة خمسين ومائة هجرية وهي السنة التي توفي فيها أبو حنيفة رحمه الله[2].

---

(١) زكي نجيب محمود (جابر بن حيان) رقم ٣ سلسلة أعلام العرب – بيروت – المركز العربي للثقافة والعلوم بدون تاريخ، ص ٨٧.

(٢) الزبيدي (تاج العروس) مادة شفع.

وكان مولده في غزة ثم حمل إلى عسقلان وهو صغير، ثم إلى مكة وهو ابن سنتين. والبيئة التي تربى فيها الشافعي ساعدته على تكوين أفكاره المستقيمة ومنهجه الراشد وأحكامه المستمدة من روح الكتاب والسنة[1].

ولما كنا لسنا بصدد الترجمة للإمام الشافعي كذلك لسنا في مقام التعرف على فقهه وعلمه واجتهاده إنما أحببنا التدليل والبرهنة على أن التجارب والبحوث في مجالات التربية والتقويم ليست حكراً على العقل الغربي واللائذين به، ومن هنا ذهبنا نستنبط من أقوال بعض الأئمة في عصور الإسلام المدبرة ما يمكن أن يشكل قاعدة لمنهج تربوي عصري يترجم روح الأدّب الإسلامي والخلق القويم الذي يبرز واضحاً جلياً في تعاليم الإسلام. فما الذي يمكن أن يكون عند الإمام الشافعي من أفكار وتوجيه يصلح مرتكزاً للاسترشاد به في عمل التربية الحديثة؟[2].

وبادئ ذي بدء نود أن نوضح أن الإمام الشافعي قد عني عناية عظيمة بعلم السلوك العلمي والنظري والذي هو قوام التربية وأداتها وترجمانها.

فالسلوكية عنده إما فردية أو اجتماعية، أما الفردية فللشافعي فيها تعليمات كثيرة، فمن أجلها ينبغي أن يكون عالم الشريعة عاملاً بعلمه، وأن يكون بشخصه مثلاً وقدوة لمن يعلمهم من الناس. يقول الشافعي لمؤدب أولاد الرشيد

-حين قال له سراج الخادم: يا أبا عبدالله هؤلاء أولاد أمير المؤمنين، وهذا مؤدبهم، فلو أوصيته بهم -فأقبل عليه الشافعي فقال: "ليكن ما تبدأ به من إصلاح أولاد أمير المؤمنين إصلاحك لنفسك، فإن أعينهم معقودة بعينك، فالحسن عندهم ما تستحسنه، والقبيح عندهم ما تكرهه، علمهم كتاب الله ولا تكرههم عليه فيملوه، ولا تتركهم منه فيهجروه، ثم روهم من الشعر أعفه، ومن الحديث أشرفه، ولا تخرجهم من علم إلى غيره حتى يحكموه، فإن ازدحام الكلام في السمع مضلة

---

(١) ابن أبي حاتم الطائي (آداب الشافعي ومناقبه) صفحة ٦٣ وابن الجوزي (صفة الصفوة) ١٤٦/٢.

(٢) ياقوت الحموي (معجم الآباء) جـ٧، ص٢٨٤.

للفهم"[1].

هذه الوصية العظيمة لا تتعلق بالسلوك فقط، بل فيها من التربية العلمية الدقيقة ما هو جدير بأن يؤخذ مثالاً يحتذى.

وبهذا المعنى قال الشافعي: "من سمع بأذنه صار حاكياً، ومن أصغى بقلبه كان واعياً، ومن وعظ بفعله كان هادياً"[2]. ومن حكمه السلوكية قوله: "العاقل من عقله عقله عن كل مذموم"[3].

ومن قوله في معنى الغرور: "من سام نفسه فوق ما يساوي رده الله إلى قيمته"[4].

ويقول: "المروءة أربعة أركان: حسن الخلق، والسخاء، والتواضع، والنسك"[5].

وكان رحمه الله يقول لولده، وقد نقده بأمره: "والله الذي لا إله إلا هو، لو علمت أن شرب الماء البارد ينقص من مروءتي ما شربته".

ويقول: "المروءة عفة الجوارح عما لا يعنيها" ومن قوله: "لا يكمل الرجل في الدنيا إلا بأربع: الديانة، والأمانة، والصيانة، والرزانة". ومن قوله في الحرية إذ سأله رجل فقال أوصني: فقال: إن الله خلقك حراً فكن كما خلقك. وقال محمد بن الشافعي: "رآني أبي وأنا أعجل في بعض الأمر فقال: يابني رفقاً رفقاً فإن العجلة تنقص الأعمال،وبالرفق تدركك الآمال". وهذا قليل من كثير من وصاياه في السلوك الاجتماعي فهي كثيرة، منها قول الشافعي: "الانبساط إلى الناس مجلبة لقرناء السوء، والانقباض عنهم مكسبة للعداوة، فكن بين المنقبض والمنبسط". ومنها قوله: "ما أكرمت أحداً فوق مقداره إلا اتضع من قدري عنده بمقدار ما أكرمته". وكان يقول:

---

(١) ابن الجوزي (صفة الصفوة) جـ٢، ص ١٤٥.

(٢) الرازي (مناقب الشافعي) ص ١٢٣.

(٣) البيهقي (مناقب الشافعي) جـ٢، ص ١٨٧.

(٤) البيهقي (مناقب الشافعي) جـ٢، ص ١٩٩.

(٥) الرازي (آداب الشافعي ومناقبه) ص ٨٥.

"صحبة من لايخاف العار عار يوم القيامة"[١].

يقول يونس بن عبد الأعلى تلميذ الشافعي ورفيقه إلى مصر قال: قال لي الشافعي: "عاشر كرام الناس تعش كريماً،

ولا تعاشر اللئام فتنسب إلى اللؤم"[٢].

ويقول الشافعي: "أظلم الظالمين لنفسه من تواضع لمن لا يكرمه، ورغب في مودة من لا ينفعه، وقبل مدح من لا يعرفه".

ويقول في هذا المعنى: "إن أظلم الناس لنفسه من رغب في مودة من لا يراعي حقه" ويقول في لؤم ابن آدم: "طبع ابن آدم على اللؤم، فمن شأنه أن يتقرب ممن يتباعد منه، ويتباعد ممن يتقرب منه"[٣].

ويقول في صدق الأخوة: "من صدق في أخوة أخيه قبل علله، وسد خلله وعفا عن زللهِ". ويقول في صحبة الإخوان: "ليس سرور يعدل صحبة الإخوان، ولا غم يعدل فراقهم"[٤].

ويقول في الوعظ سراً: "من وعظ أخاه سراً فقد نصحه وزانه، ومن وعظه علانية فقد فضحه وشانه"[٥].

وإذا ما نظرنا إلى حبه للعلم وترغيبه فيه نراه يزين طلب العلم بتلك المعاني الجليلة التي يقول فيها: "طلب العلم أفضل من صلاة نافلة"[٦].

ويقول بهذا المعنى: "ليس بعد أداء الفرائض شيء أفضل من طلب العلم، قيل له:

---

(١) الفوازي (مناقب الشافعي) ص ١٢٢.

(٢) البيهقي (مناقب الشافعي) جـ٢، ص ١٩٣.

(٣) البيهقي (مناقب الشافعي) جـ٢، ص ١٩٣.

(٤) البيهقي (مناقب الشافعي)، ص ١٩٥.

(٥) الرازي (مناقب الشافعي)، ص ١٢٢.

(٦) ابن الجوزي (صفة الصفوة) جـ٢، ص ١٤٢.

ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال: ولا الجهاد في سبيل الله"

وقال لتلميذه الربيع: "يا ربيع اطلب العلم ولو في الصين". أما ما ينسب إلى النبي صلى الله عليه وسلم من هذا الكلام فليس صحيحاً، وقال الشافعي في التواضع في العلم: "لا يطلب هذا العلم أحد بالملك وعزة النفس فيفلح، ولكن من طلبه بذلة النفس وضيق العيش، وخدمة العلم، وتواضع النفس أفلح"(١).

وقال: "من لا يحب العلم فلا خير فيه، ولا يكن بينك وبينه معرفة ولا صداقة"(٢). وكان يقول: "زينة العلماء التقوى، وحليتهم حسن الخلق، وجمالهم كرم النفس"(٣). ويقول: "لا عيب بالعلماء أعظم من رغبتهم فيما زهدهم الله فيه، وزهدهم فيما رغبهم الله فيه". وقال في شغفه في الأدب والعلم – على ما رواه تلميذه المزني قال: " قيل لمحمد بن أدريس الشافعي: كيف شهوتك للأدب؟ قال: أسمع بالحرف منه مما لم أسمعه فتود أعضائي أن لها أسماعاً تتنعم به مثل ما تنعمت الآذان" قيل له: كيف حرصك عليه؟ قيل: حرص الجموع المنوع على بلوغ لذته في المال، وقال له: وكيف طلبك له؟ قال: طلب المرأة المضلة ولدها وليس لها غيره. ويقول المزني صاحب الشافعي سمعت الشافعي يقول: "العلم مروءة من لا مروءة له"(٤). ومن نصائحه رحمه الله لطالب العلم ما يرويه الربيع بن سليمان حين يقول: سمعت الشافعي – وذكر من يحمل العلم جزافاً – فقال: "هذا مثل حاطب ليل، يقطع حزمة حطبه فيحملها ولعل فيها أفعى تلدغه وهو لا يدري"(٥).

وفي رواية: "مثل الذي يطلب العلم بلا حجة كمثل حاطب ليل"(٦).

---

(١) البيهقي (مناقب الشافعي) جـ٢، ص ١٣٨.

(٢) ابن حجر (توإلى التأسيس) ص ٧٢.

(٣) المصدر السابق، ص ٦٢.

(٤) المصدر السابق، ص ٦٣.

(٥) ابن حجر (توإلى التأسيس) ص ٧٣.

(٦) المصدر السابق، ص ٧٢.

يريد من يطلب العلم ويكتبه على غير فهم، أو يأخذه من غير عالم ثقة، ومن غير أن يبحث عن الحجة. وعن الزعفراني تلميذ الشافعي يقول: سمعت الشافعي يقول: "من تعلم علماً فليدقق فيه لئلا يضيع دقيق العلم"[١].

ودقيق العلم في مسائله الخفية التي تحتاج إلى عمق النظر، والمعنى: من تعلم علماً ما واختص به، ولم يعلم ما دق منه فضلاً عما ظهر فقد نقص علمه.

وعن أبي بكر الخلال يقول: سمعت الشافعي يقول: "ليس العلم ما حفظ، العلم ما نفع"[٢]. إذن فما فائدة علم دفن في الحافظة، ولم يخرج إلى الناس؟!

وكان الشافعي رحمه الله يقول في طالب العلم غير المهتم بفائدته: "من حضر الدرس بغير دواة ولا ورق كان كمن جاء إلى الطاحون بغير قمح" أي كلاهما لا يفيد من علمه شيئاً.

عن عبدالله بن محمد البلوي يقول: سمعت الشافعي يقول: "من الذل أشياء، منها: حضور مجلس العلم بلا نسخة"[٣]. أي بلا كتاب.

ويقول الربيع بن سليمان: سمعت الشافعي يقول – في المراء الذي لا فائدة منه – : "المراء يقسي القلب، ويورث الضغائن" والمراء: الجدال.

ومن كان يريد أن يناظر بينة البحث عن الدليل الأقوى، أو ليفهم غيره الحجة الأوضح فليكن كما روى الحسن بن محمد الزعفراني إذ يقول: سمعت الشافعي يقول: "ما ناظرت أحداً فأحببت أن يخطئ"[٤].

ويقول ابن عبدالحكم: سمعت الشافعي يقول: "من إذالة العلم أن تناظر كل من ناظرك، وتقاول كل من قاولك" من إذالة العلم، أي إهانته. والمراد: ألا يناظر المرء إلا

---

(١) البيهقي (مناقب الشافعي) ص ٧٢.

(٢) ابن حجر (توإلى التأسيس)، ص ٧١.

(٣) البيهقي (مناقب الشافعي)، ص ١٥١.

(٤) ابن حجر (توإلى التأسيس) ص٦٥.

من يستحق المناظرة وهم أولئك الذين يناظرون ويبحثون ليظفروا بالحق ولو في مسألة واحدة.

ويقول أحمد بن حنبل: سمعت الشافعي يقول: سمعت مالك بن أنس يقول: سمعت محمد بن عجلان يقول: إذا أغفل العالم "لا أدري أصيبت مقاتله"[1]. أقول: ولا يقولها إلا عالم متمكن ورع، ويخشى أن يقولها: نصف العالم، ونصف العالم: من لم يستطع أن يقطع بمسألة واحدة من العلم، ومن أتقن مسألة واحدة بدقائقها وأدلتها فهو عالم بها ولا شك.

ويقول حرملة: قال الشافعي: "إذا ذكر الرجل بغير صناعته فقد وهص"[2]. أي فقد كسر، يريد من اختص بعلم وخاض في غير ما اختص به وأتقنه، فقد وضع نفسه موضع النقد، بل السخرية، وهذا كسره. وأما الطريقة التي أخذ بها الشافعي العلم عن شيوخه فتدل على قدر من الذكاء عظيم، فقد كان من أكبر شيوخ الشافعي سفيان بن عيينة ومالك بن أنس؛ فقد سمع من الأول الحديث وكتبه وسمع من الثاني الحديث والفقه ويجمعهما الموطأ، ولا بد أنه سمع منه الكثير غير الموطأ، أما طريقة سفيان بن عيينة – وهو حافظة مكة في زمنه – فقد كان يجلس في حرم مكة ويملي حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويكتب عنه الحديث، وكان ضيق الخلق فلا يستطيع أحد أن يسأله، ولا أن يستزيده، بل لا يستطيع أن يبدؤه أحد بالسلام وإلا سمع ما لا يرضيه. قال الربيع بن سليمان قال لي الشافعي: قيل لسفيان بن عيينة – وقد ضاق خلقه –: يا أبا محمد، يأتيك قوم من أقطار الأرض فتضيق عليهم، يوشك أن يذهبوا ويتركوك. قال: "هم إذن حمقى مثلك، إن تركوا ما ينفعهم لسوء خلقي"[3].

ويقول الربيع بن سليمان: سمعت الشافعي يقول: كنت آتي سفيان بن عيينة فلا

---

(١) البيهقي (مناقب الشافعي) جـ٢، ص ١٥١.

(٢) البيهقي (مناقب الشافعي) جـ٢، ص ٢٠٠.

(٣) البيهقي (مناقب الشافعي) جـ٢، ص ١٤٥.

أسلم عليه حتى يكون هو الذي يبدأني، فيلتفت إلى فيقول: كيف أصبحت أصلحك الله؟ وذلك أنه كان إذا بدأه إنسان بالسلام رد عليه بضيق: كيف أصبحت؟ كيف أصبحت؟[1].

وأما شيخه مالك بن أنس فقد كان له مجلس في حرم المدينة المنورة، وكان مجلسه هذا مجلس هيبة ووقار وإجلال، لا يستطيع أحد مهما يبلغ من الجرأة والعلم والسلطان أن – يتكلم فيه بكلمة لم يحكم مناسبتها وموضوعها وأداءها، كما لا يستطيع أحد أن يسأل إلا في غاية من الأدب وخفض الصوت، وأن يكون ما يسأل مما يصعب أو يستشكل عند أولي الفهم في العادة، ولا يجرؤ مستمع أن يستزيد الإمام حديثاً وفقهاً إذا أراد الإمام أن ينهي ما كان فيه، وإلا أخذته المقارع وأخرج.

قال أبو مصعب: "كنا نكون عند مالك، فلا يكلم ذا ذا، والناس ماثلون برءوسهم هكذا، وكانت السلاطين تهابه وهم قاعدون يستمعون، وكان يقول في المسألة: لا، أو نعم، فلا يقال له: من أين قلت هذا؟"[2].

وقال إسماعيل الفزاري: "دخلت على مالك فسألته الحديث، فحدثني أظنه باثني عشر حديثا؛ فاستزدته – وسودان قيام على رأسه – فإذا هم حملوني وأخرجوني من داره، فرموا بي في الطريق"[3].

ودخل بقية بن الوليد على مالك – وكان لبقية شأن في العلم – فقال الناس: اليوم ننتفع بأبي محمد، يسأل مالكاً مسائل نكتبها عنه، فسأله ست مسائل، فأجابه فيها كلها.

وسأله بعد ذلك، فقال مالك: أكثرت. خذوا بيد الشيخ، فجاء نفسان فأخذا

---

(١) الشيخ عبدالغني الدقر (الإمام مالك) ص ٩٧.

(٢) المصدر السابق، ص ١٢٧.

(٣) القاضي عباس (ترتيب المدارك) ص ١٥٥.

بضبعيه فأخرجاه[1].

وقال بشر ابن آدم: سأل الأغضب مالكاً عن مسألة، ثم عن أخرى فأجابه ثم عن أخرى فأجابه، ثم عن أخرى فلم يجبه، فقال له هو: لم؟ فقال مالك: يا غلام خذ بيده فاذهب به إلى السجن.

وكان لمالك سجن وكان له رجال أشداء كالشرط – قال الأغضب: إني قاضي أمير المؤمنين، قال: ذلك أهون لك. قال: لا أعود. قال مالك: خل سبيله[2].

هذا مثالان ينبئان عن لون التربية العلمية لشيخين من شيوخ الشافعي، وأظن أن لمالك فيما ذهب إليه من ظنه بالعلم وتأديب الناس عذره، وهو خوفه من أن يكثر الناس من الحديث فيدخلوا في حديث النبي صلى الله عليه وسلم ما ليس منه، وزيادة إجلاله وتقديره لحديث رسول الله، فإن من عظم محبته عليه السلام عظيم إجلال ما ثبت عنه من قول أو فعل أو إقرار.

هذا وتختلف طريقة الشافعي عن طريقة شيوخه فقد كان يذكر بعقله وعلمه ودقيق مناقشته. قال أبو عبيد القاسم بن سلام: "ما رأيت رجلاً قط أعقل من الشافعي".

ويقول أحمد بن حنبل لابن راهويه – في حكاية يذكر فيها الشافعي: "فإن فاتك عقل هذا الفتى أخاف ألا تجده إلى يوم القيامة".

وهذا يحيي بن أكثم قاضي قضاة بغداد: "ما رأيت أحداً أعقل من الشافعي".

أما العلم فقد اطلع الشافعي على فقه مكة وحديثها من كثيرين منهم سفيان بن عيينة ومسلم بن خالد الزنجي وسعيد بن سالم القداح وغيرهم.

واطلع على علم المدينة من سيد علماء المدينة في عصره مالك بن أنس

---

(١) القاضي عباس (ترتيب المدارك) ص ١٥٥.

(٢) القاضي عباس (ترتيب المدارك) ص ١٥٥.

وعبدالعزيز بن محمد الدراوردي، وإبراهيم بن أبي يحيي وغيرهم.

وأخذ علم أهل الرأي عن أحد الصاحبين محمد بن الحسن سماعاً منه، وكتب من كتبه حمل جمل – وقد تقدم بعض هذا – تلقى هذا العلم مع أداته، ودقيق مسائله، ثم اجتهد فكتب أصوله – وهو أول من وضع الأصول – ثم كتب مذهبه وأملاه مرتين، مرة في العراق، ومرة في مصر.

وكان رحمه الله يحث تلاميذه على الاجتهاد، وترك التقليد لكل أحد، وإن كان الشافعي شيخهم.

يقول المزني في مقدمة كتاب المختصر: "اختصرت هذا الكتاب من علم محمد بن إدريس الشافعي رحمه الله، ومن معنى قوله، لأقربه على من أراده، مع إعلامه نهيه عن تقليده، وتقليد غيره، لينظر فيه لدينه، ويحتاط فيه لنفسه"

وتتجلى روح الإخلاد لله تعالى عند الشافعي في قوله:

"وددت أن الناس تعلموا هذه الكتب و لم ينسبوها إلى"

رحم الله الإمام الشافعي بقدر ما قدم للإسلام والمسلمين من خير.

وهذا ما أنعم الحق تعالى به، ونعم الخالق سبحانه لا تحصى.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

خادم القرآن

محمد بن محمود آل عبدالله

مدرس علوم القرآن بالأزهر

{ المحتويات }

الموضوع	الصفحة
المقدمة.....	٣
تمهيد للبحث.....	٧
كيف يربي الطفل في الإسلام؟.....	٨
١-معني التربية.....	٢٧
٢-الحاجة إلى التربية.....	٣٠
١-تربية النبات.....	٣١
٢-تربية الحيوانات.....	٣٥
٣-تربية الإنسان.....	٤٠
٣-أهداف التربية.....	٤٢
نظرية إعداد المواطن الصالح.....	٥٠
هدف التربية في القرآن والسنة.....	٥١
مجالات التربية.....	٥٤
أولاً: التربية البدنية.....	٥٤
ثانياً: التربية العقلية.....	٦٠
ثالثاً: التربية الروحية.....	٦٩
رابعاً: التربية الاجتماعية.....	٧٢
خامساً: التربية الجمالية.....	٨٠
سادساً: التربية الانفعالية.....	٨٦
مقدمات المنهج الإسلامي في تربية النشء.....	٩٢
بناء الشخصية الاجتماعية.....	١٠٣

الموضوع	الصفحة
أولاً: إشباع الحاجات النفسية والاجتماعية.....	١٠٣
ثانياً: إعداده لممارسة حياته المستقبلية.....	١١٠
مقومات الاستقامة في تعليم النشء.....	١١٧
دور المدرسة في التربية.....	١٣٢
قدسية الحياة الإنسانية في الإسلام.....	١٣٤
فوائد الرضاعة الطبيعية.....	١٥١
حق الحضانة في المنهج الإسلامي.....	١٥٥
مفهوم الحضانة.....	١٥٥
مدة الحضانة.....	١٥٦
شروط الحضانة.....	١٥٧
حق الرعاية والإنفاق.....	١٥٨
حق التربية والتثقيف والتعليم.....	١٦٢
حق الانتماء إلى نسب وحمل اسم.....	١٦٦
المقاصد الشرعية في تربية النشء.....	١٦٩
تنمية المواهب الإبداعية.....	١٩٠
أنواع التربية.....	١٩١
أولاً: التربية بالملاحظة.....	١٩١
ثانياً: التربية بالعادة.....	١٩٣
ثالثاً: التربية بالإشارة.....	١٩٥
رابعاً: التربية بالموعظة وهدي السلف فيها.....	١٩٥
خامساً: التربية بالترهيب والترغيب وضوابطها.....	١٩٧
المبحث الأول: الترغيب.....	١٩٨
المبحث الثاني: الترهيب.....	٢٠٠
المجتمع الإسلامي.....	٢١٦

الموضوع	الصفحة
تربية الطفل اليتيم.....	٢٣٤
تربية الطفل الذكي بين الأفراد والمؤسسات.....	٢٣٧
تربية الطفل المريض أو المعاق.....	٢٣٨
الأول: التربية الدينية والخلقية.....	٢٤٦
الثاني: التربية العلمية والفكرية.....	٢٤٩
منهج التربية عند الإمام الشافعي.....	٢٥٠
المحتويات.	٢٦٥